فارس وبيزنطة

فارس وبيزنطة

تأليف

د. أرواد العلان

٢٠٠٩

فارس وبيزنطة

تأليف:د. أرواد عدنان العلان

سنة الطباعة: ٢٠٠٩

عدد النسخ: ١٠٠٠

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

ـ المقدمة:

إذا كان علم التاريخ من الفنون الأدبية، فهو من وسائل علوم شرعية، يكسب الناظر برهان التجريب، ويشحذ فكر الأريب، ليقيس على ما مضى، مواقع الانتقاد والرضى، ويرى الأسباب وما تولد منها، والحوادث وما نشأ عنها. وإذا كان موضوعه الجهد الإنساني فإن هدفَهُ معرفةُ الإنسان بنفسه بالكشف عن أصوله عبر أحقاب التاريخ. فمن التقصير أن ندرس التاريخ وخاصة تاريخ الأمة العربية ولا نعرف شيئاً عن الأمم المجاورة لها، والتي في يوم ما قد احتلت أراضيها وحكمت سكانها. وهذا التاريخ ينبغي أن يشمل قدراً من التفصيل عن المعتقدات وأساليب الحياة وكل ما يتصل بوجودها الإنساني والحضاري.

ويخشى بعض الباحثين الخوض فيما يسمى بالتاريخ القديم، وذلك لوعورة مسالكه، وقلة المصادر التي تناولته، والتي يقع أغلبها في لغاتٍ أجنبيةٍ مختلفةٍ.

يعدُّ القرن السادس الميلادي الذي يمثل الحواف الختامية لحقبة التاريخ القديم، أو ما نسميه حقبة ما قبل الإسلام، وبشكل أكثرَ خصوصيةً عصر ازدهار الحضارة الفارسية التي لم تنل الاهتمامَ الكافيَ الذي تستحقه. تشكل حقبةً يقلُّ فيها عددُ المختصين والباحثين ولازالت بحاجة لفكر عدد كبير من الباحثين لدراستها وكشف ما يكتنفها من غموضٍ. خاصة أن أكثر ما ذكر عنها هو أساطيرُ وقصصٌ شعبيةٌ وأخبار أُخِذتْ مما كتبه اليهود أو أهل الكتاب، وأشياء وضعها الوضّاعونَ لمآربَ اقتضتها العواطفُ والمؤثراتُ الخاصةُ[1].

إن دراسة السياسة الدولية في تلك الفترة التي سيطرت فيها دولتان كبيرتان هما الدولة الفارسية والإمبراطورية البيزنطية على مسرح الأحداث الدولي بزعامة إمبراطورين ندر وجودهما وطبعا القرن السادس الميلادي بطابعهما، إذ لا يذكر القرن السادس إلا بجوستنيان البيزنطي وكسرى أنوشروان الفارسي، تشكل

١- علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط٣، ١٩٨٠م، ج١، ص٤٢.

ركناً أساسياً في هذا الكتاب. لمعرفة التحولات الكبرى في السياسة الدولية، والسعي المتواصل للسيطرة على المناطق الاستراتيجية التي لم يكن لأهلها حول ولا قوة في تقرير مصيرهم.

وقد وُجدتْ بعضُ الدراساتِ التي لا تعدو أن تكون أبحاثاً مقتضبةً ومقالاتٍ متناثرةً تناولت الموضوع.

ولعل هذا الكتاب هو خطوةٌ أولى على طريقٍ سأعمل على متابعته لأنَّ الوقوفَ على أحوال الحضارة الإيرانية لا يزال في طور تحرياتٍ علميةٍ. والهدف هو تقديم الحادث التاريخي معللاً سببَ حدوثهِ ومسوغاتهِ ونتائجهِ، والتعرف إلى النواحي المتعلقة بالصراع للوصول إلى تفسير ذلك إن امكن، لأن التاريخ ليس سلسلة من الأحداث المتعاقبة التي تحدث دون سبب ومسبب.

ـالفصل الأول.

التطور الداخلي للدولة الفارسية في القرن السادس الميلادي.

يشمل هذا الفصل دراسةً للتطور الداخلي للدولة الفارسية في القرن السادس الميلادي وفي كل نواحي الحياة. فمن الناحية الاجتماعية تم تقسيم المجتمع لطبقات مختلفة يصعب الانتقال بينها، ويقف على رأسها ١- الطبقة العليا التي يمثلها الملك وحاشيته. ٢- طبقة رجال الدين التي كان لها الدور الفعال في التأثير على الشعب. ٣- طبقة رجال الحرب صانعي النصر للدولة الفارسية، وسلاحهم وفرقهم وحتى خططهم العسكرية.٤- الطبقات الدنيا التي كانت تشكل عماد الدولة، ولكنها مسلوبة الحرية والحقوق التي ضمنها لها الدستور نظرياً فقط . وقد وُجِدَ في القرن السادس طبقةٌ جديدةٌ هي٥- طبقةُ الكُتَّابِ فكان لها نصيبٌ من الدراسة.

أما الحياةُ الدينيةُ فقد استعرضتُ كلَّ ما يتعلق بهذه الناحية من معتقداتٍ قديمةٍ كعبادة الشمس والنار؛ مروراً بالتطور الروحي للإنسان الإيراني فكان هناك دراسة للديانة الزرادشتية والدعوة المانوية والمزدكية، بالإضافة للمسيحية واليهودية. ولم ننسَ هنا الإشارةَ إلى رجال الدين وفئاتهم ومهامهم.

تناول الجانب الفنيُّ من هذا الفصل إلقاءَ الضوءِ على الذوق الفني الرفيعِ للفنان

الفارسي وما أبدعه من آثارٍ تدل على عبقريته وقدرته على تصوير الأحداث المهمة التي أثرَّت على حياته، فبنى البيوتَ والقصورَ وترك لمساتٍ فنيَّةً تدلُّ على مدى تطور الذوق الفنيِّ الذي تمت زخرفته على أطباقٍ وكؤوسٍ وجدرانٍ.

وبانتقالنا للجانب الاقتصادي نجد أن الإنسان الفارسي زرع أنواعاً متعددةً من المزروعات المعروفة وعرف أنواعاً أخرى غيرَ معروفةٍ، كما بنى السدودَ لحجز المياه للاستفادة منها وقت الحاجة. بالإضافة لذلك توصل الفرس إلى تحسينٍ في نظام الضرائب الذي كان جوره سبباً أساسياً للثورة المزدكية، فتحسنت أحوال الفلاحين والفقراء. وبالإضافة للزراعة تطورت الحرف بشكل ملحوظ وكانت صناعة السجاد إحدى أهم أنواع المصنوعات بالإضافة لصناعة الزجاج الذي ساعد على ازدهارها جلب الصنّاع المهرة من مناطق سورية وغيرها خلال الحملات الفارسية عليها. أما التجارةُ فقد تاجر الفرس مع بلدان الشرق الأقصى وزاد من أهمية التجارة عندهم تحكّمُهم بالطرق التجارية المارة ببلادهم والتي كانت الطرق الوحيدة المعروفة آنذاك. وكان الحرير الصيني أحد أبرز المواد التجارية بالإضافة للتوابل والكماليات التي أصبحت من ضروريات المجتمع الغربي. كما عرفوا النقد والسَنَدْ ومهروه بأختام مختلفة.

- *الفصل الثاني.*

الصراع الفارسي البيزنطي على المنطقة الشمالية في القرن السادس. ((أرمينية - لازيكا))

استعرض هذا الفصلُ الأهميةَ الكبيرةَ للمنطقة الشمالية في السياسة الدولية، فكان لابد من معرفة أهم معالمها الجغرافية من جبال وبحار وبحيرات وسهول. لقد كانت أرمينية محط نزاع طويل الأمد بين الدولة الفارسية والإمبراطورية البيزنطية وذلك لأهميتها التجارية والاستراتيجية، فالدولة الفارسية من مصلحتها السيطرة على الطريق التجاري الشمالي والوصول للبحر الأسود، الذي يمكنها من تهديد العاصمة البيزنطية نفسها التي تقبع على ساحل البحر الأسود. كما يمكنها ذلك من الوصول للبحر الأبيض المتوسط والالتفاف على الأملاك البيزنطية وتهديدها.

أما الإمبراطورية البيزنطية فكان هدفُها الأولُ والأساسيُّ حرمانَ الفرس من الوصول لهذه المنطقة، ودفعت بكل ما أوتيَتْ من قوة ليبقى الفرس بعيداً عن عاصمتها وبحرها الأسود الذي يعتبر رمزاً من رموز السيادة البيزنطية، فالذي يتمكن من السيطرة عليه يسهل عليه السيطرة على عاصمتها وتهديد حريتها وحرية شعبها. ولم ننس في خضم هذا النزاع من أن نلتفت للأرمن ونتوقف عند موقفهم من الصراع الأجنبي على بلادهم، كما كان للنزاع الديني بينهم وبين الإمبراطورية البيزنطية وموقفها منهم نصيبٌ بين صفحات الدراسة.

أما لازيكا التي لا تقل أهميةً عن أرمينيةَ، فكان النزاعُ قائماً عليها ومكمنُ أهميتها بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية هو الذهبُ البيزنطيُّ، الذي رضي جوستنيان دفعَهُ والتنازلَ عن مناطقَ هامةٍ في الجزيرةِ السوريةِ للساسانيين، مقابل قبول هؤلاء إبقاء لازيكا تحت السيادة البيزنطية. في حين تعكس لنا الحملات الفارسية المتكررة هناك أهميتها بالنسبة للدولة الفارسية .

- الفصل الثالث: الصراع الفارسي البيزنطيُّ على سورية في القرن السادس الميلادي.

تناول الفصلُ الثالث دراسةً لمراحلِ التنافسِ الفارسي البيزنطيِّ على منطقة سورية (سورية). ومن الطبيعيِّ أن تسبقَ هذه الدراسةَ إحاطةٌ عامةٌ بالبيئة الجغرافية للمنطقة وأهميتها بالنسبة لكلا الطرفين. ثم تتبعتُ الحملاتِ الفارسية على المنطقةِ واحدةً تلوَ الأخرى وما نتج عن كُلِّ واحدةٍ منها من نتائجَ أثَّرتْ على الأحوال العامة في المنطقة، كما توقفتُ عند كل معاهدةِ سلامٍ أُبرمت بين الطرفين وما كان وراءَها من عواملَ وأسبابٍ أَدَّتْ لها، ودفعت بأحد الأطرافِ للتنازل عن بعض المكتسباتِ أو لدفع المال مقابل إرضاءِ الطرفِ الأخرِ وموافقتهِ التوقيعَ على هذهِ المعاهدةِ. وتجدر الإشارةُ هنا إلى أنَّ معظمَ المعاهدات إن لم تكُنْ كلُّها كانت في صالح الدولةِ الفارسية، وكانت الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ تدفع الأموالَ لها لتدفعها بعيداً عن حدودها.

وبما أنَّ أنطاكية كانت مركزَ الشرقِ بالنسبة للإمبراطوريةِ البيزنطية فقد

تناولتُها بالدراسة مستعرضةً أهميتَها ودورَها في الصراع، وما تعرضتْ له من غزواتٍ قام بها الفرس أو الفرس والعربُ معاً، بالإضافة لما لحق بها من خسائر وموقف الإمبراطورية البيزنطية من هذه الأعمال، وردة فعلها.

ولم ننسَ في هذه الحالة الدورَ الفعالَ للعربِ في الصراع على المنطقة. فقد كان اللخميون حلفاءَ الفرس واليدَ التي يضربونَ بها في سورية في حال رغبوا إزعاج البيزنطيين، وكان للمنذر الثالثِ بنِ ماءِ السماء دورٌ فعالٌ في تحقيق أهداف الفارسيين، لما عُرِفَ عن مقدرتهِ العسكريةِ وحنكتهِ في إدارةِ المعارك. كما أننا تناولنا الغزواتِ التي قام بها العربُ المناذرةُ (اللخميون) على المناطقِ البيزنطيةِ دون تدخلِ الفارسيين، واستعرضنا موقفَ الغساسنةِ من هذه الغزوات ونشاطهم ضدَّ المناذرةِ وما دار بينهم من معاركَ أطلق العربُ على بعضها اسمَ أيامِ العربِ.

ـ الفصل الرابع: الصراعُ الفارسي البيزنطيُّ على شبهِ الجزيرةِ العربيةِ في القرنِ السادس الميلادي.

كانت شبهُ جزيرةِ العرب من ضمن مناطق التنافس بين الفرس والبيزنطيين، وذلك بسبب وقوعها على الطريق التجاري الجنوبي. ولذلك لابدَّ لتغطيةِ العلاقة الفارسية البيزنطية في القرن السادس من الحديث عنها وعمّا جرى بها من أحداثٍ أثَّرتْ على مسارِ العلاقاتِ بين الطرفين.

وبما أن الخليجَ العربيَّ كان تحت السيطرةِ الفارسية فقد كان التنافسُ على المنطقة الغربية من شبهِ الجزيرة العربية (البحر الأحمر)، الذي يصلُ الإمبراطوريةَ البيزنطيةَ بالشرقِ الأقصى من المسلمات، لقد كان البيزنطيون يسعون جاهدين لإبعاد الفرس شرقاً، ولتحقيق هدفهم اتبعوا سياسةً مع القبائلِ العربيةِ القاطنةِ هناك، فكانت أحد أوراقها الرابحة للحدِّ من النشاط التجاري الفارسي في المياه العربية، ونجدُ في قضيةِ عثمانَ بن الحويرثِ الذي حاولتْ أنْ تسلِّمهُ زعامةَ مكَّةَ ليضمن لها الحريةَ التجاريةَ، مثالاً واقعياً يجسد الدبلوماسيةَ البيزنطية.

كانت اليمنُ المركزَ الأساسيَّ الهامَّ بالنسبةِ للدولة الفارسية في شبه الجزيرة العربية، وقد أدركت الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ أهميتها، فكان التعاون مع الأحباشِ

للسيطرة عليها. ولم يترك الفرس الرياحَ تجري كما تشتهي سفن الإمبراطوريةُ البيزنطيةٍ، بل تم توجيه حملةٌ ساسانية وبدعوى يمنيةٍ وطنيةٍ لطرد الأحباشِ من البلاد، وإعادتها للسيادة الوطنية التي أخذت سمة الحكم المشترك الفارسي - اليمني حتى ظهورِ الإسلام نظرياً، أما فعلياً فقد حكمها الفرس حتى ظهورِ الإسلام.

ويعد النزاع الديني في شبه الجزيرة العربية واحداً من مظاهر النزاع الفارسي البيزنطي. إذ سعت كلٌّ منهما إلى تشجيع الديانة السائدة فيها وعلى اعتبار أن العربَ عبدةُ أوثانٍ فقد سعت بيزنطةُ إلى إرسال البعثات الدينية لتنصير سادات القبائل العربية، ونالتْ في ذلك بعض النجاح. أما الفرس فقد سَعَوْا لدعم المذهب المسيحي الموافق للمذهب السائد في إيرانَ هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ شجعت اليهودية ضد انتشار المسيحية المؤيدة لبيزنطة.

- الخاتمة:

في ختام البحث لابدَّ من ذكر النتائج التي تُوُصِّل إليها على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على تطور الأحداث اللاحقة. لاشك أنَّ الحروبَ والصراعاتِ بمختلف أشكالها لم تجلبْ إلا الدمارَ والخرابَ الاقتصاديَ والاجتماعيَ، فعلى الصعيد الاجتماعي نجد أن الحروب قد استهلكت الطاقةَ البشريةَ التي يقوم على عاتقها التطورُ الاقتصاديُّ الذي تنعكس نتائجُهُ على الجانب الاجتماعي، فما الفائدةُ التي تجنيها مجتمعاتٌ قَتَلَتْ أبناءَها على جبهات الحرب؟!!. من الذي يدفعُ عجلةَ التطورِ إلى الأمامِ (الشيوخُ، النساءُ)؟!! . أما النتائج الاقتصاديةُ فكانت غالباً لصالحِ الدولة الفارسية التي أرغمت الإمبراطوريةَ البيزنطيةَ على دفع الكثيرَ من الذهب، مقابل حمايتها الحدود الشمالية لكلا الطرفين. هذا بالإضافة إلى استنزاف القوى الاقتصادية للبلدين مدار النزاع وللإمبراطوريتين معاً. فمن يقوم بكل هذه الحروب لابدّ وأن تنضب وتضعف قوته الاقتصادية. إلى جانب تراجع مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية لانشغال الطرفين بالحروب، وهذا ما دفع الشعب في كلا الإمبراطوريتين للثورة مطالباً

بتحسين الأحوال. ولا ننسَ هنا التقدمَ الذي أحرزته الفنونُ العسكريةُ لتحقيق التفوقِ العسكريِّ لكلا الطرفين.

لم تحقق السياسة الفارسية هدفها بالرغم من كل النجاحات التي حققتها فلم تستطع الوصول للمياه الدافئةِ التي كانت تسعى إليها ، كما أنها لم تتمكن من السيطرةِ على البحرِ الأسودِ الذي يشكل عنصرَ الأمانِ بالنسبةِ لها ، وعنصرَ تهديدٍ بالنسبة للبيزنطيين. أضف إلى ذلك فشلَها في السيطرة على سوريةَ وبالتالي فشلها في الوصولِ للبحرِ المتوسط. وهذه النتيجةُ تنطبق على المنطقةِ الشمالية ومنطقةِ سورية. أمّا في الجنوبِ العربيِّ فقد حققت سياستُها هناك النجاحَ العظيمَ بالسيطرةِ على اليمن الذي استمر حتى ظهورِ الإسلامِ.

ولابد في هذا المقام من العرفان بالجميل والإمتنان للأساتذة الكرام الذين لم يضنوا عليَّ بعلم ومعرفة. فلهم الشكر أجزله وأوفره.

مدخل : أوضاع الدولتين في القرن السادس.

١- اوضاع الدولة الفارسية في القرن السادس :

. أصلُ الأسرةِ الفارسية.

تُنسَبُ الأسرةُ الفارسية إلى جدها الأول ساسان **sasan** الذي كان كاهناً لمعبد النار في مدينة إصطخر[١] **Istakhr**. ثم عهد بوظيفته إلى ابنه بابك الذي توسط بدوره لدى الملك الفرثي ليعيِّنَ ابنَهُ أردشير[٢] **Artaxerexes** قائداً عسكرياً في إقليم فارس. استفاد بابك من قوةِ ابنِهِ العسكريةِ فهاجم الوالي وقتله وسيطر على الإقليم. ثم حاول بابك أن يحصل على موافقة الملك أرطبان الخامس (أردوان)[٣] لتعيين ابنه والياً على إقليم فارس، لكن الملك رفض ذلك واتهم بابك بالعصيان

١- اصطخر، بلدة بإيران وهي من أقدم مدنها وأشهرها كانت عاصمة لإقليم إيران، الإصطخري (ابن اسحق إبراهيم بن محمد): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،١٩٦١م،، ص٦٩. الحموي (ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة اصطخر، ج١، ص٢٤٩ – ص٢٥٠. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٤٧.

٢- أردشير هو أردشير بن بابك بن ساسان، أول حاكم فعلي للدولة الساسانية، حكم بين عامي (٢٢٤ – ٢٤١م). بيرنيا(حسن): تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، دار الثقافة، الفجالة، مصر، ط٢، ١٩٩٢م، ص٢٢٢ – ٢٢٣.

٣- أرطبان الخامس، هو آخر ملوك الدولة الفرثية أو الإشكانية، حكم بين عامي ٢١٧ – ٢٢٤م وقتل على يد أردشير الساساني. بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٠٧.

والتمرد وسيّر الجيوش لمحاربته[1].

مات بابك في هذه الحقبة وقام أردشير بإدِّعاء الملكية. وهاجم الأقاليم المجاورة خاصة أن قوته العسكرية أصبحت تفوق قوة الملك الذي اشتبك معه في معركة في وادي هرمزدجان[2]، انتصر فيها أردشير وقتل أرطبان الخامس ثم سار إلى عاصمته المدائن[3] ودخلها في عام ٢٢٤م وأعلن نفسه ملكاً ومؤسساً لسلالة حاكمة جديدة هي الأسرة الفارسية [4].

. الدولة الفارسية في القرن السادس الميلادي.

بدأ القرنُ السادسُ الميلاديُّ وقباذ بن فيروز على سدة الحكم في الدولة الفارسية وقد حاول انتزاعَ السلطةِ من عمِّهِ بلاش لكنه فشل واضطر للهرب ملتجئاً إلى ملك الترك. وبما أن بلاش كان ملكاً ضعيفاً فقد كان الحاكم الفعلي في الدولة أحد القادة المدعو زرمهر، واستمر هذا في تحكمه بالدولة خلال السنوات الأولى من حكم قباذ.

١- ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد الشيباني): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٤٩ – ٣٥٠. كريستنسن (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٧٣ – ٣٧٥.

٢- وادي هرمزدجان، موقع بين نهاوند وكاشان. انظر الخارطة رقم(١).

٣- المدائن، مدينة على سبعة فراسخ من بغداد على حافتي دجلة، وهي عبارة عن سبع مدن بناها كسرى أنوشروان وسكنها ملوك آل ساسان من بعده حتى عهد عمر بن الخطاب. الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، دار السراج، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م ، مادة مدائن، ص٥٢٦. القزويني، المصدر السابق، مادة مدائن، ص٤٥٣.

٤- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، ج١٥، ص١٦٦.

لم يقبل قباذ بوجود زرمهر إلى جانبه في السلطة، وأمام عجزه عن مقاومته كلف قائد جيشه بالتخلص منه وقتله[1]. كان لمقتل زرمهر أثر كبير في البلاد لأنه يشكل سنداً قوياً للأسر النبيلة المحلية، وزادَ الوضعَ سوءاً تأييدُ قباذ لفرقة دينية ظهرت في عهده هي المزدكية[2].

كان لرجال الدين والنبلاء قوةٌ كبيرةٌ في المجتمع الفارسي تضغط بنفوذها على الملك، وتحد من صلاحياته. ولما جاء قباذ وجد أنه لن يتمكن من الحد من سلطاتهم بسهولة، ووجد أن الوقت مناسب للتخلص منهم أمام الغليان الشعبي الذي ساعد على تأججه وجودُ مزدك، فوجد قباذ أن دعم هؤلاء (المزدكيين) سيمكنه من التخلص من نفوذِ الأغنياءِ ورجالِ الدينِ، خاصةً أنَّ وضعاً كهذا لن يروق لهم[3].

ماذا فعل النبلاء إزاء تصرف قباذ ذاك ؟!!. لقد تآمر هؤلاء على الملك وتمكنوا من عزله وسجنه[4] ونصبوا مكانه أخاه جاماسب. لكن قباذ تمكن من الهرب، والتجأ إلى خاقان[5] الترك الذي استقبله وزوجه ابنته، وأرسل معه جيشاً لاستعادة ملكه، بعد أن تعهد له قباذ بدفع إتاوة سنوية، وهكذا تمكن قباذ من العودة

١- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٦. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٧٨. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٢٢.

٢- انظر تفاصيل أكثر عن المزدكية في الفصل الأول.

٣- الثعالبي(أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل): غرر ملوك الفرس وسيرهم، زوتن بريدج، باريس، ص٥٩٦ - ٦٠٣.

٤- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٧. الطبري(محمد بن جرير بن يزيد): تاريخ الرسل والملوك،، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م ، ج٢، ص٩٣. المسعودي(أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م ، ج١، ص٢٤٨. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٨٨. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٢٣- ص ٣٣٤.

٥- خاقان كلمة فارسية فيها معنى العظمة والقدرة. حسنين (عبد النعيم محمد): قاموس الفارسية، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ص٢١٢.

لعاصمته[1].

إنَّ تمكنَ النبلاءِ من عزل قباذ وتولية أخيه مكانه له أهميةٌ كبيرةٌ، لأنه يدل على النفوذ الواسع الذي تمتع به النبلاءُ ورجالُ الدين في المجتمع، ولكنْ إذا علمنا أنَّ أغلبَ طبقاتِ المجتمع لا يحقُّ لها المشاركةُ في أيِّ نشاطٍ سياسيٍّ، نجدُ الأهميةَ الكبرى لهؤلاءِ في تسييرِ أمورِ البلاد التي اقتصرت على تلبيةِ مصالِحِهم بالدرجةِ الأولى. كما تدل على استياءِ الملكِ منهم ورغبتِهِ في استغلالِ أيةِ فرصةٍ للتخلصِ منهم. ولكن من الملاحظ أن قباذ لم يعتمد على شيء أساسي يساعده للتخلص منهم، فالشعب وجد أنَّه من الأفضل العيش تحت ظلم النبلاء، على العيش في ظل المبادئ التي جاء بها مزدك والتي ساهمت في تفكك المجتمع والأسر.

شهدتِ البلادُ في عهدِهِ الحربَ مع بيزنطةَ، وكان سببُها مطالبةَ قباذ بالمستحقات التي كانت بيزنطةُ قد تعهدتْ بدفعها إلى الدولة الفارسية ، لقاء قيامها بدفع خطر البرابرة عن حدود الإمبراطوريتين وذلك منذ عهد يزدجرد الثاني[2]. ولكنَّ الإمبراطورَ البيزنطيَ أناستاسيوسَ الأولَ (٤٩١- ٥١٨م) رفض دفع تلك المستحقات إلى الدولة الفارسية ، فما كان من قباذ إلا أن سيّر جيشه ضد البيزنطيين وساعده الترك في ذلك. لكنَّ ذلك لا يعني عدم تعرض حدود دولته الشرقية والشمالية لغزو مجموعاتٍ أخرى من الترك. فاضطر لعقد الصلح معهم كي لا يحارب على جبهتين، وبعد ذلك عاد لمحاربة البيزنطيين الذين كانوا يغذون الفتن في أرمينية الإيرانية. وقد جرتْ عدةُ معاركَ في مناطق سوريةَ الشماليةِ وجنوبِ

١- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل): غرر ملوك الفرس وسيرهم، زوتن بريدج، باريس، ص٥٨٦. الدينَوري(أبي حنيفة أحمد بن داود): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٦٠م ، ص٦٥ — ص٦٦. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣. النويري، المصدر السابق ج١٥، ص١٨٩. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٣٥- ص ٣٣٦.

٢- يزدجرد الثاني، أحد ملوك الدولة الساسانية، حكم بين عامي(٤٣٨ — ٤٥٧م). بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٤٨ — ص٢٤٩.

آسيةَ الصغرى، تعاقبت فيها الانتصاراتُ والهزائمُ بين الطرفين، ولم يوقفها موت قباذ سنة ٥٣١م[1] بل استمرت بعد ذلك.

أجج هذا السببُ نارَ الحربِ بين الطرفين بالرغم من أنَّ الحروبَ لم تسكنْ بين الطرفين. ولم يكنْ دفعُ بيزنطةَ للمستحقاتِ تلك ليضع حداً لحروبٍ استمرتْ عدةَ قرونٍ، ولو دفعتْ بيزنطةُ المالَ، لَوُجِدَ لدينا سببٌ آخرُ اختلقهُ أحد الطرفينِ ليشعلَ نارَ الحربِ.

يُعَدُّ عهدُ كسرى أنوشروان الذي خلف أباه قباذ أكثرَ عهودِ الدولةِ الفارسية ازدهاراً وتطوراً، فقد قام بإصلاحاتٍ اجتماعيةٍ وماليةٍ وحربيةٍ كثيرةٍ، طبعتْ عهدَهُ بالعدلِ والمساواةِ، وندرةِ الفقرِ والعَوَزِ والظلمِ. كان على رأس إصلاحاته الاجتماعية القضاءُ على المزدكيينَ وثورتِهم، التي أحدثَتْ خللاً كبيراً داخل المجتمعِ الفارسي، فردَّ الأموالَ لأصحابها وأنصفَ النساءَ وعطفَ على المواليد المُخْتَلَفِ في نَسَبِهِم[2].

أما من الناحيةِ الماليةِ فقد نظَّم الضرائبَ العقاريةَ والشخصيةَ، فمُسِحَتْ الأراضي وفُرِضَتْ ضرائبُ معقولةٌ على المحاصيلِ، وضرائبُ شخصيةٌ على العاملينَ الذين تتراوح أعمارُهُم بين ٢٠ – ٥٠ عاماً. وأعفى المرضى والعاجزين من دفع الضرائبِ. إلى جانب ذلك بنى المساكنَ والقُرى وحفرَ الأقنيةَ ونصبَ عليها الجسورَ[3].

وفي مجال الإصلاحاتِ الحربيةِ فإنَّ أعظمَ إنجازٍ حققه هو إسكانُ عددٍ من الجماعات الرُّحَلِ في مستعمراتٍ حدوديةٍ، وإقامةِ مراكزَ حمايةٍ في الشمالِ على

١- النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٨٩- ص١٩٠. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٣٨- ص ٣٤٠.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٦- ص٣٩٧. الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦٠٤- ٦٠٥. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٩، ص١٠١. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٩١- ص١٩٢. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٤٩- ص٣٥٠.

٣- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤١٣. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٧١ – ص٧٣. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٢٤٨. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٩٤- ص١٩٥. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥١.

وجهِ الخصوص حيثُ يُتوَقَّعُ الخطرُ منها أكثرَ من غيرها. كما أنه استبدل القائدَ الوحيدَ للجيش بأربعِ قادةٍ وزَّعهم على الولاياتِ الكبيرةِ كخراسانَ وأذربيجانَ وغيرها. هذا بالإضافة إلى أنه أجرى رواتبَ للجُندِ من أجلِ تجهيزِ أنفسِهم بالمعداتِ الحربيةِ اللازمةِ، وليضمنَ لهم سُبلَ عيشٍ مناسبةٍ[1].

قد يكون وراءَ إصلاحاتِ كسرى أنوشروان تلك هدفٌ آخَرَ، وهو تقويةُ البلادِ لإعادة إحياءِ الدولةِ الأخمينيةِ، وتوسيعِ حدودِ الدولةِ الفارسية . أو أنه وجدَ فساداً كبيراً في البلادِ فعمل على تحسينِ أوضاعِها، وذلك للوقوفِ في وجهِ أعدائه إنْ لزمَ الأمرُ، أو أنَّ المواردَ كانتْ جيدةً فعمل كسرى أنوشروان على تحسين أوضاع المجتمع الذي أثَّرتْ عليه الأفكارُ المزدكيةُ.

شهدتِ البلادُ في عهده تجددَ الحربِ مع البيزنطيين بالرغم من وجودِ معاهدةِ صلحٍ عامَ ٥٣٢م والتي دفعت فيها بيزنطةُ إتاوةً لإيرانَ لقاءَ وقوفِها في وجه الأتراكِ، خاصةً أنه يدور في فلك كلتا الإمبراطوريتين إماراتٌ صغيرةٌ يمتدُّ الخلافُ إليها بمجردِ وقوعِهِ بين الإمبراطوريتين الكبيرتين، وهذا ما حدث سنة ٥٣٩م عندما نَشبَ النزاعُ بين الأميرِ الغسانيِّ الحارثِ بنِ جَبَلَةَ وأميرِ الحيرةِ المنذرِ بنِ النعمانِ، فتدخلَ جوستتيانُ لحلِّ النزاعِ دونَ الرجوعِ لكسرى أنوشروان، الأمر الذي دفع كسرى أنوشروان لشنِّ الحربِ على بيزنطةَ والاستيلاءِ على أنطاكية. ولم يتمكنِ البيزنطيون من صدّ الفرس بل عقدوا صلحاً واشتَروا السلامَ بالذهبِ.[2]

السؤال المطروح هنا: لماذا يتدخلُ جوستتيانُ لفضِّ النزاع؟!!. لماذا لم يُرسِلْ كُلٌّ منهما (كسرى أنوشروان وجوستتيانُ) رُسُلَهما لفضِّ النزاعِ سلْمياً؟!!. يبدو أنَّ جوستتيانَ قد وجد نفسَهُ قوياً فلم يأبهْ بما سيفعلُهُ كسرى أنوشروان الذي كان ردُّهُ عنيفاً، أو أنه تصرف وكأنه يُمثِّلُ الطرفين على اعتبارِ السلامِ قائماً.

١- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤١٣. الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦٠٩. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٧. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٩. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥٢- ص٣٥٣.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥٧.

لم يُقَدَّرْ لهذا الصلحِ الاستمراريةُ بسبب تجددِ النـزاعِ حولَ منطقةِ القفقاس[1].
وبعد أن عُقِدَ صلحٌ جديدٌ مع البيزنطيين ٥٦٢م، تفرغ كسرى أنوشروان لحرب الترك وقتل ملكَهُمْ ومدَّ حدودَهُ حتى نهر جيحون[2]. ومن الأحداثِ المهمةِ في عهده غزو الأحباشِ لليمنِ، واستنجادُ اليمنِ به فأرسلَ قائدَهُ وهرز مع الجنود لدعمه هناك، وتمكن قائدُهُ هذا من السيطرة على الأوضاع في اليمن واستعادةِ حكمِها من الأحباش[3].

عندما وصل جوستينُ الثاني **Justin II** (٥٦٥- ٥٧٨م) لعرشِ بيزنطةَ راهن على عجز كسرى أنوشروان على قيادةَ جيوشِهِ، ومهاجمة بيزنطةَ فحرك قُوَّاتِهِ ودخل أرمينيةَ وشمالَ سوريةَ، لكنَّ الملكَ العجوزَ ما لبثَ أن ظهرَ على رأسِ جيشِهِ على أطرافِ أنطاكية وفي سهول أرمينية، وأجبرَ الإمبراطورَ البيزنطيَ إخلاء المنطقة بعد أن لحقت بقواته هزائمُ عدّةٌ. لكنَّ كسرى أنوشروان لم يهنأْ بهذا النصر إذْ سرعان ما أدركَهُ الموتُ سنة ٥٧٩م[4].

يدل تصرف كسرى أنوشروان هذا على عدم السماح لأيٍّ كان بالاعتداءِ على

١- القفقاس، تمتد بلاد القفقاس بين البحر الأسود وبحر أزوف غرباً وبحر قزوين شرقاً، وتشكل السفوح الشمالية لهضبة أرمينية حدودها الجنوبية. عبد الرحمن (محمود): تاريخ القوقاز، دار النفائس، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م ، ص٨.

Procopius, History Of The Wars, William Helnemann, New York, G.P., Punams .–Vole 2 – PP.284 – 287.

٢- جيحون، أحد أنهار شرق الهضبة الإيرانية يعرف باسم نهر أوكسوس ينبع من منطقة طخارستان شمال كشمير ويمر ببلخ وآمل وخوارزم، يصب في بحر آرال. ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٨- ص٣٩٩- ص٤٠١. الاصطخري، المصدر السابق، ص١٦٦. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة جيحون، ص٢٢٨. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٨ — ص٧٠. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٢.النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص١٩٢.

٣- الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦١٦ - ٦١٨.

٤- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، - ص٤١٢ وما بعد. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٤ — ص٦٥. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٤١- ص١٤٨. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص٢١١.

بلادِهِ، وكان إشارةً واضحةً رسم عليها إنذاراً للبيزنطيينَ بأن لا يفكروا بالتوسعِ نحو إيرانَ.

كان هرمزد الرابع **Harmizd IV** (٥٧٩- ٥٩٠م) ذكياً وأديباً ومحسناً وطالتْ عدالتُهُ الجميعَ، وفي الوقتِ الذي وصل به إلى العرشِ كانت المفاوضاتُ بين الفرس والبيزنطيينَ على أَشُدّها لعقدِ الصلح، ولكنْ تمسكَ كلا الطرفين بموقفَيْهما حتى انهارتِ المفاوضاتُ، فاستغلَّ هذا الوضعَ المضطربَ ملكُ التركِ، الذي أرادَ الاستفادةَ من انشغالِ جنودِ الفرس بالتحضيرِ للحربِ ضدَّ البيزنطيينَ، فحرَّك قواتِهِ وحقق بعضَ المكاسبِ على حسابِ الفارسيين، حتى تمكن أحدُ القادةِ الفرس ويُدْعى بهرام جوبين أن يهزمهم[1].

ومن الأحداثِ المهمةِ في عهدِهِ تمردُ بهرام جوبين، وهو قائدُهُ الذي دَفَعَ عن البلاد خطرَ التركِ، وذلك بعد عزله بطريقةٍ مهينةٍ نتيجة خسارتِهِ أمام البيزنطيينَ، مما أدى لحقدِهِ على الملك وانتظارِهِ فرصةً مناسبةً لردِّ الإهانةِ. وفي الوقت نفسه كان هرمزد الرابع قد سَجَنَ أحدَ معارضيه (بندويه أخَ زوجته)، ولكنَّ أخاه بسطامَ تمكَّنَ من أن يُحَرِّرَهُ ودخلا القصرَ الملكيَّ وخلعا الإمبراطورَ وسملا عينيه وقتلاهُ سنة ٥٩٠م، ونادَيا بابنه كسرى أبرويز إمبراطوراً جديداً[2].

أرادَ بهرامُ جوبينَ استغلالَ الوضعِ والاستيلاءَ على السلطةِ، فزحفَ بجنودِهِ على العاصمةِ المدائن مما دفع كسرى أبرويز للفرارِ واللجوءِ إلى الإمبراطورِ البيزنطي موريس (٥٨٣ – ٦٠٢ م)، فدخل بهرامُ جوبينُ القصرَ وأعلن نفسَهُ ملكاً، لكنَّ موريسَ زوَّدَ كسرى أبرويز بجنودٍ استطاعوا الانتصار على بهرام جوبين، وأعادوا

١- الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص ٦٤٣ - ٦٤٨.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، - ص٤٢٥- ص٤٢٨. الدينوري، المصدر السابق، ص٧٧ – ص٨٤. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٢ – ص ١٧٦. مار ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردن، ط١، حلب، ١٩٩٦م،، ج٢، ٢٦١. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص٢١٣- ص٢١٥.

كسرى أبرويز لعرشه[1].

كان لهذهِ المساعدةِ التي قدمها موريسُ أَنْ حفظتْ دماءَ جنودِ الإمبراطوريتين لمدة اثْنَيْ عَشَرَ عاماً، حيث خيَّمَ التعاونُ والصداقةُ بين الطرفين. ولكن في عام ٦٠٢م قام فوكاسُ بقتلِ إمبراطورِهِ موريسَ، الأمرُ الذي دفع كسرى أبرويز لاتخاذ ذلك ذريعةً ليبدأ الحربَ التي تُعَدُّ من أخطرِ الحروبِ التي جرتْ بين الإمبراطوريتينِ، واعتُبرتْ حروبُهُ وانتصاراتُهُ من أكثرِ انتصاراتِ الفارسيينَ أهميةً[2].

٢- أوضاع بيزنطةَ في القرن السادس الميلادي.

. تسميةُ بيزنطةَ:

اعتُبرتْ بيزنطةُ امتداداً طبيعياً للإمبراطورية الرومانية[3]، لكنَّ الإمبراطوريةَ البيزنطيةَ كان لها ما يميزها عن الدولة الرومانية، فروما القديمة قامت وسط العالم اللاتيني، بفكرِهِ، وثقافتِهِ وديانتِهِ. أما القسطنطينيةُ فقد نشأتْ في قلب بلادِ اليونانِ بلغتِهم ومدارسِهم الفكريةِ وثقافتِهم، التي خلا أو كاد يخلو منها الغربُ الرومانيُّ، ثم غدت القسطنطينيةُ بوتقةً راح يتفاعلُ وينصهرُ فيها التراثُ الكلاسيكيُّ اليونانيُّ والرومانيُّ مع العقيدةِ المسيحيةِ الجديدةِ[4].

والواقع أن التاريخَ البيزنطيَّ ليس إلا مرحلةً جديدةً من التاريخ الروماني ولم تكن لفظةُ بيزنطي إلا تعبيراً أو اصطلاحاً حديثاً. فما نُسميهم اليومَ بيزنطيين

١- الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦٦٥ - ٦٦٧. ابن مسكويه(أحمد بن محمد): تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سردش للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧م،ج١، ص ١١٦ - ١١٩.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، - ص٤٢٨ — ص ٤٢٩. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٦ — ص١٨٠. النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص٢١٥ — ص٢١٩.

٣- العريني (السيد الباز): الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٩.

هسي (ج): العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م، ص٨٥.

٤- عبد الحميد (رأفت): الدولة والكنيسة، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ج٤، ص٣ — ص٤.

كـانوا يسـمون أنفسَـهُم رومانـاً ، وحتـى الإمبراطـور اعتـبر نفسَـهُ حاكمـاً رومانيـاً. وحرص البيزنطيون على الاحتفاظ باسم روما طالما عاشت إمبراطوريتهم[1].

وترجـع بدايـة التـاريخ البيزنطـي إلى الـزمن الـذي خرجـت فيـه الإمبراطوريـة الرومانيـة مـن أزمـة القـرن الثالـث المـيلادي الاقتصـادية[2]. وقيـام دقلـديانوس **Diocletionus** (٢٨٤- ٣٠٥م) بتقسيماته ثم الاعتراف بالمسيحية وبناء قسطنطين الأول **Costantine I** (٣٢٣- ٣٣٧م) (الكبير) للقسطنطينيةِ عاصمةً جديدةً[3].

. الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ في القرن السادس الميلادي.

انتُخِبَ أناستاسيوسُ الأولُ **Anastasius I** (٤٩١- ٥١٨م) إمبراطوراً لبيزنطةَ بعد وفاة زينون عام ٤٩١م، وكـان أَحَدَ موظفي البلاطِ الكبارِ واشتُهرَ بكفاءتِهِ الإداريةِ وإصلاحاتِهِ[4]. وقد نهج سياسةً ماليةً متقشّفةً ، ورفضَ دفعَ الضريبةِ السنويةِ للملك قباذ بن فيروز (٤٨٨- ٥٣١م) نظيرَ حمايتِهِ حصنَ بابِ الأبوابِ الواقعِ على بحر الخزر[5].

١-Ostrgorwski (G)- History Of The Byzantine State – Translated By Joan Hussy- Oxford – 1956- P.26.

٢- أزمة القرن الثالث الميلادي الاقتصادية: ظهرت نتيجة انخفاض إنتاجية عمل العبيد في مزارع الإقطاعيين الكبيرة التي نشأت على حساب الملكية الفردية الصغيرة. حيث بارت معظم الأراضي الزراعية وضعف الإنتاج الزراعي، ذلك أن استغلال الملاّك الكبار للكولون دفعه إلى هجر الأرض والارتحال للمدن كما أن توقف الحروب التوسعية أدى إلى تناقص عدد العبيد والأسرى الذين يعملون في الأرض. ومما أدى لتفاقم الأزمة الاقتصادية انحطاط الصناعة وشلل التجارة. فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٨م، ج١، ص٥٠ – ص٥١.

٣-Ostrgorwski – op cit – P.27

٤- العريني، الدولة البيزنطية، ص٥٨.

٥- بحر الخزر، نسبة إلى الخزر وهم قوم من أصل تركي، استقروا في القفقاس في النصف الثاني من القرن السادس في دربند وهي مدينة باب الأبواب. كريستنسن، المرجع السابق، ص٤٣١.

مما دفع قباذ للقيام بغزو مدينة آمد وديار بكر[١] سنة ٥٠٢م[٢]. وقد امتازت علاقةُ أناستاسيوس مع الفرس بالتوتر الدائم.

شهدَ عهدُ أناستاسيوسَ الأولُ استقرار قبائل الفرنجةِ والجرمانِ[٣] في الأراضي التابعة للإمبراطورية البيزنطية، إذ تمكن القوط الشرقيون[٤] - وهم إحدى القبائل الجرمانية- بقيادة ملكهم ثيودريك (٤٩٣ – ٥١١م) من الاستيلاء على ايطاليا. كما أسس الفرنجة بقيادة ملكهم كلوفيس (٤٧١ – ٥٢٩م) مملكةً لهم في غالية (فرنسا الحالية)، واضطر أناستاسيوس الأول للاعتراف بهم، فاعترف بالأول حاكماً مساعداً له على إيطاليا، ومنح الثاني لقب حاكم فصار نائباً له في غالية.

---

١ - ديار بكر: منطقة واسعة تنسب إلى وائل بن بكر، تمتد من دجلة إلى نصيبين، وهي مدينة آمد الحالية.

الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة ديار بكر، ص٥٦١. ليسترنج، المرجع السابق، ص١٤٠.
Procopius, History Of The Wars,vole 1-PP. 51- 59.

٢- سايكس(زنرال): تاريخ إيران، ترجمة محمد تقي، فخر داعي كيلاني، دنياي كتاب، جاب أشنا، طهران، ١٣٧٧هـ، ج١، ص٦٠٦- ص٦٠٧.

٣- الفرنجة، مجموعة قبائل يطلق عليها اسم الفرانكيون، بدأ الفرنجة في التسلل داخل الأراضي البيزنطية منذ القرن الخامس الميلادي، واحتل زعيمهم كلوفس فرنسا عام ٤٦٨م وشكل مملكة تمتد من نهر الدانوب إلى جبال البرانس.

أما الجرمان فقد بلغوا نهر الراين في القرن الأول الميلادي من موطنهم في جنوب البلطيق، واستقروا في القرن الخامس على حدود الراين والدانوب.

كانتور (نورمان، ف): التاريخ الوسيط، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٤٤- ص١٤٨، ص١٧٢. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية،ط١، ١٩٩٦م، ج١٧، ص٢٧٢- ص٢٧٣.

٤- القوط الشرقيون، القوط تحالف قبائل جرمانية، هاجروا من منطقة البلطيق إلى منطقة شمال البحر الأسود منذ القرن الثاني الميلادي، وفي القرن الرابع الميلادي انقسموا إلى القوط الغربيين الذين أقاموا في آسية. والقوط الشرقيون استقروا في شمال البحر الأسود، وهم الذين غزوا إيطاليا وبقوا فيها حتى عام٥٥٠م، حيث طردهم جوستنيان. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج١٨، ص٤٠٨.

أما الأحوال الدينية فلم تكن أفضل من الأحوال السياسية، إذ كانت الطقوس المسيحية هي السمة المشتركة التي تجمع أفراد المجتمع، وكان السيرك والحمامات العامة وملعب العاصمة، تمثل متنفساً لسكان العاصمة، الذين انقسموا إلى حزبين هما حزب الزرق وحزب الخضر[١]، وقد لعبا دوراً بارزاً في تنشيط الألعاب الرياضية[٢]. وتضامن سكان العاصمة مع إحدى الفرقتين في المجال الرياضي، السياسي والاجتماعي[٣].

كثيراً ما أدت ميول الأباطرة الدينية، التي تخالف أراء إحدى الفرقتين إلى اندلاع الثورات والفوضى في العاصمة، وكان أناستاسيوس من أنصار الأرثوذكسية ولكنه كان يتوجه في سياسته نحو اليعقوبية[٤]. لذا حاول إقناع أسقف القسطنطينية مقدونيوس الثاني(٤٩٦ – ٥١١م) بضرورة شجب قرارات

١- حزب الزرق والخضر : هما الحزبان اللذان يمثلان التوجه السياسي للبيزنطيين. ترأس حزب الزرق كبار ملاكي الأراضي والأرستقراطيون، وأيدهم الفلاحون والكولون. وترأس حزب الخضر أرباب التجارة والحرف، وأيدهم الصناع والعمال. كل حسب مصلحته الاقتصادية. فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٢٤.

٢- بروي(إدوارد) وأخرون: تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد داغر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م، ج٣، ص٤٧.

Vasiliev (A-A) – The Byzantine Empire – Madison- 1952– PP.110- 111.

٣- رستم(أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٥٥م، ج١، ص١٧.

٤-Cameron – (A) – Histories And Fiction – Byzantion – 1974–Vole 1 – P.64.

مجمع خلقدونية[1]. ومما زاد في عداء الشعب للإمبراطور طرده للأسقف مقدونيوس من منصبه عام ٥١١م. وكان هذا يحظى باحترام شعب العاصمة فأدى ذلك لاندلاع ثورة عارمة سنة ٥١٣م تزعمها قائد إحدى الفرق البلغارية في الجيش والذي تقدم نحو العاصمة مطالباً بإلغاء التسبيح اليعقوبي وإعادة الأساقفة المنفيين[2].

يستقرأ من الأحداث السابقة مدى قوة السلطة التي تمتع بها أسقف القسطنطينية، والتي سمحت له أن يؤثر على مركز الإمبراطور، هذا يعني أن مكانة الإمبراطور مرهونة برضى الأسقف الذي يتمتع بتأييد شعبي منقطع النظير، والدليل على ذلك أن الإمبراطور عندما حاول التطاول على الأسقف بعزله، قامت ثورة شملت البلاد، ووقفت ضدَّ مَنْ يؤيدهم الإمبراطور، وأعلنت له صراحة أن في البلاد مَنْ يدافعُ عنها ضدَّ همجيتِهِ، أو ضد مخالفتِهِ لمبادئ الدين الذي يؤمن به الأعمُّ والأغلبُ من الشعب.

تمكن أناستاسيوس من توطيد دعائم السلام في سورية ومصر، بسبب تأييده لمذهب الطبيعة الواحدة ولكن على حساب ما ساد في قلب العاصمة من قلاقل واضطرابات[3].

توفي أناستاسيوس عام ٥١٨م فخلفه جوستين الأول **Justin I** (٥١٨ – ٥٢٧م)،

١- مجمع خلقدونية : هو المجمع الذي دعا له الإمبراطور مارقيان (٤٥٠ – ٤٥٧م) وذلك لتحديد العقيدة الدينية المتعلقة بطبيعتي المسيح فاعتبر كلا الطبيعتين كاملة ومستقلة عن الأخرى، وأنكر نحلة اليعقوبيين والنسطوريين، ويعتبر مذهب خلقدونية وسطاً بين اليعقوبيين والنسطوريين والخلاص في مذهب خلقدونية إنما جاء على يد المخلص أوالمنقذ الذي يعتبر إلهاً كاملاً وانساناً كاملاً.

Vasiliev (A . A) – History of The Byzantine Empire 324 – 1453 – The University Of Wisconsin –Press - 1957 . Vole 1 –P.105- 170

Ostrogorowski – op, cit, p.55.

٢- رستم(أسد): كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، منشورات النور، بيروت، ١٩٥٨م،ج١، ص٣٥٣- ص٣٥٦.

٣- العريني، الدولة البيزنطية، ص٦٣.

الـذي كـان مزارعـاً ثـم تـدرج في سـلك الجنديـة حتـى صـار قائـداً للحـرس الإمبراطـوري[1]. كانـت سياسـته شـرقية، إذ اهـتم بإنعـاش اقتصـاد الدولـة، فـاهتم بـالطريق التجـاري المـار عبر المنـاطق العربيـة إلى المحيـط الهنـدي [2]. كمـا دعـا ملـك الحبشـة لوقـف اعتـداءات يهـود اليمن علـى تجـار بيزنطـة أثنـاء مـرورهم في اليمن، فوجد ملك الحبشـة الفرصـة سـانحة لمـد سـيطرته علـى اليمن، خاصـة بعـد مذبحـة نصارى نجران التي نفذها ذو نواس ملك اليمن عام ٥٢٣م ضد المسيحيين[3].

والسـؤال المطـروحُ هنـا لمـاذا اهـتم الإمبراطـور البيزنطـي بـالطريق الجنـوبي، ولم يهتم بالطريق الشمالي، أو الطريق الجنوبي المار بالخليج العربي؟!!.

سـعت بيزنطـة للحصـول علـى منتجـات الشـرق الأقصـى بعيـداً عـن نفـوذ التجـار الفارسـيين، ومـن هنـا جـاء اهتمامهـا بـالطريق الجنـوبي المـار بـاليمن، ممـا أكسـب الـيمن أهميـةً كـبيرةً وزاد مـن ثروتهـا، بـل أكثـر مـن ذلـك، زاد مـن أطمـاع الـدول الكبرى آنذاك بها وبالسيطرة عليها، بحجة تـأمين طريـق التجـارة. ومـن جهـة أخـرى يسـتدل مـن اهتمـام بيزنطـة بهـذا الطريـق فشـلها في تـأمين مسـتلزماتها عـن طريـق الطرق التجارية الأخرى، والـتي كانـت تخضـع للسيطرة الفارسـية ، حيـث يشـتري التجار الفرس البضائع بغية بيعها لبيزنطة. لذلك أرادت بيزنطةُ سلوكَ طريقٍ تجاريٍّ بعيدٍ عن المكوس الفارسية ، ويؤمن لها ما تحتاج له دون تدخل من أحد.

كل ذلك ساهم في تقليص دور الوساطة التجاري الذي يقـوم بـه الفـرس في نقل

١- ربيـع (حسـنين محمـد): دراسـات في تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة، دار النهضـة العربيـة، القاهرة، ط٥، ١٩٩٥م، ص٥٦.

Charanis (P) –Church And State In The Later Roman Empire –Madison Wisconsin – 1930 –P.50.

٢- رستم، الروم، ج١، ص١٦٦.

Vasiliev The Byzantine Empire, vole 1, P.129.

٣- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ٦٩.

العدوي(إبراهيم): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١م، ص٧.

سلع الهند والصين لبيزنطة[1]. كما سعى جوستين الأول لتقليص سيطرة الفرس على شواطئ البحر الأسود فتحالف مع الهون[2] ضدهم مما وتَّر العلاقات بين الطرفين[3].

أما في الداخل فقد اتبع جوستينُ سياسةً دينيةً مغايرةً لسياسة أناستاسيوس. فكان أرثوذكسياً أخذ على عاتقه محاربة المذهب اليعقوبي، فطرد الأساقفة اليعقوبيين من مناصبهم، وجعل المذهب الخلقدوني مذهباً رسمياً للدولة[4]. ونجد صدى ذلك في تعليق لجلانفيل داوني أورده أسد رستم ((إن ارتقاء جوستين الأرثوذكسي خلفاً لأناستاسيوس اليعقوبي كان من المحتم أن يؤدي إلى إثارة القلاقل في عصب رواد السباق إذ كان من شأنه أن أصبحت آنذاك عصبة اللون الأزرق هي التي تمثل مصالح الحكومة وليست عصبة اللون الأخضر التي كانت من اليعقوبيين))[5].

١- الحيمي (الحسن بن أحمد): سيرة الحبشة، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ص٥٠.

٢- الهون، مجموعة من القبائل التركية – المغولية، دائمة الترحال، المحبة للقتال، اندفعوا من موطنهم منغوليا نحو الغرب الأوروبي، غزوا أوروبة في القرن الخامس الميلادي تحت قيادة زعيمهم أتيلا وهزموا في معركة جنوب غاليا عام ٤٥١م. فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٧٩. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٢٦، ص٢٧٦.

٣- هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٣.

٤- بيرنيا، المرجع السابق، ص ٢٥٥.

٥- رستم، الروم، ج١ ص٣٦١.

Frend (W. H. C),The Rise Of The Monophysit Movement, Cambridge, 1979,P. .274.

لم ينجب جوستين أولاداً فتبنى ابن أخته جوستنيان وتوجّه شريكاً معه على العرش عام ٥٢٧م[١]. ينتمي جوستنيان إلى أسرة ريفية من مقدونيا[٢]. اهتم خاله بتثقيفه وتربيته وتدريبه، وكان شديد الإعجاب بمواهبه ومؤهلاته، كان جوستنيان يحترم آراء مساعديه وعلى رأسهم زوجته ثيودورا، التي كان والدها مدرباً للدببة في سيرك العاصمة[٣]، وقد مارست ثيودورا نفوذاً كبيراً على جوستنيان منذ أن تزوجها. وكان القائد نرسيس من أهم مستشاري جوستنيان وكذلك بليزاريوس الذي عينه قائداً للقوات في الشرق[٤].

اهتم جوستنيان باقتصاد دولته وتجارتها وسعى إلى تقليص وساطة إيران في نقل تجارة الشرق إلى بيزنطة، فوطد دعائم الصداقة مع الأحباش لكي يقوموا بنقل حرير الصين عبر أراضيهم بعيداً عن سيطرة الفارسيين، لكنهم فشلوا في ذلك نظراً لما تمتع به التجار الفرس من سمعة طيبة في موانئ الهند والصين[٥]. وحاول جوستنيان تأمين حدوده الشرقية المتاخمة لإيران واستعان لهذا الغرض بالعرب الغساسنة، فأنعم على أميرهم الحارث بن جبلة (٥٢٨ – ٥٦٩م) لقب فيلارخ (حاكم أو شيخ قبيلة)[٦] وصارت إمارة الغساسنة بمثابة دولة عازلة بين بيزنطة وإيران وإمارة اللخميين بالحيرة[٧].

١- داوني(جلانفيل): أنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣١٢.

٢ - الشاعر (محمد فتحي): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستنيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م ، ص٥٠ – ص٥١.

٣- العريني، الدولة البيزنطية، ص٦٥.

٤-Procopius, The Secret History, Translated By A. Williamson, Penyuin Books,1966, – P.82.

٥- Burry : (J. B)- History Of The Later Roman Empire –London- 1923 –P.271.

٦- هايد، المرجع السابق، ج١، ص١٨ وما بعد.

٧ - نولدكه (ثيودور): أمراء غسان من آل جفنة، ترجمة قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٣م، ص١١.

استغل كسرى أنوشروان(٥٣١ – ٥٧٩م) ملك إيران انشغال جوستنيان بحروبه في إيطاليا، فحث المنذر بن ماء السماء (٥٠٤ – ٥٥٤م) أمير اللخميين على التحرش بالحارث بن جبلة أمير الغساسنة، فادعى أن منطقة سطراطا **Strata** (الطريق)[١] تدخل في نطاق نفوذه، وطالب الحارث بدفع الإتاوة له. رفض الحارث الإذعان لأن البيزنطيين أوكلوا إليه حماية تلك المنطقة، التي تمثل الطريق الحربي الروماني بجنوب تدمر وكانت غايةً في الأهمية الاستراتيجية، للجيش البيزنطي في الشرق. كما استغل كسرى أنوشروان هذا النزاع فألغى معاهدة السلام بين الطرفين والتي كانا قد عقداها عام ٥٣٢م. ولم يكتف كسرى أنوشروان بذلك بل قام بغزو سورية واستولى على أنطاكية وأفاميا[٢] عام ٥٤٠م، ثم توصل إلى معاهدة سلام مع البيزنطيين سنة ٥٦٢م مدتها خمسون عاماً، تدفع بيزنطة بموجبها إتاوةً سنويةً لإيران تقدر بثلاثين ألف قطعة ذهبية[٣].

١- بيغو ليفيسكيا، المرجع السابق، ص١١٦.

Grof (G), Geschichte de Christlicl, Arabischon Literature, Roma,1944,Vole P.15.

٢- أفاميا : مدينة قديمة تقع عند السفح الغربي لجبل الزاوية، تبعد عن حماه ٦٠كم في الشمال الغربي، بناها سلوقس نيكاتور (٣١٧- ٣٠٠ق.م) وسماها باسم زوجته الإيرانية .. ابن خرداذابة(أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله): المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص٧٥. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج١، ص١٨٨.

Procopius , History Of The Wars, Vole II – P.261.

٣- العلي (صالح أحمد): محاضرات في تاريخ العرب، الموصل، ط١، ١٩٨١م، ص٥٧. نولدكه، المرجع السابق، ص١٨.

وجه جوستنيان عدة حملات عسكرية لاستعادة أملاك الدولة في إيطاليا، وشمال إفريقيا وأسبانيا، واستطاع قائدُهُ بليزاريوس أن يحرز نصراً كبيراً على الوندال[1] في شمال إفريقيا سنة ٥٣٣م[2]، واسترجع روما من أيدي القوط الشرقيين عام ٥٣٧م. كما نجحت سياسته في استعادة الجزء الجنوبي الشرقي من أسبانيا علاوةً على قرطاجنة وقرطبة من أيدي القوط الغربيين عام ٥٥٠م[3]. وعادت إيطاليا نهائياً إلى الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٥٤م بفضل القائد نرسيس.

حاول جوستنيان توحيد أقاليم الدولة في الشرق والغرب وسعى لفرض مذهب واحد فيها، واهتم بالقضاء على الوثنية والمذاهب المخالفة لمذهب الدولة الرسمي،

١- الوندال : إحدى القبائل الجرمانية التي كانت تقطن جهات أزوف، تدفقت نحو أوروبة الوسطى تحت ضغط الهون، وشقت طريقها عبر الغال في بداية القرن الخامس، ومنها إلى أسبانيا حيث طبعوا اسمهم على شبه الجزيرة. لكنهم اضطروا لمغادرتها إلى الشمال الإفريقي سنة ٤٢٩م تحت ضغط القوط الغربيين. حيث نجح زعيمهم في السيطرة على قرطاجة وعلى كافة الأجزاء الليبية، وفي سنة ٤٥٥ سيطروا على روما ولم ينسحبوا منها إلا بعد أن قدم البابا ليو الأول (٤٤٠ – ٤٦١م) إتاوات كبيرة، قضى عليهم جوستنيان عام ٥٣٤م.

الشيخ (محمد موسى): الممالك الجرمانية في أوروبة في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص١٢ وما بعد. اليوسف، المرجع السابق، ص٤٥- ص٤٦، ص٥٧.

٢- عبد العزيز(وسام): دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، جامعة المنصورة، ١٩٨٢م، ص٩٩.

٣- القوط الغربيون: إحدى القبائل الجرمانية الذين استقروا في شمال البحر الأسود منذ منتصف القرن الثاني الميلادي ثم استوطنوا أعالي تراقيا في النصف الثاني من القرن الرابع وكانوا من اتباع المذهب الآريوسي، استنجدوا بالإمبراطورية البيزنطية أمام هجوم الهون، فعبروا الدانوب واحتموا داخل حدود الإمبراطورية، وفي عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول اتفق معهم على أن يقيموا في الأقسام الشمالية من تراقيا وأسية الصغرى وذلك عام ٣٨٢م، و في القرن الرابع زحفوا على إيطاليا واحتلوهاوسقطت روما بيدهم عام ٤١٠م، وانسحبوا منها إثر وفاة زعيمهم، وبعد ذلك اتفقوا مع الإمبراطور البيزنطي على تخصيص المناطق الجنوبية من غالية لهم.

الشيخ، المرجع السابق، ص١٢ وما بعد. اليوسف، المرجع السابق، ص٤٠- ص٤٥.

وأصدر بين عامي ٥٢٧ – ٥٢٨م قوانين ضد المخالفين للمذهب الخلقدوني، وأبعدهم عن وظائف الدولة وحرمهم حقوقهم المدنية. إضافة لذلك أغلق الأكاديمية الوثنية في أثينا سنة ٥٢٩م، وأخمد ثورة السامريين[1] في فلسطين، الذين أرادوا الانفصال عن جسم الدولة لكن ثورتهم وُئدتْ في مهدها. كما جعل جوستنيان اعتناق المذهب الخلقدوني الأرثوذكسي أساساً لارتقاء المناصب العليا في الدولة[2]، كما سعى جاهداً لعدم إغضاب اليعقوبيين بعدما لمس ثقلهم داخل الدولة، خاصةً وأنهم كانوا غالبيةَ سكانِ مصرَ وسورية ويتركزون في الأقاليم الشرقية المتاخمة لإيران[3].

حظي اليعقوبيون بتأييد ثيودورا طوال حياتها، واستهدف جوستنيان من احتواء المعارضة اليعقوبية ضمان الهدوء في المناطق الشرقية المتاخمة للحدود الفارسية ، وخاصة في حالة الحرب. ولتحقيق هذا الهدف سمح جوستنيان للرهبان اليعقوبيين المنفيين بالعودة إلى ديارهم، وسمح لهم بالوعظ في العاصمة[4]. كما حاول التوفيق بينهم وبين أتباع المذهب الرسمي في الدولة، لكن مساعيه باءت بالفشل خاصةً بعد ما طُردَ أنثيموسُ أُسقفُ القسطنطينيةِ اليعقوبيُّ من منصبه في سنة ٥٣٦م. علاوةً

١- ثورة السامريين، لم يكن السامريون وثنيين بل كان لهم دينهم وعقيدتهم وعندما حاولت بيزنطة تنصيرهم بإصدارها قانون مصادرة أملاك الورثة السامريين لصالح خزينة الدولة ما لم يعتنق هؤلاء المسيحية،و بعد أن أمر جوستنيان بهدم معابدهم ثار السامريون واستغلوا الوضع المتأزم نتيجة الحرب بين الإيرانيين والبيزنطيين، لكن جوستنيان قضى على ثورتهم بمساعدة الحارث بن جبلة الذي وجه لهم ضربة قاضية مكنته من بيع أولادهم في سوق النخاسة. - مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص١٥١. الشاعر، المرجع السابق، ص١٤٧ – ص١٤٩. Procopius, History Of The Wars, P.97 رستم، الروم ج١، ص١٨٠.

٢- رستم، الروم، ج١، ص٣٩٦.عبد العزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٩١.

الشاعر، المرجع السابق، ص١٢.

٣-, op.cit, P. 261 Frend

٤-Moss (H) – The Birth of the Middle Ages – Oxford – 1935– P.114

على شجب اليعقوبيين لقراراتِ مجمع خلقدونية[1].

تدل سياسةُ جوستنيانَ الدينيةِ على مدى إدراكه للُّحْمَةِ الوطنيةِ الداخليةِ في بلاده، فحتى لايغضب شعبَهُ كان مؤيداً للمذهب الرسمي الذي يعتنقه معظم سكان العاصمة، وليحافظ على هدوءِ ولاياتِهِ التي تعتنقُ المذهبَ اليعقوبيَّ (مصر وسورية)، شَجَّعَ زوجتَهُ على دعمهم وتقديم مايحتاجونه من تأييدٍ ومؤازرةٍ. إن ذلك يثبتُ دهاءَ جوستنيانَ السياسيَّ وقدرتَهُ على التعامل مع المشكلاتِ بقدرٍ كبيرٍ من الكفاءةِ السياسيةِ، ولولا ذلك لما تمكن من تحقيق انتصاراتِهِ التي حفظتِ اسمَهُ على مرِ العصورِ والأزمانِ، ولكن رغم ذلك تعرَّضَ لثورةٍ عارمةٍ كادتْ تطيحُ بملكِهِ في عام ٥٣٢م.

توفي الإمبراطورُ جوستنيانُ سنة ٥٦٥م وبدأ عصرُ جوستينَ الثاني (٥٦٥ – ٥٧٨م) الذي يعد عهده من أسوأ عهود التاريخ البيزنطي، إذ ترك جوستنيانُ لخلفائِهِ إمبراطوريةً متراميةَ الأطرافِ، ومنهكةَ القُوى ومحطمةً اقتصادياً، ومهددةً بالأخطارِ، وكان الحفاظُ عليها يمثل عبئاً اقتصادياً إضافياً على موارد الإمبراطوريةِ.

حاولَ جوستينُ الثاني تدعيمَ اقتصادِ بلادِهِ، فاستقبل وفداً من قبل خاقان الترك عام ٥٦٨م عرض عليه حلفاً تركياً بيزنطياً ضد إيران. كما عرض عليه نقل حرير الصين عبر البحر الأسود بعيداً عن سيطرة الفارسيين، ونجح الترك في القيام بدور الوساطة بين موانئ الشرق الأقصى وبيزنطة حتى سنة٥٧٩م[2].

إنَّ سياسةَ جوستينَ الثاني هذه ليست جديدةً على أباطرةِ بيزنطةَ، الذين سَعَوْا جاهدينَ لتقليصِ الدورِ التجاريِّ للساسانيين، ولكن يعتقد أنه توجب عليه أن يوطدَ أركانَ دولته في البداية حتى يتمكن من التصدي لردةِ فعلِ الفرس على سياسته

١- العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٢. عبد العزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٩.

٢- رستم، الروم، ج١، ص١٩٩. هايد، المرجع السابق، ص٢٥.

- Diehl (C. H) – Histoire du Moyen Ages – Paris – 1944 .– P.9.

هـذه. وإذا نظـر إلى المـدة الـتي نجـح فيهـا الـترك في لعـب دور الوسـيط التجـاري، لكانـت المـدةَ الأخـيرةَ مـن حكـمِ كسـرى أنوشـروانَ العجـوزِ الـذي فتَّـتْ عَضُـدَهُ السُّـنونُ، وبـدا مؤيـداً للسِّـلْمِ أكثـرَ مـن البحـثِ عـن مسـوغاتِ النـزاعِ مـع بيزنطـةَ، ولكـن هـذا لا يعـني أن الملـكَ العجـوزَ سيرضـخُ لبيزنطـةَ الـتي تـرفضُ دفـعَ الإتـاوةِ السنويةِ التي أقرتها عليها اتفاقية السِّلْمِ لسنة ٥٦٢م، بل سيعيدُ الحـربَ مـع بيزنطـةَ وسيكون العاملُ التجاريُّ سبباً أساسياً فيها إلى جانب أسبابٍ أخرى.

بـاءتْ جهـود جوسـتينَ الثـاني بالفشـل أمـام الأزمـاتِ الـتي تلاحقـتْ عليـه، فقـد اخترق اللومباردُ[1] حوضَ الدانوبِ الأوسطَ، واستولَوْا على شَمالِ إيطاليـا الـذي غـدا يُعْرَفُ بلومبارديا بـدءاً مـن عـام ٥٦٨م. بالإضـافة لكـل هـذه المتاعـب رفـضَ جوسـتينُ الثاني الوفاءَ بالإتاوةِ السنويةِ لإيرانَ، التي يجب عليـه دفعهـا بموجـب اتفاقيـة السـلام لسـنة ٥٦٢م. فـاعتبر كسـرى ذلـك خرقـاً للسـلام فغـزا سـورية واسـتولى علـى أفاميـا ودارا، فلم يتحملْ جوستينُ الثاني الصدمةَ فأُصيبَ بلوثةٍ عقليةٍ سنة ٥٧٣م[2].

١- اللومبارديون، أعضاء قبيلة جرمانية غزت معظم إيطاليا أواخر القرن السادس الميلادي. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٢١، ص٢١٠.

٢- مـار ميخائيـل الكـبير، المصـدر السـابق، ج٢، ص١٧١. عبـد العزيـز، دراسـات في تـاريخ وحضـارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٩.

Vasiliev , History of The Byzantine Empire,. Vole 1, Vole 1- P.170.

عيَّنَ مجلسُ الشيوخِ تيباريوسَ - قائدَ الحرسِ الإمبراطوريّ - قيصراً سنة ٥٧٤م فاستطاع الحصولَ على هدنةٍ لمدةِ عامٍ كاملٍ مع إيرانَ مقابلَ ٤٥ ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ، كما أنهُ اضطَّر إلى دفعِ إتاوةٍ سنويةٍ للأفارِ[1].

بقي الفرس يهددون حدودَ الدولةِ الشرقيةِ. وفي عام ٥٧٥م قام كسرى أنوشروان بغزو أرمينيةَ، وحاصرَ مدينة ثيودسيوبوليس (أرضروم)[2] واخترق قبادوقية[3]، وأضرم النارَ في مدينة سبسطيةَ[4]، وفي النهاية نجحَ تيباريوسُ في الحصولِ على هدنةٍ مؤقتةٍ مع الفارسيين، ولمدة ثلاثِ سنواتٍ تقتصرُ على إقليمِ الجزيرةِ (ما بين النهرين)، مقابل التزامِ بيزنطةَ بدفع ٣٠ ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ إلى إيران كإتاوةٍ سنويةٍ.

١- الأفار، شعب أسيوي ينتمي إلى جموع الهون (الترك)، اتجهوا من موطنهم بآسية الصغرى ووصلوا إلى شواطىء البحر الأسود الشمالية وشمال الدانوب منذ سنة ٥٥٠، وفي سنة ٥٦٧م تحالفوا مع اللومبارديين، وأخذوا يغيرون على البلقان، وفي سنة ٥٧٦م هاجموا تراقيا وشبه جزيرة اليونان، كما قاموا بعد عشر سنوات ٥٨٦م بحصار تسالونيكة، وعانت بيزنطة كثيراً من غاراتهم إذ كانوا محاربين من الطراز الأول، وبعد أن وقعت بيزنطة صلحاً مع إيران عام ٥٩١م وجهت جيوشها للقضاء على الأفار، لكنها لم تحقق إلا انتصارات جزئية. عبد العزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٠- ص ١٠٢. فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١١٨- ص١١٩.

٢- أرضروم، مدينة تقع في هضبة الأناضول، ترتفع نحو ١٨٠٠م عن سطح البحر. وهي أكبر مدينة في هذه الهضبة تبعد حوالي ١٥٠كم إلى الشمال الغربي من بحيرة وان. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية،ج١، مادة أرضروم، ص٩١٤.

٣- قبادوقية، إحدى المقاطعات البيزنطية، تقع وسط الأناضول. انظر موقعها على الخارطة رقم(١).

٤- سبسطية، مدينة قرب سميساط على أعلى الفرات، الحموي، المصدر السابق، ج٣، مادة سبسطية، ص٢٠٨.

Jones (A.H.M)- The Later Roman Empire – 284 – 602 – Asocial Economic And Administrative -Survey –Oxford – 1964. – PP. 304 -307.
Grousset (R) – Histoire de L Arménie – Paris – 1947 – P. 240

الفصلُ الأولُ

التطورُ الفصل للدولةِ الفارسية في القرنِ السادسِ الميلاديِّ

١ـ الحياة الاجتماعية:

ـ طبقات المجتمع:

١ـ طبقة النبلاء:

ـ الملك.

ـ رئيس الوزراء.

ـ الوزراء.

٢ـ طبقة رجال الدين:

ـ الموبذان موبذ.

ـالهرابذة.

ـ مهام رجال الدين (القضاء).

٣ـ طبقة رجال الحرب:

أـقسام الجيش:

ـ الفرسان.

ـ الفيلة.

ـ المشاة.

ـ الفرق المساعدة.

ب- تنظيم الجيش.

٤- طبقة الكتاب.

٥- طبقة الأحرار.

٢- الحياة الاقتصادية:

١- الزراعة:

- أهم المزروعات وملكية الأرض.

- نظام الضرائب.

- إصلاح نظام الضرائب.

- ثورة مزدك.

٢- الصناعة.

٣- التجارة والنقد.

٣- الحياة الدينية:

- المعتقدات القديمة.

- الديانة الزرادشتية.

- الدعوة المانوية.

- الدعوة المزدكية.

- اليهودية.

- المسيحية.

٤- الحياة الفنية:

- فن العمارة.

- فن الزخرفة والرسم.

- فن النحت.

- الموسيقى.

إن معرفة الأوضاعِ الداخليةَ للدولةِ الفارسية هامٌّ وضروريٌّ لدراسةِ السياسةِ الخارجيةِ لها ، لأنَّ السياسةَ الخارجيةَ هي انعكاسٌ للاستقرارِ الداخليِّ الذي تعيشُهُ البلادُ. ومن هنا وجدت أهميَّةً كبيرةً لإلقاءِ الضوءِ على التطورِ الداخليِّ لها من النواحي المختلفة.

١- الحياةُ الاجتماعيةُ:

تميَّزَ الإيرانيون عن غيرهم بنحالةِ الأجسامِ وسُمرةِ البشرةِ وبالشَّعرِ الأشعثِ. وقد عاشوا حياةً طبقيةً تظهرُ بشكلٍ جليٍّ في اللباسِ، فتميز لباسُ الملوكِ بأحذيةٍ قصيرةٍ حمراءَ وسراويلَ زرقاءَ وأغطيةً للرأسِ[1] .ولعلَّ الرجالَ ارتدَوْا ((العمائمَ على رؤوسِهم والسراويلَ في سيقانهم أمَّا النساءُ فقدِ ارتَدَيْنَ قمصاناً واسعةً وسراويلَ قصيرةً))[2]. وهكذا كان لباسُ أهل كُلِّ طبقةٍ خاصاً بها لا يلبسُهُ أحدٌ مِّمَّن في غيرِ تلك الطبقةِ فإذا وصلَ رجلٌ للملك عُرِفَ بواسطةِ لباسِ الطبقةِ التي هو منها[3].

. طبقات المجتمع:

كان المجتمعُ الفارسي مقسماً لعدةِ طبقاتٍ يصعُبُ الدمجُ بينها[4]. فجاء على الشكل التالي طبقةِ الملوكِ والإقطاعيين ثم رجالِ الدينِ، وفي المرتبة الثالثة رجالُ الحربِ وتتدرج بعد ذلك طبقاتُ الكُتَّابِ والفلاحينَ ......إلخ. وتأخذ هذه الطبقاتُ

١- انظر اللوحة رقم (١).

٢- جشنسف، المصدر السابق، ص١٩.

٣- الجهشياري(أبو عبد الله محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣.

الخشاب(يحيى): التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م، ص١٩.

٤- كيرشمن (رومن): إيران أزآغاز تا إسلام، ترجمة محمد معين، انتشارات علمي فرهنكي، طهران، جاب بنجم، ١٩٨٥م، ص٤١٦.

بالازديادِ عدداً وبالتضاؤلِ نفوذاً كلما ابتعدنا عن قمةِ الهرمِ إلى القاعدة[1].

١ـ طبقةُ النبلاءِ.

ـ الملكُ:

رئيسُ الشعبِ الشاهنشاهُ ملكُ الملوكِ[2]. يجلسُ الملك بعيداً عن الآخرينَ على كرسيِّ العرشِ، الموضوعِ عليها التاجُ الملكيُّ الذي لا يُثَمَّنُ بثمنٍ، ويفصُلُ بينه وبين حاشيتِهِ ستار، حتى أقربِ رجالِ البلاطِ لا يستطيعُ أن يقتربَ منه إنْ لم يكنْ لديه إذنٌ خاصٌّ.

تشكَّلَ البلاطُ الملكيُّ من ثلاثِ فئاتٍ أساسيةٍ: الأولى لأصحابِ الرُّتَبِ العاليةِ والأمراءِ الكبارِ المعروفينَ، ويقفُ هؤلاءِ في الجهة اليمنى من العرشِ على مسافةٍ تُقَدَّرُ بثلاثينَ قَدَمٍ بعيداً عن الستارِ الملكي[3]، والفئةُ الثانيةُ الحكامُ، حُكّامُ الولاياتِ والملوكُ الخاضعينَ للدولةِ الفارسية ، ويقفُ هؤلاءِ على المسافةِ نفسها خلفَ الفئةِ الأولى، ثم تأتي الفئةُ الثالثةُ وتشملُ الممثلينَ والموسيقيينَ وما شابه ذلك. أما الجهةُ اليسرى من العرشِ فيقفُ فيها الحرسُ الملكيُّ[4].

عندما يُعطي الملكُ إذناً لأحدِ رعاياهُ كان هذا يربطُ على فمه منديلاً حتى لا يلوث مقَامَ الملكِ ، وعندما يدخلُ إلى الستارِ يرمي نفسَهُ على الأرضِ مباشرةً، ويبقى

١- باقر(طه): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (حضارة وادي النيل، جزيرة العرب، بلاد الشام وبلاد إيران، الإسكندر، السلوقيون، اليونان، الرومان) دار المعلمين العالمية للطباعة، ط١٩٥٥،٢م، ج٢، ص٥١١.

خريسات(محمد عبد القادر) وآخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ص١٣٨.

٢- الخشاب، المرجع السابق، ص١٧.

٣- الجاحظ(عمرو بن بحر): التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م، ص٢٦.

٤- الجاحظ، المصدر السابق، ص٢٢.

حتى يُؤْذَنَ لهُ بالوقوفِ[1]. وبالنسبةِ لنساءِ الملكِ فلم يكنْ هناك قانونٌ يُلْزِمُهُنَّ أنْ يكُنَّ منزويات، بل كانتْ لَهُنَّ حُرِيَّةٌ لا بأسَ بها. ومعروفٌ عن البلاطِ الملكيِّ الفارسي كثرةُ النساءِ فيهِ إذْ يُذْكَرُ أنَّ نساءَ كسرى أبرويز بَلَغْنَ بحدودِ ثلاثةِ الافِ إمرأةٍ[2] واثنتَي عَشْرةَ ألف جاريةٍ مطربةٍ وراقصةٍ[3].

بالإضافةِ للملكِ تشملُ هذه الطبقةُ أتباعَ الملكِ من الإقطاعيينَ، والنبلاءِ والأمراءِ الكبارِ والصغارِ الذين كانوا ملوكاً صغاراً تابعينَ للملك الكبيرِ بصفتهِ ملكِ الملوكِ، ويدخلُ ضمن هذه الطبقةِ أيضاً أمراءُ السُّلالةِ الحاكمةِ، الذين عُهِدَتْ إليهم إدارةُ الحكومةِ في الولاياتِ الكبيرةِ مثلِ إقليمِ سيستانَ[4] وكرمانَ[5] وغيرِها[6]، كالولاياتِ الكبرى التي ضُمَّتْ بالفتحِ إلى الدولةِ الفارسية. وقد قَلَّ في هذهِ الحقبةِ عددُ حكامِ الولاياتِ الذين ينتمونَ لغيرالأسرةِ الحاكمةِ (الفارسية)، خاصةً في أطرافِ الدولةِ التي كانتْ وظيفتُهُمْ حمايةَ الحدودِ الفارسية، أيْ أنهم كانوا يشكلونَ خطَّ الدفاعِ الأوَّلَ ضدَّ أعداءِ الدولةِ[7].

١- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٤١.

٢- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٤٢.

٣- الأصفهاني(حمزة بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٤٧.

٤- سيستان، تقع في الجنوب الشرقي من إيران، ويعرف قسمها الجنوبي بمكران، ويعتبر من الأقاليم الجافة. زنده دل(حسن): استان سيستان وبلوجستان، ترجمة محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات كاروان جهانكردان، جاب أول طهران، ١٣٧٩هـ، ص١٧٣ – ص١٧٤.

٥- كرمان، ناحية كبيرة شرقها مكران وغربها وجنوبها فارس وشمالها خراسان.

البكري(عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجم، تحقيق وضبط مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م ، ج٤، ص١١٢٥. الحموي، المصدر السابق، ج٤، مادة مكران، ص٥١٥ – ص٥١٦. القزويني،المصدر السابق، ص٢٤٧. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٩٩.

٦- باقر، المرجع السابق، ج٢، ص٥١١. خريسات، المرجع السابق، ص١٣٨.

٧- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧١.

يلـي الأمـراءَ الكبـارَ في السُّلَّمِ الاجتمـاعيِّ رؤسـاءُ الأُسـرِ السـبعِ، وهـي أُسَـرٌ إيرانيةٌ نبيلةٌ ظلَّ عددُها وامتيازاتُها متوارثةً من العهدِ الأخمينيِّ[1]، وقد ورثه الفرس ومن وظائفِها الوراثيةِ رياسةُ الشؤونِ العسكريةُ ورياسةُ الفرسانِ وغيرِ ذلك[2].

قام الفرس بمحاولاتٍ متعددةٍ للتخفيفِ من حدَّةِ النظامِ الإقطاعيِّ، واستطاعَ الملوكُ الأقوياءُ أن يحدُّوا من هذا النفوذِ حتى عهدِ شابورَ الثاني[3]، حيث انتعشَ النظامُ الإقطاعيُّ فيما بعدُ وازدادَ خطرُهُ على الدولةِ خلالَ عهدِ الاضطراباتِ والضعفِ، الذي دام زُهاءَ ١٢٥سنة حتى اعتلى كسرى الأول أنوشروان عرشَ الدولةِ الفارسية . فاستطاع ومَنْ خَلَفَهُ مِنْ ملوكٍ أقوياءَ أن يخففوا شرورَ هذا النظامِ، وكان كفاحُ الطبقاتِ الأرستقراطيةِ الإقطاعيةِ ضدَّ هؤلاءِ الملوكِ لحمايةِ امتيازاتِهم، أهمَّ العواملِ التي ساهمتْ في سقوطِ الدولةِ الفارسية [4].

لم تكن امتيازاتُ هذه الفئةِ معروفةً بشكلٍ واضحٍ، ولكنَّ المرجَح أنَّها وَصَلَتْ إلى ولاياتٍ عديدةٍ، فقد ذُكِرَ أنها كانتْ تجبي الضرائبَ من فلاحيها. بالإضافة لما كان يُجْبَى منها إلى خزينةِ الملكِ. مقابلَ هذه الامتيازاتِ كانتْ تلك الأُسَرُ الإقطاعيةُ تمدُّ الملكَ بالمساعداتِ العسكريةِ الماديةِ والمعنويةِ كُلَّما دَعَتِ الحاجةُ لذلك. وهناك صِنْفٌ آخَرُ منَ النبلاءِ يصحُّ أنْ نطلقَ عليهِ اسمَ الوجهاءِ أو الأشرافِ، وكانوا بمثابةِ القوةِ المعادلةِ للأسرِ السَّبْعِ النبيلةِ الكبيرةِ، ويشملُ هذا

١- العهد الأخميني، نسبة إلى الأخمينيين وهي أسرة حكمت إيران أكثر من قرنين (٥٥٠ — ٣٣٠ ق. م) تنسب إلى جدها الأكبر أخمينوس، ومن أبرز قادتها قوروش الكبير، انتهى حكمها أمام جحافل جيوش الإسكندر المقدوني الذي تمكن من الانتصار على دارا الثالث وسيطر على إيران. غربال، (محمد شفيق): الموسوعة العربية الميسرة،دار القلم، بيروت، ١٩٥٩م،،ج١، ص٦٦.

٢- خريسات، المرجع السابق، ص١٣٩.

٣- شابور الثاني، من أعظم ملوك الأسرة الساسانية حكم بين عامي(٣٠٩ -٣٧٩م): وطبع القرن الرابع بطابعه.

غربال، المرجع السابق،ج١، ص ٩٤٣.

٤- باقر، المرجع السابق، ج٢، ص٥١٢. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٢.

الصنفُ كبارَ موظفي الدولةِ والوزراءِ ورؤساءِ الإدارةِ وبعضِ قادةِ الجيش[١].

- رئيسُ الوزارةِ :

هو رئيسُ الإدارةِ المركزيةُ ولُقِّبَ في البدايةِ بـ هزاربد أوهزارباتي **Hazarpati** – **Hazarpd** وتعني قائدَ الألفِ رجل. ويُعَدُّ أولَ موظفٍ في الدولةِ فقد كان مكلَّفاً بإدارةِ دفةِ الأمورِ، ولكنْ تحتَ رقابةِ الملكِ، الذي أدارَ بواسطته شؤونَ مملكتِهِ[٢]، وبالمقابل كان في كثيرٍ من الأحيانِ يتصرفُ بما يراهُ مناسباً دونَ الرجوعِ للملكِ، بالإضافةِ لذلك، كان يقومُ مقامَ الملكِ أثناءَ غيابِهِ في رحلاتِهِ أو في حروبِهِ، ومن اختصاصاتِهِ أيضاً المفاوضاتُ الدبلوماسيةُ وقيادةُ الجيشِ[٣].

فالوزيرُ منَ الملكِ بمنزلةِ سَمْعِهِ وبصرِهِ وقلبِهِ، وعليه أن يحفظَ مصالحَ الدولةِ ويدفعَ عنها الآفاتِ العارضةَ[٤]، مما يعني أنه كان يتدخَّلُ في كُلِّ شيءٍ. فقد كان الوزيرُ هو الرجلُ المثقفُ ثقافةً كاملةً والممتاز في سلوكِهِ والمتقدمُ لأهلِ زمانهِ، ((ذو أخلاقٍ حميدةٍ وأفعالٍ رشيدةٍ وآراءَ سديدةٍ. وأن تكونَ فيه العدالةُ والنزاهةُ والشجاعةُ والسياسةُ[٥])) كما كان بيّنَ الطَّبْعِ، حذراً قادراً على التأثيرِ على الملكِ إذا اتَّبعَ الهوى[٦].

قُيِّدَت سلطةُ الوزيرِ في نقاطٍ ثلاثٍ: الأولى لم يكنْ باستطاعته أن يختارَ خلفاً له أومَنْ يقومُ مُقَامَهُ. والثانيةُ لا يجوزُ له أن يطلبَ إقالتَهُ مِنَ الشَّعْبِ، لأنه يتصرفُ باسمِ الملكِ لا باسمِ الشعبِ. والثالثةُ لا يستطيعُ أن يعزلَ أو ينقلَ الموظفينَ الذين عُيِّنوا بناء على أمرٍ ملكيٍّ دون استئذانِ الملكِ. وبالرغم من ذلك كانتِ العلاقةُ حميمةً

١- باقر، المرجع السابق، ج٢، ص ٥١٢ – ص٥١٣. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٢ – ص٣٧٣.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٠.

٣- خريسات، المرجع السابق، ص١٣٩. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٢.

٤- الثعالبي(أبو منصور): تحفة الوزراء، تحقيق ودراسة سعد أبو ديه، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م، ص٣٣.

٥- الثعالبي، تحفة الوزراء، ص٣٩.

٦- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٢.

بين الملكِ ووزيرِهِ، ((كان ملوكُ إيران يُمجِّدونَ وزراءَهُم أكثرَ من أيِّ ملكٍ آخرَ، وكانوا يقولون: إنَّ الوزيرَ هو مُنظِّمُ أعمالِنا وزينةُ دولتِنا، وإنه لسانُنا الذي نعبِّرُ بهِ، وسلاحُنا الذي أتاحَ لنا أن نضربَ به أعداءَنا في البلادِ البعيدةِ[1])).

تَغيَّرَ وضعُ رئيسِ الوزراءِ بدءاً من عهدِ قباذ الأولِ (٤٨٨- ٥٣١) وخلالَ عهدِ كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م)، بعد الانتقاصِ من اختصاصاتِهِ وذلك عندما احتفظَ الملكُ بحقِّ تعيينِ ثلاثةٍ من كبارِ الموظفينَ الملحقينَ به، ومنحهم حقَّ رفعِ التقاريرِ والمقترحاتِ مباشرةً له، بما في ذلك الأمورُ المتعلقةُ بأعمالِ الوزارةِ[2]. فقد عَيَّنَ قباذ الأول موظفاً لقبه (أستبذ) أي رئيس التشريفات كما أدخل نظام الباذكوسبان الأربعة ولعلَّ كلمةَ باذكوسبان في الأصل لقباً للوالي الذي يرأس جزءاً من الولاية[3]. وهؤلاء الباذكوسبان الأربعة (هم المرازبة[4]) وهم مرزتوران الشمال، مرزايران المشرق، نيمروز الجنوب وحزاباران الغرب[5]. وقد ورد ذكر هؤلاء الباذكوسبان عند الطبري ولكن مع اختلاف بسيط في الكلمات أوالمسميات[6].

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٣.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ص٥٨٨ – ص٥٨٩.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٢٨.

٤- المرازبة، جمع مرزبان وهم ما وراء الملوك، وهم ملوك الأطراف ومرز هو حد بالفارسية ومرزبان صاحب الحد وحاكم الثغور، وكان الإيرانيون يُسمون صاحبَ النهر (أعني نهر جيحون) مرزتوران أي حد الترك وكان أهل خراسان يسمونه مرزايران أي حد العراق وخراسان وتفسيره المشرق، وحزاباران هو المغرب.

الخوارزمي (محمد بن أحمد): مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م ص١٣٧.

٥- الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٧. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٣٨ + حاشية رقم ٢.

Malcolm (John) – History Of Persia From The Early Period to The Present Time –London, Vole, 1-P.139.

٦- الطبري، المصدر السابق. ج٢، ص٩٨ – ص٩٩.

ـ الوزراءُ:

كان الوزراءُ في الدولةِ الفارسية يشكلون عمادَ المجلسِ الاستشاريِّ للملكِ الذي كان يأخذ برأيهم. وقد كان ملوكُ آلِ ساسانَ يمجدون وزراءَهُم، لأنهم يشكلون السَّندَ للدولةِ، ويدافعون عنها في البلدانِ البعيدة[1]، كما كان الوزراءُ يرافقونَ الملوكَ في رحلاتِ الصيدِ حيثُ يقفُ لنا الوزيرُ بزرجمهرُ مثالاً صريحاً عن ذلك[2].

لم يكنْ في الدولةِ الفارسية تخصصٌ للوزراءِ كما يُلاحَظُ اليومَ، أو خلالَ العهودِ الإسلاميةِ، وجلَّ ما ذكر عن نشاطِ هؤلاءِ هو مهامُ رئيسِ الوزراءِ وبعضُ ما كان يقومُ به الوزراءُ. فقد تمتَّعَ الوزراءُ بقوةٍ عظيمةٍ، إذْ كان الملكُ يعتمدُ عليهم ويُسلِّمهم كُلَّ أمورِ البلادِ، وكانتْ تزدادُ سلطتُهم وتقوى شوكتُهم عندما يكون الملكُ من ذوي الملذاتِ والشُّرْبِ والصيدِ[3]. وكان الوزيرُ مسؤولاً عند حصولِ الخَلَلِ في شؤونِ الدولةِ إذْ كانَ هو أولُ شخصٍ يسألُهُ الملكُ عن سببِ الاضطرابِ وسوءِ أحوالِ الرعيةِ[4].

لم يساورِ الشَّكُ ملوكَ إيرانَ ضدَّ وزرائِهم، إذْ كانَ هؤلاءِ يتمتعونَ بثقةٍ كبيرةٍ مِنْ قِبَلِ الملكِ. فيُذْكَرُ عن كسرى أنوشروان أنه كان لا يأمَنْ على غذائِهِ إلا وزيرَهُ مهبودَ وولدَيْه. ولكن أحياناً كان الدسُّ والإغراءُ بالملكِ يدفعُهُ للشَّكِ بوزيرِهِ، أو أنَّ أصحابَ الشأنِ الذين يضرُّهُمْ وجود أحد الوزراءِ يسعَوْنَ للإيقاعِ به. وهذا ما حصل مع الوزيرِ مهبودَ نفسِهِ وولدَيْهِ حيثُ تمكنَّ أحدُ السَّحَرةِ منْ أن يغشَّ اللبَّنَ المحضَّرَ لغذاءِ الملكِ من قبلِ الوزيرِ وولدَيْهِ، ويَسُمُّهُ فلما ذاقَ ولداهُ اللبنَ قُتِلا في الحال

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٣.

٢- - الفردوسي(منصور بن فخر الدين): الشاهنامة، ترجمة الفتح بن علي البنداري، قارنها وأكمل ترجمتها عبد الوهاب عزام، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م، ج٢، ص١٥٧.

٣- الطوسي(نظام الملك): سياست نامة(سير الملوك): ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت، ص٥٣.

٤- الطوسي، المصدر السابق، ص٥٤.

ونَكَبَ كسرى أنوشروانُ وزيرَهُ ونهبَ بيتَهُ[1].

٢. طبقةُ رجالِ الدين:

تأتي طبقةُ رجالِ الدين في الدرجة الثانية في السُّلَّمِ الاجتماعيِّ ويُسَمَّوْنَ بالمغان، وهم بالأصل طبقةٌ خاصةٌ من الميديين لهم امتيازاتُ الرياسةِ الروحية[2]. وكان الرؤساء الروحانيون يُختارون منهم وقد تزايد عددُهُم مع مرورِ الزمن.

ينسب رجالُ الدينِ أنفسَهُم إلى التاريخ الخرافيِّ المجيدِ لإيرانَ وذلك ليتساوَوْا مع الأُسَرِ النبيلةِ الكبيرةِ. فالفرس مثلاً يرّقون بنسبهم إلى الأُسرةِ الأخمينية إلى كاوي ويشتاسب(كتشاسب) حامي زرادشت. ومعظمُ الأُسَرِ النبيلةُ الأخرى تنسِبُ نفسَها إلى أصلٍ مجيدٍ من الإشكانيين[3]. لهذا نَسَبَ رجالُ الدينِ أنفسَهم إلى جدهم الخرافيِّ منوجترا الذي يعود بنسبه إلى أسرة برذاتا الخرافية[4].

أصبغت السلطةُ الروحيةُ على السلطان الدنيويِّ طابَعَها المقدسَ، وكانتْ تدخلُ في حياةِ كلِّ فردٍ وفي كلِّ أمرٍ مُهمٍّ: (فالجميعُ يُجلِّوْنَ اليومَ المغانَ وينظرونَ إليهم بكثيرٍ من التعظيمِ، فالأشغالُ العامةُ منسقةٌ وِفْقَ نصائِحِهم وإرشادِهم، وهم يتولونَ بنوعٍ خاصٍّ قضايا المتخاصمينَ، فيقومون عليها بعنايةٍ تامةٍ ثم يقضون فيها، ولا يحلُّ الإيرانيون أيَّ شيءٍ أو يرونه عادلاً ما لم يَقُلْ رجالُ الدينِ بذلك)[5].

١- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢و ص١٣٧ – ص١٣٨.

٢- خريسات، المرجع السابق، ص١٣٩.

٣- الإشكانيون، هم الإيرانيون البارتيون أوالفرثيون يعودون بأصلهم إلى الآريين الإيرانيين، امتدت فترة حكمهم منذ تغلبهم على السلوقيين خلفاء الإسكندر حتى نهاية دولتهم على يد الساسانيين، بين عامي (٢٥٠ ق..م – ٢٢٤م).

بيرنيا، المرجع السابق، ص ١٧٧، ص١٧٨، ص٢٠٨.

٤- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٤.

٥- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٤.

وقفَ رجالُ الدينِ لجانبِ النبلاءِ والإقطاعيينَ[1] في أوقاتِ الاضطراباتِ والحدَّة. ومعروفٌ خلال هذه الأوقات يعملُ الملكُ فيها على تقويضِ سلطةِ النبلاءِ ورجال الدينِ معاً، مما دفع بالأخيرينَ للوقوفِ في أغلبِ الأحيانِ ضدَّ سلوكِ الملكِ. وخيرُ مثالٍ على سلطتهم وقوةِ نفوذِهم عَزْلُهم للملكِ قباذ الأول عندما أيَّدَ الثورةَ المزدكيةَ.

تقسمُ طبقةُ رجال الدين إلى فئتين: الأولى وتُشَكِّلُ طبقةَ رجالِ الدين الصغار ويُلَقَّبُ فيها رؤساءُ المعابدِ (بـ مغان مغ). والثانية الطبقةُ العليا منهم وتشملُ الموابذةَ. وكانتِ الدولةُ كُلُهُا مُقَسَّمةً إلى مراكزَ دينيةٍ على رأسِ كلِّ مركزٍ موبذ[2] يدير شؤونَها[3].

ـ الموبذان موبذ[4]:

يتبعه رؤساء المراكز الدينية(الموابذة) في ولاياتِ الدولةِ ويرأسهم جميعاً. ومن الذين شغلوا منصبَ موبذان موبذ أيام كسرى أنوشروان آزادسذ وكانت له السلطةُ العليا في المسائل الدينيةِ، إذ يرجع إليه الفصل في المسائل النظريةِ في الأصولِ والفروعِ، وهو الذي يُفْتي في المسائلِ العلميةِ، والسياسيةِ والروحيةِ، كما يرجع له تعيينُ وعزلُ الموظفينَ الدينَيينَ.

أضف إلى ذلك أنه يشترك في تكوين هيئاتِ محاكمِ التفتيش، وخاصةً في الأقاليمِ التي يشتد فيها العداءُ للدين، ومن الممكن أن يكون له تأثيرٌ قويٌّ في

١- أربري(أ- ج): تراث فارس، كتب فصوله مجموعة مؤلفين، نقله للعربية محمد كفافي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، أحمد عيسى، اشترك في كتابته وراجع ترجمته يحيى الخشاب، وزارة التربية والتعليم قسم الترجمة والألف كتاب، إدارة العلاقات الثقافية، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، ص١٤.

٢- موبذ، هو قاضي المجوس. الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٨.

٣- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٢.خريسات، المرجع السابق، ص١٣٩.

٤- موبذان موبذ، هو قاضي القضاة.الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٨.

المسعودي(أبي الحسن علي بن الحسين): التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، لبنان،١٩٦٥م، ص١٠٣.

جميعِ شؤونِ الدولةِ بوصفه الرائدَ الخُلُقيَّ، والمرشدَ والمُسيِّرَ الروحي للملكِ[1].

ـ الهرابذة[2]:

هم الذين يديرون المراسيمَ الدينيةَ في المعابدِ مما يتطلبُ معارفَ خاصةً وتجربةً عظيمةً وهم المسمَّوْنَ أثترابايتي **Aethetra Paitti** في الأوستا[3]. ورئيسُهم الأعلى يُسمَّى الهربذانَ هربذَ ويُعَدُّ من أعظمِ الشخصياتِ الدينيةِ بعد الموبذان مَوْبذ. وكان الهرابذة يصدرون أحكاماً بوصفهم قضاة[4].

من الوظائف الدينية الأخرى وظيفةُ وردَبد أي أستاذ العمل، ودَسْتوَر الذي كان خبيراً بالمسائلِ الدينيةِ، وهو رجلُ دينٍ وشَرْعٍ يلجأ الناسُ إليه لحسمِ القضايا المشْتَبَهِ بها[5].

ـ مهام رجال الدين:

يُعَدُّ القضاءُ وعقودُ الزواجِ وشهاداتُ الميلادِ أهمَّ الوظائفِ التي أُنيطتْ برجالِ الدينِ. ولكن لا تنحصر مهامُهم بها بل امتدت إلى أراضيهم التي يملكونها، وإلى مواردِهم التي يجبونها من الغرامات الدينية والهبات[6]. وربط هؤلاء بالجمهور وظائفَ عدَّةٍ كإجراءِ أحكامِ الطهارةِ، والاعترافِ، والعفوِ والغفرانِ، والحكم بالغرامةِ بعد الإقرار بالذنبِ، بالإضافةِ للمراسيمِ العاديةِ للمواليدِ والجنازاتِ والأعيادِ الدينيةِ، كما توجَّبَ على رجالِ الدين توجيهُ الشعبِ أخلاقياً[7].

ـ القضاءُ:

---

١ - بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٩٣ – ص٢٩٤. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٦.

٢- الهرابذة، جمع هربذ تعني خادم النار. الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٨.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٧.

٤- الخشاب، المرجع السابق، ص١٧. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٧.

٥- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٨.

٦- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٤ – ص١٠٥.

٧- خريسات، المرجع السابق، ص١٣٩. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٠٨ – ص١١٠.

انحصر القضاءُ برجال الدينِ ومن هنا وُجدت أهميةٌ لإلقاءِ ضوءٍ على حالتِهِ في الدولةِ الفارسية ، فقد كان القضاةُ يُعَيَّنُونَ من رجالِ الدينِ لما كان لهم من إطلاعٍ وعلمٍ بأصولِ الدين والشرائعِ، وأحياناً يتم تعيين قضاة من أفرادِ العائلاتِ العريقةِ ، ولكن تعيينَهم كان للحكم بين العظماء. كما كان هناك قاضٍ لكل ناحيةٍ ، أما في القُرى فكان الدهقانُ[1] يتولى التحقيقَ في القضايا ويفصل فيها أحياناً ، بالإضافة لذلك عُيِّن قاضٍ لكل جيش[2]. لذلك كان على القاضي أن يراقبَ سيرَ العدالةِ حتى في سلوكِ السلطاتِ العليا في الأقاليمِ، وكان الرئيس الأعلى للقضاة قاضي الدولة (شهردادور)[3].

أدرك ملوكُ الفرس أهميةَ القضاءِ لذلك كانتِ السلطةُ القضائيةُ تابعةً لهم، وكان معظمُ الملوكِ يمتطون صهوةَ جيادهم في مناسباتٍ معينةٍ، ويقفون على مرتفعٍ يشرفون منه على جمهرةِ الشعبِ في الميدان، وهناك يقضونَ بالعدل لِمن أتاهم شاكياً ظلماً وَقَعَ عليه. وسببُ وقوفِهم هذا أن ((الملك إذا جلسَ في مكانٍ له أبوابٌ وحواجزُ ودهاليزُ وسترٌ، فإنَّ أصحابَ الأغراضِ والظالمينَ من الحاشيةِ يمنعون المتظلِّمَ مِنَ الدخولِ إليه[4])).

كانتِ الأوستا وشروحُها ومجموعُ فتاوى الفقهاءِ الدينيينَ أهمَّ مصادرِ القانون[5]، ولكنْ لم يكنْ هناك مصادرُ قانونيةٌ بالمعنى الصحيح للكلمة. أما المحاكمُ فقد تكونت من قضاةٍ من مختلف الدرجاتِ، وحدَّدَ القانونُ للقضاةِ مدةً لاستدعاء الشهود ، ووُجِدَتْ قيودٌ تحدُّ من ثرثرةِ المتخاصمين التي تطيلُ مُدةَ المحاكماتِ، وتعرقلُ سيرَ القضايا ، وبالإضافة لذلك من الممكن التظلُّمُ من

١- الدهقان، رئيس أوصاحب القرية. حسنين(محمد عبد المنعم): قاموس الفارسية، دار الكتاب١٣اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، مادة دهقان، ص٢٧١.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠١.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٨٥.

٤- الطوسي، المصدر السابق، ص٥٠.

٥- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٨٩.

القاضي الذي يقدم ولمصلحتهِ الخاصةِ قضيةً مشكولاً فيها على أنها ثابتة، وقضية ثابتة على أنها قضيةٌ مشكوك فيها[1].

وفيما يتعلقُ بالعقوباتِ فقد كانت على ثلاثةِ أشكالٍ: أولُها وأشدُّها العقوبةُ على الجرائم المرتكبةِ بحقِّ الإلهِ، والثانيةُ على الجرائمِ المرتكبةِ بحقِّ الملكِ، والثالثةُ والأخيرةُ على الجرائم المرتكبةِ بحقِّ الأفرادِ.

كانتِ العقوباتُ الدينيةُ على ثلاثةِ أُسسٍ: أ- التوبةُ، ب- التزكيةُ، ج- الجزاءاتُ، فتتم التوبةُ عن ندم المذنب ولا تحول بينه وبين العقابِ الدنيويِّ ولكنها تطهرُ روحَهُ وتمنعُ عنه عقوبةَ الآخرةِ. والتزكيةُ هي إبعادُ الأرواحِ الشريرةُ عنهُ بالطقوسِ الدينيةِ. أما الجزاءاتُ فمنها ما يستوجبُ القتلَ كالإعدامِ ومنها الغراماتُ الماليةُ وبعضُها العقوبةُ البدنيةُ[2].

عاقب الفرس مجرميهم بالعقوباتِ المشهورةِ لديهم كسمل العيونِ والصَّلْبِ وسلخِ الجلدِ، التي تستخدم عادة عند معاقبة الثائرينَ والخارجينَ على الدولةِ. وشاعتْ أيامَ الفارسيينَ عقوبةُ الموتِ تحتَ أقدامِ الفيلةِ، وعذبوا المجرمين بضرباتِ السِّياطِ المصنوعةِ من أعصابِ البقرِ المجدولةِ، وكانوا يصبون في الجروحِ الخلَّ والملحَ والموادَّ الكاويةَ. ومن أشدِّ أنواعِ العقوباتِ والتعذيبِ فظاعةً ما يُسمَّى بالتسعِ موتاتٍ وهي تبدأُ بقطعِ أعضاءِ المجرمِ الواحدِ تلوَ الآخرِ حتى تنتهي بالرأسِ، وهناك عقوباتٌ أخفُّ وطأةً كمصادرةِ الأموالِ والأشغالِ الشَّاقةِ، ولكنْ يجبُ التنويهُ هنا أنَّ هذه العقوبات لم تكنْ تنفذُ بحذافيرِها، بل كان للرأفةِ مكانٌ لا بأسَ به في قلوبِ الحكام[3].

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٨٩.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٢٨ — ص٣٢٩.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٩٥ - ٢٩٧.

٣- طبقةُ رجالِ الحربِ:

تولى قيادةَ الجيشِ الفارسي قائدٌ واحدٌ هو إيرانُ سباهبد[١] أوالأصبهبذ[٢]، الذي شملت مهامُهُ أركاناً ثلاثةً أساسيةً، هي شؤونُ الحربِ وقيادةُ الجيشِ العليا، والقيامُ بمفاوضاتِ الصلحِ مع العدو[٣].

كان قائد الجيشِ من أعضاءِ المجلسِ الاستشاريِّ للملكِ، مما يدلُّ على دورِهِ الكبيرِ في تنظيمِ الجيشِ وتدبيرِ أمورِهِ، كما كان مستقلاً إلى حدٍّ ما في عهد الملوكِ المسلمينَ، وذلك لأنَّ الملكَ كان يتدخلُ في معظمِ الأوقاتِ في المسائلِ المتعلقةِ بالحرب. هذا بالإضافة إلى تدخلِ كبيرِ الوزراءِ في إطارِ عملِهِ أيضاً[٤].

أ- أقسامُ الجيش:

قُسِّمَ الجيش إلى عدَّة أقسام إختصَّ كلُّ قسمٍ منها بجانبٍ محدَّدٍ أثناءَ القتالِ والحربِ، وكان لهذا التنظيمِ والتنسيقِ أثرٌ كبيرٌ في حسمِ نتيجةِ المعركةِ غالباً لصالحِهم. كما ساعد ذلك على تجنب الفوضى والاضطراباتِ، وبالتالي التقليلِ من عددِ القتلى خلال الأحداثِ الطارئةِ التي تدفعهم للانسحاب.

- الفرسانُ:

شكَّلَ الفرسانُ (الأساورةُ[٥]) القسمَ الرئيسيَّ من الجيشِ وكانوا على عدةِ أقسامٍ تفاوتتْ حَسَبَ أهميَّتِها ودورِها في المعركةِ، كما تفاوتتْ حسبَ جمعِها وتدريبِها وجنسيتِها والجهة التابعة لها.

أ- الفرسانُ الخالدونَ (الأساورةُ الخالدونَ): وهم فرقةٌ من الفرسانِ المختارينَ

١- سباهبد، تعني أمير الجيش، أمير الجند، مرتبة عسكرية تعادل (الفريق). التونجي(محمد): المعجم الذهبي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، طبعة مزيدة ومنقحة، دمشق، ١٩٩٣م، ص٣٧٧.

٢- الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٩. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٠٣.

٣- خريسات، المرجع السابق، ص١٤٢.

٤- كريستنسن، المرجع السابق، ص١١٩.

٥- الأساورة، جمع أسوار والأسوار هو الفارس. الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٧.

تتكـوَّنُ مـن عَشَـرَةِ آلافِ فـارسٍ، يحمـلُ رئيسُـهم لقـبَ (ورهرنيكـان خـواذاي) **Varhranighan Khvadhay**.

ب- الفرسانُ المتطوعونَ (الأساورةُ المتطوعونَ): وهم الذين يعدُّهُم ويجهزُهُم الملوكُ التابعون للملكِ للخدمة، ونرى بينهم من جميعِ الطوائفِ القاطنةِ في الأراضي التي تمتدُّ عليها السلطةُ الفارسية [1].

جـ - الفرسانُ الفدائيونَ (الأساورةُ الفدائيونَ) (جان أوسبار **Agan Auspar**): وهم عبارةٌ عن جنودٍ مأجورين[2] امتازوا بالجرأةِ وتحدي الموتِ[3].

ـ الفيلةُ:

اتخَّذَتِ الفيلةُ مكاناً لها خلفَ الفرسانِ، وكان صوتُها ومنظرُها ورائحتُها يدبُّ الذعرَ في خيلِ العدوِّ. وراكبو الفيلة يحملون بأيديهم اليمنى سكاكينَ طويلةَ المقابضِ، ليتمكنوا من قتلِ الفيلِ إذا ذُعِرَ وسَبَّبَ اضطرابَ صفوفِهم[4]. كما كانتِ الفيلةُ عبارةً عن قواتٍ احتياطيةٍ، إذ وضعوا عليها أبراجاً مليئةً بالمحاربين[5].

ـ المشاةُ:

تألَّفتْ مؤخرةُ الجيشِ من المشاةِ (بايكان)، ويقودُهم رؤساؤهم الذين يُسمَّى الواحدُ منهم (بايكان سالار). وكانوا من أهلِ القُرى. ويتخذون جنداً لحفظِ النظامِ ويشاركون في الحربِ دون تشجيعٍ من أحدٍ ودونَ وَعْدٍ بالمكافأةِ[6].

لكنْ ما الذي يدفعُ بهؤلاءِ للمشاركةِ في الحربِ، إذا لم يُشجِّعْهُم أحدٌ ولم يكافئْهُم أحدٌ؟!!. قد تكونُ مشاركةُ هؤلاءِ إجباريَّةً دفعهم إليها قادتُهم الإقطاعيون لخدمةِ الملكِ والبلد، فإذا كان النصرُ أَخَذَ الإقطاعيُّ المكافأةَ

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٩٩ + حاشية رقم ٢. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٧.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص ٢٩٩.

٣- خريسات، المرجع السابق، ص١٤٢. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٩٨.

٤- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٩٨.

٥- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٠.

٦- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٧.

والشتاءَ، وإذا كان الموتُ فلا أهميةَ لموتِهم ولنداءِ عائلاتِهم.

ولعلَّ أسلحةَ المشاةِ كانتْ خفيفةً، منهم مُسلَّحٌ بدروعٍ مستطيلةٍ ومقوسةٍ من الخيزرانِ المتشابكِ المغطَّى بجلدٍ، ومنهم بدون دروعٍ. إلاَّ أنَّ مهارتَهم القتاليةَ بشكلٍ عامٍ كانتْ قليلةً وغيرَ فعّالةٍ[1]. ولم يكنْ لهم أهميةٌ تذكرُ، إذ كانوا يجمعونهم من القرويين ويعطونهم الأسلحةَ والتروسَ ويرسلونهم للحربِ، وفي غالب الأحيانِ لم تُدفَعْ لهم مرتَّباتٌ. كما أنهم استُخْدِموا في تأديةِ الأعمالِ البعيدةِ عن صفوفِ الجنودِ المقاتلين[2].

والسؤالُ الذي يطرح نفسه، مادامتِ الدولةُ لا تُعْنَى بهؤلاءِ، لا تعملُ على تسليحهم بأسلحةٍ خفيفةٍ لحمايتهم، ولا يتقاضَوْنَ شيئاً للمشاركةِ في الحربِ، فلماذا يشاركونَ؟!!. ألم يكنْ هؤلاءِ عبئاً على الجيشِ وسبباً في اضطرابِهِ، خاصةً أنهم قد يلوذون بالفرار؟!!.

ربما لا يكونُ هؤلاءِ مشاة إنما فرقٌ ملحقةٌ بالجيشِ، تعملُ على توفيرِ مستلزماتِهِ كجرِّ الأسلحةِ وتوفيرِ المؤنِ والطعامِ، والعنايةِ بالجرحى وما شابه ذلك، وكانوا أكثرَ راحةً من سواهم وأكثرَ أمناً.

ـ الفرقُ المساعدةُ:

بالإضافةِ للمشاةِ فقد كان هناك فرقٌ مرادفةٌ أو مساعدةٌ، تكونتْ من الشعوبِ المجاورةِ التي تسكنُ في أطرافِ الدولةِ، وكان هؤلاءِ أكثرَ مهارةً وإتقاناً لفنون القتالِ من المشاةِ. ربما لأنهم حكموا من قبل أُمراءَ محليينَ. وكان الجنودُ الأرمنُ[3] من أفضلِ الفرقِ الرديفةِ، وحظوا بمكانةٍ خاصةٍ لدى ملوكِ آلِ ساسانَ.

---

١ - كريستنسن، المرجع السابق، ص١٩٨ — ص١٩٩. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٧.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٠. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٩٩.

٣- الأرمن، يعتقد أنَّ الأرمن انحدروا من أصل آري وامتزجوا مع قبائل بحيرة وان في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، ومنذ تلك الحقبة بدأت النقوش تظهر وعليها كلمة أرمينية. حافظ (فؤاد): تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢١. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج١، مادة أرمن، ص٩٣٣.

وربما كانت بعضُ هذه الشعوب مستقلةً استقلالاً تاماً ولكنها كونت فِرقاً من الجنود للخدمةِ مقابلَ المالِ كفرقةِ الهونِ[1].

ب ـ تنظيمُ الجيش:

كان الجيشُ وقيادتُهُ خلال القرونِ الثلاثةِ الأولى من العهدِ الفارسي، بيدِ القائدِ العامِّ، الذي كان منصبُهُ وراثياً يفوض لأحدِ أفرادِ العائلةِ الملكيةِ؛ الذي يضع تحتَ أمره اثنين من أصحاب المناصب العليا لتنفيذ أوامره: الأولُ لتنظيم أمور العسكر، والثاني قائد للفرسانِ، وهذانِ المنصبانِ أيضاً كانا مفوضَيْنِ لأفرادِ العائلةِ المالكةِ[2].

بوصول كسرى أنوشروان للمُلْكِ تغيَّرَ نمطُ تنظيمِ الجيشِ، وهدَفَ لئلا تكونَ القيادةُ بيدِ شخصٍ واحدٍ؛ وقسَّم قيادةَ العسكر إلى أربعةِ أقسامٍ: قائدٍ لشمالِ البلادِ، وثانٍ لشرقِها، وثالثٍ لجنوبها، ورابعٍ لغربها. وكانتِ الغايةُ من ذلك منعَ تمركزِ كُلِّ القوةِ العسكريةِ بيدِ شخصٍ واحدٍ مما يُشَكِّلُ خطراً على الدولة[3].

حَمَلَتْ أكبرُ الفرقِ العسكريةِ اسمَ كند[4] وسُمِّي قائدُها كُندسالارَ، والفرقةُ الأصغرُ هي فرقةُ درفشَ[5]، أما أصغرُ الفرقِ العسكريةُ فهي فرقةُ وشت[6] **Vasht**، وكان لكل فرقةٍ رايتُها التي تميزها عن غيرها من الفرق[7].

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٩٩ – ص٢٠٠.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ١٩٨.

٣- كيرشمن، المرجع السابق، ٣٧٦.

٤- كند، أكبر فرق الجيش وقائدها قائد الجيش. دهخدا، لغة نامه، مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه، تهران، ١٣٣٥، ج٢١، ص٤٥٦.

٥- درفش، معناها الراية أو العلم. الخوارزمي، المصدر السابق، ص١٣٧.

٦- وشت، وحدة عسكرية صغيرة. وهي القسم الأصغر من فرقة كُند. دهخدا، المصدر السابق، ج٢١، ص٤٥٦.

شتا(إبراهيم الدسوقي): المعجم الفارسي الكبير،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ج٣، ص٣١٢٤.

٧- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٠٠.

في المعاركِ الكبيرةِ التي كان يديرها الملكُ، كان يُحْمَلُ عرشٌ كبيرٌ يُوضَعُ وَسَطَ الجيشِ، ويلتفُّ حولَ العرشِ خدمُ الملكِ وحاشيتُهُ وفرقةٌ من الجندِ؛ كان عليها أن تدافعَ عنه حتى الموتِ. وقد رُفِعَتِ الأعلامُ في أركانِ العرشِ، وخلفَ هذه الأعلامِ يقفُ حرسٌ من الرماةِ والراجلينَ. وفي حال غيابِ الملكِ عن المعركةِ، يتولى قائدُ الجيشِ إدارةَ المعركةِ فيجلسُ على العرشِ ويتابعُ تفاصيلَ الأحداثِ.

والجديرُ بالذكرِ أنَّ معابدَ نارٍ متنقلةٌ توضعُ في خيمةٍ خاصةٍ، ذلك أنَّ الملكَ لا يحاربُ مطلقاً دون أن يصحَبَهُ رجالُ الدينِ وبيوتُ النارِ[1].

وبالانتقال لفنونِ المحاصرةِ فقد توسعت كثيراً في العهد الفارسي، وزادتِ الحيلةُ والمهارةُ في استخدامها[2]. إذ تعلَّمَ الفرس فَنَّ الاستيلاءِ على القلاعِ من البيزنطيين، فاستخدموا آلاتِ الهدمِ والمجانيقَ والأبراجَ المتحركةَ ومختلفَ آلاتِ الحصارِ القديمةِ.

بالإضافة لذلك تعلموا طريقةَ فكِّ الحصارِ عن أنفسهم، وعطبَ آلياتِ عدوِّهم، وذلك برمي مُعدَّاتِ الهدمِ في المكامنِ، أوصَبِّ الرصاصِ المصهورِ والموادِّ الملتهبةِ عليها. وفي حالِ توغُّلِ العدوِّ في أراضيهم، كان الفرس يحرقونَ الحقولَ ليحولوا دون تموينِ الجيشِ ويفتحونَ السدودَ فيعيقونَ تقدُّمَ العدوِّ.

كانوا يسوقون الأسرى وقد قُيِّدتْ أيديهم خلفَ ظهورِهم ليبيعوهم كالرقيقِ، أو أنهم كانوا يُرَحَّلُوْنَ للأماكنِ المهجورةِ من الدولةِ، حيث يُكَوِّنونَ وَحَداتٍ زراعيةٍ[3]. ولقد اتَّبعَ الفرس طريقةً حذقةً في إحصاءِ القتلى؛ مُفَادُها أنهُّ عندَ استعراضِ الجيشِ أمامَ الملكِ، كان الجنودُ يمرُّونَ الواحدَ تلوَ الآخرَ، وكلُّ واحدٍ يرمي سهماً في أسفاطٍ كبيرةٍ خُصِّصَتْ لذلك، ثم تُخْتَمُ الأسفاطُ بالختمِ الملكيِّ، وعند نهايةِ الحربِ تجمعُ الجيوشُ، وتفتحُ الأسفاطُ، ويأخذُ كلُّ جنديٍّ سهماً.

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢١٢.

٢- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٧.

٣- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠١. كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٠٢ –٢٠٣.

فالأسهمُ الزائدة تدل على عددِ القتلى والأسرى، وبذلك يعرفُ الملكُ فيما إذا اشترى القائدُ نصراً بثمنٍ غالٍ[1].

وفي زمن السِّلْمِ تُحفَظُ الأسلحةُ وعتادُ الحربِ في المخازنِ والمخابئِ بشكلٍ مُنظَّمٍ، ويُعْنَى بالخيولِ بدرجةٍ كبيرةٍ، وكذلك الأمرُ تموينُ الجيشِ إذ يُوْزَنُ اللحمُ واللبنُ والخبزُ ويُوزَّعُ بشكلٍ يوميٍّ على المحاربينَ بشكلٍ متساوٍ، على ما يبدو أن الخيولَ والجنودَ كانوا ينالون دخلاً إضافياً يومَ المعركةِ، وقد بلغتْ أقصى حَدٍّ للدخلِ ٤٠٠١ درهماً وهو الذي كان يدفعُ للملكِ[2].

وعادةً يتأهبُ الجيشُ للقتالِ بقرعِ الطبولِ بعد أن يصبَّ الماءَ المقدسَ في أقرب مجرى ماءٍ؛ وبعد أن يُرْمَى غُصْنٌ مقدسٌ على أنه السهمُ الأولُ في المعركة. وإذا كان الملكُ هو قائد الجيشِ جلسَ على عرشه ليصدرَ أوامِرَهُ. ولم يكن يقومُ بالهجومِ بنفسه عادةً[3].

وجرتِ العادةُ عند الفرس قبل بدءِ المعركةِ أن ينصحَ القائدُ عدوَّهُ بالخضوعِ وإتِّباعِ دينِ زرادشتَ؛ وخيَّروا الشعوبَ المغلوبةَ بين الموتِ أو الجنسيةِ الإيرانيةِ. ولكنْ ما هي خطةُ الفرس بالقتالِ؟!!.

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٠٤
Procopius, History Of The Wars, Vole 1- PP532

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٠- ص٣٠١. كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٠٥ – ص٢٠٦.

٣- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠١.

إنَّ الإجابـةَ علـى هـذا السـؤال توجـد في نـص قُسِـمَ إلى قسـمين: الأولُ تنـاولَ المعركةَ الرهيبةَ وهي دائرةٌ. والثاني يتحدثُ عن فنونِ محاصرةِ الحصونِ. ففي أثناءِ المعركةِ كان الفرسانُ في المقدَّمةِ مع مراعاةِ مَنْ كان أعسراَ[1] مِنَ الجندِ، حيثُ يأخذُ مكانه في الميسرةِ وذلك لئلا يُرْبِكَ الآخرينَ. وإلى جانبِ الفرسانِ كان هناك المسؤلون عن الكمينِ والخططِ المفاجئةِ، وهؤلاءِ يُنْتَخَبُوْنَ من الجندِ ذوي الجرأةِ والتيقظِ والصرامةِ، وممن ليس لهم أنينٌ أو سعالٌ حتى لا يفسدوا الخطة، أما خيولُهم فيختارون ما لا يصهلُ ولا يعنتُ. وغالباً ما يختارون مكاناً يعسكرون فيه قربَ الماءِ لينالوا منهُ إنْ طالَ مكثُهم.

وعند محاصرةِ الحصونِ شرح الدِّيْنَوَرِيُّ الحيلَ المتبعةَ في ذلك وكيفيةَ استنباطِ أهلِ الحصنِ وإخافتِهم وإفزاعِهم، إذ وُجِدتْ لدى الفرس عدَّةُ طرقٍ لإلقاءِ الرُّعبِ في قلبِ العدوِّ كالضجةِ والضوضاءِ خلالَ الهجومِ، وخلالَ المحاصرةِ. كما اختلفت أساليبُهم كأنْ يدسُّوْنَ بينهم مَنْ يوسوسُ لهم ويصغِّرُ مِنْ شأنِهم، أو مَنْ ييئسُهُم من النجدةِ والمددِ. كما استخدموا طرقاً أخرى كإرسالِ كتاباتٍ على نشابةٍ فيها ما يُثبِّطُ هممَهُمْ، أو يدورونَ حولَ الأسوارِ ويشيرونَ بأيديهم كأنهم يشيرونَ لمواقعِ القوةِ والضعفِ فيه[2]، ومواضع توضعُ السلالمُ ولعلَّ هذا الأسلوبَ المتبعَ كان سائداً في ذلك العصر حيثُ لُوحِظَ تقاربُ فنونِ الحربِ عند الفرس والبيزنطيينِ[3].

فُرِضَتِ الجنديةُ على كُلِّ رجلٍ صحيحِ الجسمِ بين سِنِّ الخامسةَ عَشَرَ والخمسينَ كلما أعلنت الحرب.ولم يكن هناك تساهلٌ في هذا الأمر، فقد حدثَ

٤- أعسر، تعني كلمة أعسر الشخص الذي يرمي بيده اليسرى. وهو الشخص الذي قوته بيده الشمال ويعمل بها ما يعمل غيره بيده اليمنى. ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري): لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، ١٩٧١م ، ج٤، مادة عسر، ص٥٦٥.

٢- الدينوري(ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم): عيون الأخبار، كتاب السلطان، الحرب، السؤدد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م، ج١، ص١١٢ — ص١١٥.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٠٨. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٨.

ذاتَ مرَّةٍ أنْ طلبَ والدُ ثلاثةِ أبناءٍ أن يُعْفَى واحدٌ منهم من الخدمةِ العسكريةِ، فما كان من الملكِ إلاَّ أنْ أَمَرَ بقتلِ الأبناءِ الثلاثةِ. ويسيرُ الجندُ لساحاتِ المعركةِ وَسَطَ دويِّ الموسيقى العسكريةِ وهتافِ الجماهيرِ التي تجاوزتْ سِنَّ التجنيدِ[1].

٤. طبقةُ الكُتَّابِ (دبيران).

ظهرتْ طبقةُ الكُتَّابِ في العهدِ الفارسي، وكان لأعضائها دورٌ كبيرٌ في الدولةِ الفارسية ومكانةٌ عظيمةٌ، ذلك أن الفرس كانوا يعتنون بالشكلِ عنايةً كبيرةً. فالوثائقُ الرسميةُ ومراسلاتُ الأفرادِ ينبغي أن تُصاغَ صوغاً أنيقاً مع مراعاةِ الفروقِ الطبقيَّةِ بين المرسلِ والمرسَل إليه.

وينبغي أن يكونَ الكاتبُ كريمَ الأصلِ، شريفَ العِرْضِ، دقيقَ النظرِ، عميقَ الفِكْرِ، وأن ينالَ الحظَّ الأوفرَ منَ الأدبِ، كما ينبغي أن يكونَ حَسَنَ الخطِّ، وقد استُخْدِمَ هؤلاءِ في البلاط الملكيِّ وفي الأقاليمِ.

كان رئيسُ الكُتَّابِ يُلَقَّبُ بـ (إيران دبيربد)، وكان يعين أحياناً من حاشيةِ الملكِ. كان الكُتَّابُ يسيطرونَ سيطرةً تامةً على مراسلاتِ الدولةِ، ذلك لأنَّ الوثائقَ الهامةَ هم الذين يختطونها ويرسلونها، وهم الذين يصيغون الأوامرَ الملكيةَ وينظمون قوائمَ الضرائبِ وحساباتِ الدولةِ[2].

قُسِّمَ الكُتَّابُ إلى عدَّةِ فئاتٍ كُلُّ فئةٍ مسؤولةٌ عن جانبٍ من المراسلاتِ، فهناك كُتَّابُ الأحكامِ، والخراجِ، وحسابِ دارِ الملكِ، والخزائنِ، والاصطبلاتِ، وحساباتِ النيرانِ والأوقافِ. إضافةً لذلك وُجِدَ في ديوانِ الملكِ كاتبٌ خاصٌّ بالشؤونِ العربيةِ[3].

ارتبطتْ وظيفةُ الكُتَّابِ بالتعليمِ، فكيفَ كان التعليمُ في الدولةِ الفارسية ؟!!.

تدلُّ قصةٌ وقعتْ في العهدِ الذهبيِّ للدولةِ الفارسية ، تتناولُ التعليمَ، وخاصّةً ما

١- حاطوم (نور الدين) وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٣م، ص٢٨٩.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ص١٢٢ – ١٢٣.

٣- جشنسف، المصدر السابق، ص١٢. كريستنسن، المرجع السابق، ص١٢٤.

يتعلّق بتعليم الفقراءِ وحرمانهم من اكتسابِ الثقافة، فقد وصل الحالُ السيئُ للدولةِ أن رغبتْ في أموالٍ كثيرةٍ تكفي نفقاتِ الحروبِ المستمرةِ، لإعداد ٣٠٠ ألفِ مقاتلٍ، فاستدعى الملكُ أنوشروانُ وزيرَهُ بزرجمهرَ يطلبُ مساعدتَهُ في توفيرِ المالِ اللازمِ، فاقترح عليه بتحصيلها عن طريقِ القروضِ الشعبيةِ، فأرسلَ مندوبَيْهِ إلى المدنِ الإيرانيةِ لتحصيلِ المالِ اللازمِ من التجارِ وأصحابِ الثروةِ، وظهرَ مِنْ بينهم رجلٌ حذّاءٌ أبدى استعدادَهُ لتحمّلِ نفقاتِ الجيشِ بمفردِهِ، لكنه اشترطَ السماح لولدِهِ تحصيل العلم، إلاّ أنّ الملكَ غضبَ على الوزيرِ ونهرهُ قائلاً: دَعْ هذا، ما أسوأَ ما تطلُبُهُ، إنّ هذا لا يكونُ، لأَنَّ ابنَ الحذّاءِ بخروجِهِ من وضعِهِ الطبقيَّ يهدمُ التقليدَ الطبقيَّ المتَّبعَ فينفرطُ عِقْدُ الدولةِ، ويكونُ ضررُ هذا المالِ علينا أكثرَ منْ نفعِهِ، وشرُّهُ أكثرَ من خيرِهِ.

يتابع أنوشروانُ: إذا أصبحَ ابنُ الحذَّاءِ عالماً وكاتباً، فإنّه عندما يجلسُ ولدُنا في الحُكمِ واحتاجَ إلى كاتبٍ فإنَّه سيضطرُّ إلى تعيين ذلك الولد، وهو مِنْ عامَّةِ الشعبِ ومنْ أبناءِ الطبقةِ الدنيا، في حين جرتِ العادةُ أنْ نستعينَ بأبناءِ الأَشرافِ والنبلاءِ. وإذا حصل هذا الحذَّاءُ على العلمِ والمعرفةِ حصل على عيونٍ بصيرةٍ، وآذانٍ سميعةٍ، فيرى ما يجبُ ألاّ يراهُ ويسمع ما يجبُ ألاّ يسمَعهُ، فتحدثُ الحسرةُ والأسفُ لأَبناءِ الملوكِ بعدئذٍ[1]!!

وبذا فإنّ الملكَ رفَضَ طلبه وأعادَ مالَهُ إليه. وهذا الملكُ هو ما يصفُهُ البعضُ بالعدلِ «أنوشروان العادل» مع أنّه لم يحل المشكلةَ الثقافيةَ في مجتمعِهِ. هذا يدلُّ على أنَّ التعليمَ كان حكراً على أبناءِ الأشرافِ والطبقاتِ العُليا منَ المجتمعِ.

٥ـ طبقة الأحرار.

يقبع الأحرارُ في أسفلِ السُّلَمِ الاجتماعيِّ، وهم أفرادُ العائلاتِ الصغيرةُ ذواتُ الأملاكِ أو أصحابُ القُرى الذين كانوا صلةَ الوصلِ بين القرويينَ والحكومةِ المركزيةِ، التي كانوا عمالاً لها. هؤلاءِ الأحرارُ الصغارُ كانوا أكثرَ فئاتِ الشعبِ

١- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣ — ص١٦٤.

عدداً، وهم أحرارٌ من الوجهةِ القانونيةِ، ولكنْ عملياً كانوا عبيداً مرتبطينَ بالأرضِ، حيث يباعون مع الأراضي والقُرى[1].

1- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٧٣.

٢. الحياةُ الاقتصاديةُ:

يُشكِّلُ الاقتصادُ العَصَبَ الأساسيَّ لكلِّ دولةٍ، ويكونُ بقاؤها وازدهارُها، وحتى توسُّعِها مرهوناً بمقدرتها الاقتصاديةِ، فعندما تتوافرُ المقدراتُ الاقتصاديةُ تتوافرُ المقدراتُ الأخرى من عسكريةٍ وسياسيةٍ، كما يزدادُ التماسكُ والاستقرارُ الاجتماعيُّ.

المعلوماتُ المتوافرةُ عن المجالِ الاقتصاديِّ في هذه الحقبةِ شحيحةٌ جداً، ولا تلقي ضوءاً واضحاً على الأوضاع أو الوسائل، ولا حتى على المزروعات التي كانت سائدةً. كما يكتنفُ الغموضُ الكثيرَ من جوانب العلاقاتِ الزراعيةِ سواء علاقةُ صاحبِ الأرضِ مع مَنْ يعملُ بها، أم نظامُ الضرائبِ وما شابه ذلك من أمور.

لذلك اعتمدت المعلومات الواردة بعض الاستقراءات التي تدل عليها الأحداث، أو المشكلات التي عانى منها الاقتصاد الفارسي وأسلوب الدولة في معالجتها، وتقف مثالاً على ذلك ثورة مزدك التي ستفصل فيما بعد، فهي تدل على عبء الضرائب مما يدل على وجود ضرائب.

١. الزراعةُ:

لاشك أن الزراعة تشكل أحد أهم أركان الاقتصاد الفارسي، خاصةً إذا علمنا مقدار المساحة التي تسيطر عليها الدولةُ الفارسية ، والتي تحوي على مساحات شاسعة صالحة للزراعة، من سهول وأنهار وبحيرات ومناخ ملائم لها على اختلاف أشكالها. ومما يعكس أهمية الزراعة، ذلك الأسلوب الذي اتبعه ملوك آل ساسان في معاملتهم للأسرى البيزنطيين خلال صراعهم الحافل مع بيزنطة، ذلك أنهم كانوا يوطنون أسراهم في مناطق لاستصلاح الأراضي البور أولاً، ولتنظيم سقاية الأرض المروية من خلال استخدامهم في إنشاء السدود، وحفر الأقنية، وبناء الجسور ثانياً[(١)].

١- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص ٦٣٦. كريستنسن، المرجع السابق، ص١١٥.

ـ أهمُّ المزروعاتِ، وملكيةُ الأرضِ.

ازدادتِ المحصولاتُ الزراعيةُ في القرن السادس الميلادي، وتم إدخال زراعات جديدة كزراعة شجرة التوت وتربية دودة القز، كما وجدت أملاك زراعية كبيرة طُبِّقَ فيها نمطُ الزراعةِ القديمُ[1].

بالإضافة لذلك كانت الحريةُ الاقتصادية في الأعمال الزراعية محدودةً نسبياً، والأملاكُ الشخصيةُ محصورة وغير قابلة للتوسع. وبالرغم من ازدهار الحياة الاقتصادية، فقد ساءت أحوال وحياة القرويين أو الفلاحين، وذلك بسبب فقدانهم استقلالهم تدريجياً أمام حرمانهم من التعليم، واضطهادهم على يد عمال الملك، أو الأشراف أو الملوك الصغار التابعين لملك الملوك، والذين تعود إليهم ملكية الأرض التي يعمل عليها الفلاح[2].

أما سبب انحسار الملكية الفردية، فيعود إلى نظام الضرائب الجائر الذي كان قائماً، وإلى نفوذ كبار الملاكين الذين ازدادت قوتهم بفضل دعم الملك لهم، فشكلوا ضغطاً كبيراً على صغار الملاكين، الذين اضطروا لرفع الحيف عنهم أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملاك الكبار؛ ليحموهم من تعسف جباة الضرائب، وهكذا أصبحت الدولة دولة إقطاعيين[3].

إنَّ ثورةَ مزدك مثالٌ واقعيٌّ لا يحتاج إلى برهانٍ ضدَّ جورِ نظامِ الضرائبِ، وما يعتريه من ظلم وقسوة خلال عملية الجباية، كما أنها ردة فعل قاسية على الانقسام الطبقي الذي يعاني منه المجتمع الفارسي. لذا لابد من تناول الثورة المزدكية بشيءٍ من التفصيلِ.

١- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١١.

٢- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١١.

٣- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١١. النجار(سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٩.

ـ ثورةُ مزدكَ.

كان على قُباذ الأول أن يختار بين الأشراف الذين تزداد قوتهم، وبين الشعب الذي يميل إلى الدعوة المزدكية[1]، ويطالب بتغييرات جذرية تعمل على تحسين أوضاع المحرومين في المجتمع. وقد وجد قباذ الأول أنه من الحكمة الوقوف إلى جانب الشعب، لا لتأييد الحركة المزدكية بل لتقليص نفوذ الأشراف وإضعاف قوتهم.

كانت ثورة مزدك ردة فعل عنيفة ضد الإقطاعيين من قبل العبيد والفلاحين، الذين أصبحوا نصف عبيد وكذلك الناس الذين كانوا أحراراً في الماضي في المدن وأطرافها[2].

تمكن مزدك من تحقيق نصرة جماهيرية كبيرة، ساعده على ذلك ما دعا إليه من مساواة وضرورة تقسيم الثروة بين أفراد المجتمع بالتساوي: ((يجب أن تعطى ثروة الغني للفقير)). بمثل هذه الأفكار وغيرها تمكن مزدك من السيطرة على أفراد الشعب الذي منّاه بوعود كثيرة. كما ساعده أيضاً التقسيم الطبقي في المجتمع الفارسي، وعدم إمكانية الانتقال من طبقة إلى أخرى[3].

أَيدَّ قباذُ الأولُ هذه الحركةَ فاستاء رجالُ الدينِ والإقطاعيونَ الذين تمكنوا من خَلْعِهِ، وحبسِهِ،

١- عُدَّتِ المزدكيةُ دعوةً دينيةً وقد سبق توضيح مبادئها. - اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص٢٠٧.

٢- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٢.

٣- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦١- ص٣٦٢.

ومحاكمتِهِ وتنصيبِ أخيهِ مكانه. لكنه تمكّنَ من الهربِ بمساعدةِ أُخته، وهَرَبَ إلى خاقان الترك الذي زوَّدَهُ بجيشٍ ساعده على استعادةِ عرشه[1].

ازداد لهيبُ الثورةِ وزادتِ الاضطراباتُ بسببها، وبدأ مؤيدوها بالاستيلاء على أملاك التجار، وسبي النساء، وحجز الأراضي الزراعية. في البداية عمل قباذ الأول على التعامل مع زعمائها بهدوء، خاصة أن هؤلاء ازدادوا قوة بانضمام بعض الأشراف إليهم، الذين غيروا دينهم وأصبحوا مزدكيين[2].

عارض المزدكيون رغبة قباذ الأول في تولية ابنه كسرى أنوشروان الحكم، فوقع الأمر في قلبه وقرر الابتعاد عنهم، وبدأ يفكر بالقضاء عليهم، فعقد مجلس مناظرة حضره كهنة زرادشتيون ومسيحيون بينوا فيه زيف مبادئ مزدك، وحرموها، كما أحرقوا كتبه واستولوا على أملاكه وأملاكِ مؤيديه وثرواتهم، لكن النهاية الحقيقية للمزدكية كانت على يد كسرى أنوشروان الذي ضرب أعناقهم[3].

قام كسرى أنوشروان برد الأموال إلى أصحابها، وأمر بكل مولود أن يلحق بمن ينسب إليه منهم، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ الغالب لها حتى يغرم بمهرها ويرضي أهلها، ثم تخير أن تبقى عنده أو تتزوج غيره، إلا أن يكون لها زوج سابق فترد له. وأمر بكل من أضرَّ رجلاً في أهله أو ماله أو ركب أَحَدٌ بمظلمةٍ أن

١- دانش بزوة(محمد تقي): نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي،جاب أول، ١٣٧٥هـ ، ص٣٩٥ – ص٣٩٦. الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٧. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٢ – ص٣٦٣.
John – History Of Persia - Vole 1-PP. 133 -134.

٢- كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٣.

٣- دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٠٣. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٦٦. الطبري، المصدر السابق، ج١، ص١٠١. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٣. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص٩٤. **.John , op. cit, Vole 1-P.138**

يُؤْخَذَ منه الحقُّ، ثم يعاقبَ الظالمُ بقَدْرِ جرمه[1].

ـ نظامُ الضرائبِ.

فرضتِ الدولةُ على رعاياها ما يُسمَّى الضريبةَ، وهي قسمٌ من الإنتاج الذي تنتجه الأرض، وتراوحت قيمتُها بين العُشْر والعُشْر ونصف العشر، وذلك حسب خصوبة الأراضي، وبهذه الطريقة لم يُعْفَ أحدٌ من الضريبةِ[2]. وإذا أضفنا للسنوات العجافِ إجحاف مأموري الضرائب في جبايتها، يلاحظ أنَّ ذلك يشكل ضغطاً إضافياً على الفلاحين خاصة، وزاد الأمر سوءاً عدم تمكن المزارع من الحصول على حصته من الإنتاج، قبل أن يأخذَ الملكُ حصتَه. كل ذلك أدى لعدم اكتراث الفلاح بالعمل أمام عدم زيادة الدخل[3]. وعندما وصل كسرى أنوشروان للحكم لمس المشكلة، وعمل على وضع حل مناسب لها، فعمل على إصلاح نظام الضرائب مباشرةً بعد القضاءِ على المزدكيين وتمردهم.

ـ إصلاحُ نظامِ الضرائب.

حاز إصلاح نظام الضرائب على مقدمة الأعمال التي قام بها كسرى أنوشروان بعد اعتلائه العرش الفارسي. فأمر بمسح الأراضي كلها وحدد ما يدفع عليها من المال، ثم اعتمد رجالاً ثقةً عُرفوا بالنزاهة والاستقامة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد. فحدد هذا النظام الضرائب التي تفرض على الأراضي المزروعة[4] وهي درهم واحد سنوياً عن كل جريب[5] من قمح أو شعير، ثمانية دراهم سنوياً عن كل جريب من الأعناب، سبعة دراهم سنوياً عن كل جريب برسيم، خمسة أسداس

١- الطبري، المصدر السابق، ج١، ص١٠٢ .ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ٩٥- ٩٦. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٣٦٨ — ص٣٦٩.

٢- دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٢٨. ذكر الفردوسي أن الضريبة كانت قبل عهد قباذ الأول تصل إلى الثلث والربع. الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣.

٣- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص ٦٣٦.

٤- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣. سايكس، المرجع السابق، ص ٦٣٦.

٥- الجريب، يعادل ٢٤٠ متراً مربعاً. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥١.

الدرهم سنوياً عن كل جريب أرز ودرهم واحد عن كل أربع نخلات إيرانية أو ست آرامية أو ست أصول من الزيتون[1].

أعفى كسرى أنوشروان كل المحاصيل الأخرى من الضريبة، كما أعفى النخل المتفرق الذي لا يكون حقلاً واحداً، بالإضافة إلى هذا التحسين في نظام الضرائب العقارية، عدل كسرى أنوشروان الضريبة الشخصية ففرضها على من يتراوح عمره بين العشرين والخمسين من الرجال، واستثنى منها العظماء والمقاتلين والهرابذة والكتاب، ومن كان في خدمةِ الملكِ[2].

وبلغ من تسامح كسرى أنوشروان في جبايته للضرائب أن قسمها لثلاثة أقسام حسب شهور السنة، يدفع المواطن كل أربعة أشهر قسماً منها فينتهي العام بنهايتها، وذلك لتقل وطأتها على الفلاحين وليقلل من إجحاف جُباة الضرائب [3]. كما عمل كسرى أنوشروان على تعيين موظفين مهمتهم أن يتحققوا من الأراضي المزروعة وغير المزروعة، وذلك لأجل أن تُعْفَى الأراضي غيرُ المزروعةِ من الضريبةِ[4]. كما أعفى كسرى أنوشروان كُلَّ من بارَتْ زراعةُ قمحِهِ، أو تَلِفَتْ أشجارُهُ عند جبايةِ الضريبةِ[5]. ((لما هَمَمْتُ بتصفحِ أمرِ الرعية بنفسي، ورفعِ البلاءِ والظلمِ عنهم، وما ينوبهم من ثِقَلِ الخراجِ ......فجمعتُ العمالَ ومن يؤدي الخراجَ، فرأيتُ من

١- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٢٥٠.

ذكر الفردوسي أن هناك درهماً واحداً على كل عشرة أصول من الزيتون وليس ستة. الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥١.

٢- دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٣٠. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ٩٧- ١٠٠. اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٨. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥١.

٣- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٣. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ٩٧- ١٠٠. سايكس، المرجع السابق، ص ٦٣٦.

٤- سايكس، المرجع السابق، ص ٦٣٦.

٥- دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٢٩. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ٩٧- ١٠٠. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥٢.

تخليطهم ما لم أرَ له حيلةً إلا التعديلَ والمقاطعةَ على بلدةٍ بلدةٍ، وكورةٍ كورةٍ، وقريةٍ قريةٍ، ورجلٍ رجلٍ، واستعملتُ عليهم أهل الثقة والأمانة، وجعلتُ في كل بلدٍ مع كل عاملٍ أُمناءَ يحفظون عليه، ووليتُ قاضي كلِّ كورةٍ النظرَ في أهلِ كورتِهِ، وأمرتُ أهلَ الخراجِ أن يرفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إلينا إلى القاضي، وأن يُعطى به البراءةَ، وأن يرفعَ خراجَ مَنْ هَلَكَ منهم، ولا يرادُ الخراجُ ممَّنْ لم يدركْ من الأحداث))[1].

وتصور لنا لوحةٌ فنيةٌ لكسرى أنوشروان وقد قصَّ لحيتَهُ وفتلَ شاربَهُ، وأضافَ لتاجه تاجَيْنَ وذلك بعد الإصلاح الماليِّ والذي لُقِّبَ بسببهِ بالعادلِ[2] .

بفضل هذه الإصلاحاتِ على نظامِ الضرائبِ غدا المزارعُ حراً بعضَ الشيءِ، ويستطيعُ أن يستفيدَ من محصوله وأن يوسعه، لأنه مطمئنٌ على تعبه فما يزرعه سيعود بالفائدة عليه. ومن هنا تحسنتِ الأحوالُ العامةُ للفلاحين، وبدأ اهتمامُ الفلاحينَ يتزايدُ بالأرضِ وبما تنتجه.

٢- الصناعةُ.

ازدهرتِ الصناعةُ إلى جانبِ الزراعةِ والتجارةِ، بفضلِ الاستقرارِ الذي سادَ في البلادِ، بالإضافةِ إلى الرخاءِ الذي عمَّ كُلَّ جوانبِ الحياةِ، وزاد من ازدهارِ الصناعةِ دخولُها في مجالِ الفنونِ، فنجد النقوشَ الفنيةَ قد طُبِعَتْ على المنسوجاتِ الفارسية[3].

أَنْتَجَتْ بلادُ إيرانَ الذهبَ، والفضةَ، والنحاسَ، والجواهرَ النادرةَ، والموادَّ الثمينةَ، ونَسَجَ صُنَّاعُ إيرانَ نسيجَ السندسِ الحريريَّ والأقمشةَ الصوفيةَ والسجادَ وغيرَها، إذ كان السجادُ البابليُّ من أهمِّ الموادِّ التي رغبتِ الصينُ باستيرادها من

١- ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٢.

٢- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٢٢. انظر اللوحة رقم(٢).

٣- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٢١.

إيرانَ[1].

ومما ساعد على ازدهارِ الصناعةِ أنه كان من عادةِ الفرس عند استيلائهم على مدينةٍ ما، أن يحملوا معهم مهرةَ الصُّناعِ والحرفيينَ إلى بلادهم، حيث يسكنُ هؤلاءِ في مواقعَ مخصصةٍ لهم، مما ساهم في تطوير بعض الصناعات كصناعةِ الخزفِ والزجاجِ والحريرِ وغيرِها[2].

٣- التجارةُ والنقدُ.

ازدادتِ التجارةُ ازدهاراً في هذه الحقبةِ بالنسبة للحقبةِ الماضيةِ، وبشكلٍ خاصٍّ البضائعِ غاليةِ الثمنِ، والموادِّ المستخدمةِ في التجميلِ؛ والتي اختصَّ باستخدامها البلاطُ الملكيُّ، والأشرافُ والأغنياءُ[3].وبالرغم من ذلك فقد حدَّ من ازديادِ توسُّعِها تدخُّلُ الدولةِ فيها، الأمرُ الذي سبَّبَ إشكالاتٍ في حريةِ المبادلاتِ التجاريةِ[4].

أضفْ إلى ذلك، احتكرتِ الدولةُ تجارةُ بعضِ الموادِّ كالموادِّ باهظةِ الثمنِ، التي يُمثِّلُها الحريرُ الصينيُّ[5]. وقد جَنَّدَ الملوكُ الفرس أصحابَ الحرفِ الذين جلبوهم من سورية، في ورشاتِ عملٍ ساهمتْ في دعمِ تجارةِ الخزفياتِ والصناعاتِ الزجاجيةِ[6]، وغنيٌّ عنِ التعريفِ مهارةُ الصُّناعِ العربُ في ذلك. أمَّا ما استوردَهُ الفرس فيأتي على رأسِهِ العنبرُ والأدويةُ المعطرةُ، والفلفلُ والورقُ والأحجارُ

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص١١٥- ص١١٧.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ص١١٥. كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٩. هايد، المرجع السابق، ج١، ص٣٤ — ص٣٥.

٣- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٨.

٤- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١٠.

٥- هايد، المرجع السابق، ج١، ص١٥.

٦- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٩.

الكريمةُ[1].

تُعَدُّ المنسوجاتُ من أهمِّ الصادراتِ الفارسية ، إذ كانوا ينسجونَ منها أنواعاً وأقساماً مختلفةً، وتُعَدُّ الريُّ ومروُ من المدنِ الصناعيةِ الفارسية الهامةِ [2]. كما شكَّلتِ المنسوجاتُ المحلَّاةُ بالذهبِ والفضةِ، والأقمشةِ والألبسةِ الحريريةِ، وريشِ الطيورِ والمصنوعاتِ والجلودِ، جزءاً رئيسياً من صادراتِ إيرانَ، بالإضافة إلى الياقوتِ الإيرانيِّ ومرجانِ البحرِ الأحمرِ[3]. وبدأ يظهر تمايزٌ بين التجارِ أنفسِهم، فهناك التاجرُ الذي يُصَدِّرُ والتاجرُ الذي يعمل في السوقِ الداخليةِ، مما ساعدَ على زيادةِ عددِ السماسرةِ[4].

وقد دَفَعَ تَطورُ التجارةِ الملوكَ إلى زيادةِ بناءِ الطُّرقِ والتوسعِ فيها، كما توسعوا في بناءِ الخاناتِ، والمستودعاتِ، وخزاناتِ المياهِ. كُلُّ ذلك فَرَضَ وجودَ أشخاصٍ للقيامِ بمثلِ هذه الأعمالِ، كما فَرَضَ رقابةً شديدةً على المحطاتِ التجاريةِ الحدوديةِ والموانئِ البحريةِ[5]، كما ساهمَ في إيجادِ مراكزَ تجاريةٍ في المناطقِ البعيدةِ، فغدتْ سواحلُ البحرِ الأسودِ مراكزَ لاستقرارِ التجارِ وتبادلِ البضائعِ[6].

- النَّقْدُ:

سَكَّ الفرس نقودَهُمْ منَ الذهبِ والفضةِ والنحاسِ، كما سكوها من خليطِ النحاسِ والبرونزِ. سَمَّى الفرس عُمْلَتَهُم الفضيَّةَ بـ (زوز) وتزن مثقالاً واحداً، وسَّموْا النحاسيةَ بـ (معا). ومما يلفتُ النظرَ في النقودِ الفارسية جمالُ منظرِها وشكلِها،

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٨. كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٩. يرجع تاريخ صنع الورق إلى عام ١٠٥م في الصين.غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، مادة ورق، ص١٩٤٨.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٨.

٣- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٧ - ص٣٠٨.

٤- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١٠.

٥- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٩. هايد، المرجع السابق، ج١، ص١٧ — ص٣٣.

٦- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤١٠.

ربما يعودُ السببُ في ذلك لوجودِ عُمَّالٍ يونانيينَ يعملونَ في دُوْرِ السَّكِ الفارسية .

استفادَ الملوكُ الفرس من النقودِ للتأريخِ لسنواتِ حكمِهم، فمثلاً كُتِبَ على أَحَدِ وجهَيْ قطعةِ نقودٍ من نقودِ عهدِ كسرى أنوشروان (جهار وجهل) أيْ السنةُ الرابعةُ والأربعونَ[1].

كما تبدو صُوَرُ قباذَ الأولِ على النقدِ الذي سُكَّ باسمه في وضعٍ يُمثِّلُ جانبَ وجهِهِ الأيمنِ، كما نجدُ الجانبَ الأيسرَ لوجهِهِ محفوراً على قطعةٍ نقديةٍ أخرى[2].

عَرَفَ الفرس السنَدَ واستخدموه في المبادلاتِ التجاريةِ، وأصبح كأنه سَنَدُ ملكيةٍ، وعُرِفَ رسمياً في دور النقد الملكية، وكُتِبَتِ السَّنداتُ بكثرةٍ لتغطيةِ المبادلاتِ التجاريةِ النقديةِ، ولكنْ كانْ يحدُّ من نشاطِها انشغالُ الناسِ في جَنْي المحصولِ، وفي أوقاتِ دفعِ الضرائبِ، وساعدَ ذلك من جهةٍ أخرى على الحدِّ من تدخُّلِ الدولةِ في عملِ دُوْرِ النَّقْدِ[3].

٣- الحياةُ الدينيةُ :

أخذ الدينُ حيزّاً كبيراً من تفكيرِ الإنسانِ منذُ القدمِ ولتلبيةِ حاجاتهِ الروحيةِ، بدأ الإنسانُ بعبادةِ كلِّ مالا يستطيعُ السيطرةَ عليه من ظواهرَ مختلفةٍ، ولم يبتعدِ الإنسانُ الإيرانيُّ في تفكيرِهِ وتأملاتِهِ عن نُظرائِهِ من الشعوبِ المجاورةِ. ولدورِ الدينِ الكبيرِ في التأثيرِ على الملكِ والشعبِ معاً، لابدَّ من توضيحِ الحالةِ الدينيةِ للدولةِ الفارسية في هذه الحقبةِ.

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٠٦. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٤٨٢ – ص٤٨٣.

٢- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٢٢. انظر اللوحة رقم (٣).

٣- كيرشمن، المرجع السابق، ص٤٠٨ - ص٤١٠.

. المعتقداتُ القديمةُ:

عَبَدَ الإيرانيونَ القدماءُ عدداً كبيراً من آلهةِ الطبيعةِ[1] كإلهِ الشمسِ (ميثرا)، وأناهيتا[2] آلهة الخِصْبِ والأرضِ، كما عبدوا الثورَ(هوما) الذي ماتَ ثم عاد حياً، حيثُ وَهَبَ الجنسَ البشريَّ دمَهُ شراباً ليُسْبغَ عليه نعمةَ الخلودِ. بالإضافةِ لذلك عبدوا آلهةَ المطرِ والسحابِ والرياحِ وغيرِها من آلهةِ الطبيعةِ التي تساعدُهُمْ في أعمالِهم الزراعيةِ، وسَمَّوْها كُلَّها (دايفا) أي الأرواحَ الخيِّرةَ.

عندما ينتهي الشتاءُ ويحينُ موعدُ بذْرِ الأرضِ، يصعدونَ للجبالِ ويدعونَ آلهةَ الطبيعةِ لتساعدَهُمْ في إنباتِ محصولِهم، ويرجونَ منها إنتاجاً وفيراً، وطبعاً عندما ينتهي الموسمُ يُقَدِّمُوْنَ لها القرابينَ من أصنافِ إنتاجِهم المختلفِ، كالحبوبِ والفاكِهَةِ والخرافِ[3].

لم تستمر هذه العبادةُ كثيراً، إذْ سُرعانَ ما أضافَ الإيرانيونَ لآلهتِهم الخيرةِ إيمانَهم بآلهةِ القبائلِ. ومع تَعَدُّدِ الآلهةِ ظهرتِ التماثيلُ والأصنامُ، وبمرورِ الزمنِ ظهرتِ الصلواتُ والتراتيلُ، ولأنَّ الشعبَ غيرُ قادرٍ على حفظِ كلِّ التراتيلِ والتمييزِ بين تراتيلَ وصلواتِ كُلِّ إلهٍ لانهماكِهِ في العملِ، كانَ لابدَّ مِنْ وجودِ رجالٍ يتَصَدَّوْنَ لهذه المهمةِ، وهؤلاءِ ما نُسمِّيهم الكهنةَ[4].

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٢١.

٢- انظر اللوحة رقم(٤).

٣- مظهر(سليمان): قصة الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص٢٦٣ —ص ٢٦٤.

٤- مظهر، المرجع السابق، ص٢٦٤ — ص ٢٦٥.

. الديانةُ الزرادشتيةُ:

لم يكن لدى الإيرانيون دينٌ رسميٌّ حتى العهدِ الفارسي، وكانتِ الشعوبُ التابعةُ لهم حُرَّةً في اعتناقِ الدين الذي يقبلُهُ كُلُّ شعبٍ منها[1].

إلى أن دعا زرادشتُ[2] قومَهُ لاتباع الديانةِ الزرادشتيةِ. وقد اختلفَ علماءُ الأديانِ والمؤرخون حول زرادشتَ مؤسسِ هذه الديانةِ، وما دعا إليه، وهل ما جاءَ به مصدرُهُ الوَحْيُ أم نتاجُهُ الفكريُّ؟!!.

كان زرادشتُ موحداً للّه تعالى[3]، وأطلق على أتباعِهِ اسمَ المجوسِ، فالمجوسُ هُمُ المصدِّقونَ بنبوةِ زرادشتَ والمكذِّبونَ بنبوةِ موسى[4]، وكتابُهم المقدسُ الأوستا[5]. وعندما دعا زرادشتُ قومَهُ للتوحيدِ سمى الربَ (اللّه) آهورا مزدا[6]

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣١١.

٢- زرادشت: اعتبر نبي الإيرانيين، واختلف في تاريخ وجوده، وتضاربت الأقوال في التاريخ الذي عاش فيه، وقيل إنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ابن الأثير، المصدر السابق،ج١، ص٢٥٨ وما بعد. أسود(عبد الرزاق): المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١م،ج١، ص٣٢ –ص ٣٣. نوري(إسماعيل): الديانة الزرادشتية، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص٦ – ص٧.

٣- الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م،ج١، ص١١٥.

٤- ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م، ج١، ص ١٨٢.

٥- الطباطبائي(محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٥٨.

٦- آهورا مزدا، إله الخير عند المجوس، وكلمة آهورا مزدا مكونة من آهو، را، مزدا، وتعني أنا خالق الكون أوالوجود. حسنين، المرجع السابق، ص٥٦.

ومنحهُ أسمى أوصافِ السُّموِّ والأُلوهيَّـةِ الحقَّـةِ[1]. بعد ذلك ظهر إلهُ الشرِّ في تعاليمِ زرادشتَ عندما حدَّدَ للعالَمِ أصلين: أحدُهما للخيرِ وسمَّاهُ آهورا مزدا، وآخرُ للشرِّ وسمَّاهُ أهريمن[2].

من الملاحظ وجود تناقضٍ واضحٍ، فكيف يدعو للتوحيدِ ويحدِّدُ للعالَمِ أصلينِ في وقتٍ واحدٍ؟!!. إن المتتبعَ لما دعا إليه زرادشتُ في صلواتِهِ وأدعيتِهِ التي يناجي فيها ربَّهُ يجعلهُ في مصافِّ المصلحينَ، وقد يرجعُ هذا التباينُ في دعوتِهِ للتوحيدِ أو الثنويةِ إلى عدمِ توافقِ مَنْ نقلوا عنه منَ الكُتاب، وإلى ما أَلْحَدَ فيه أتباعُهُ من بعدِهِ. ثم كيفَ يكونُ الزرادشتيونَ مكَذِّبينَ بنبوةِ موسى؛ وهم من الموحدينَ؟!!.

أولى الزرادشتيونَ النارَ قدسيةً كبيرةً، وأمروا أتباعهم على الاحتفاظِ بها متقدةً. والصلاةُ عندهم دعاءٌ إلى آهورا مزدا. مثال ذلك دعاء زرادشت المأثور ((أرجو منك أيها الربُ الخالقُ، المطلقُ، القديرُ، أن تغفرَ لي ما أرتكبتُ من سيئاتٍ، وما صَدَرَ عني من عملٍ غيرِ صالحٍ، إني أرجو منك أن تُبَاعِدَ بيني وبين الخطايا حتى أحشرَ يومَ الدينِ مع الأطهارِ والأخيارِ[3])).

كتابُ الزرادشتيةِ المقدسُ الأوستا يشملُ ألفَ فصلٍ يضمُّها واحدٌ وعشرونَ كتاباً، كُلُّ كتابٍ مئتا ورقةٍ. ثم أُلحقَ به كتابُ الزندِ أي تفسيرُ الشريعةِ[4]، ويُسمَّى مجموعُ الكتابينِ زند- أفستا، كما أُضيفتْ له تعديلاتٌ شملتْ تآليفَ في الطبِّ والفَلَكِ والفلسفةِ، بالإضافةِ إلى تأثيراتٍ فكريةٍ يونانيةٍ وهنديةٍ، وبذلك

١- عبد القادر(حامد): زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٥٦م، ص٩١ — ص٩٢.

٢- آهريمن، كلمة أهريمن مرادفة لروح الشر أو رو الأذى والفساد. عبد القادر، المرجع السابق، ص١٨٧.

٣- عبد القادر، المرجع السابق، ص ٩١ - ص٩٢.

٤- أسود، المرجع السابق، ج١، ص٣٤.

غدتِ الأوستا موسوعةً كبيرةً لكافةِ علومِ العصرِ الفارسي[١]. أضفْ لذلك تأثُّرَها بالديانتين اليهوديةِ والمسيحيةِ في الابتهالاتِ وتقديمِ البركاتِ[٢].

. المانويةُ:

تُنسَبُ المانويةُ إلى ماني[٣] الذي ادعى أنه النبيُّ الذي بشر به عيسى عليه السلام، وأنه خاتمةُ الأنبياءِ[٤]، إذ قال: ((إن الحكمةَ والأعمالَ هي التي لم يزلْ رُسُلُ اللّهِ تأتي بها في زمن دون آخر، فكان مجيئُهُم في بعضِ القرونِ على يدي الرسولِ الذي هو البد إلى بلاد الهند؛ وفي بعضها على يدي زرادشت إلى أرض إيران وعلى يدي عيسى إلى أرض المغرب، ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوة في هذا القرن على يديَّ أنا ماني رسول إلهِ الحقِّ في أرضِ بابلِ[٥])).

وادعى ماني إن اللّه أرسله من بابل لتصل دعوتُهُ إلى العالَمِ أجمعَ[٦]. ولا تبتعدُ

١- خريسات، المرجع السابق، ص١٣٤. الموسوعة الفلسفية العربية: إشراف معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت،ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص٦٩١.

٢ - الموحى(عبد الرزاق رحيم صلال): العبادات في الأديان السماوية، اليهودية، المسيحية، الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٦.

٣- ماني، ولد في مدينة بابل العراقية سنة ٢١٦م، وادعى النبوةَ، وقال بالثنائيةِ، أي بإلهٍ للنور وآخرٍ للظلامِ، وتخلط المانوية التعاليمَ المسيحية باليهوديةِ والزرادشتيةَ والبوذيةَ، وانتشرت بدءاً من القرن الثالث في بلاد إيران والهند والصين وآسية الصغرى، وانتشرت أيضاً في بلاد البلقان وفرنسا وإيطاليا. أسود، المرجع السابق، ج١، ص٤٤. الحنفي(عبد المنعم): المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٧٢٧. - رفيع حقيقت (عبد الرفيع): نقش إيرانيان در تاريخ تمدن جهان، كتابخانة ملي إيران، تهران،٢٠٠٠م، ص١٧٩.

٤- حنا(نهى) وأخرون: موسوعة كنوز المعرفة، إشراف أميل بديع يعقوب، دار نظير عبود، جونية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦٨. رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص١٧.

٥- البيروني(أبو ريحان محمد بن أحمد): الأثار الباقية عن القرون الخالية، لايبزيك، ١٨٧٨م، ص٢٥٢.

٦- سعفان(كامل): معتقدات آسيوية، العراق، فارس، الهند، دار الندى، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٣٨. رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص١٨٠.

أصولُ عقيدته كثيراً عن الزرادشتية إذ ترى أن العالَم قائمٌ على أصلين: هما الخيرُ والشرُ، أو النورُ والظلمةُ وهما منفصلانِ عن بعضهما وأنَّ اللّه هو أزليٌّ، وهو ملكُ جنانِ النورِ، كما أنَّ الشرَّ موجودٌ على الدوام وسيظل إلى الأبد[1].

صَنَّفَ ماني عدَّةَ كُتُبٍ لنشرِ دينِهِ أهمها سفرُ الأسرارِ، وكتابُ الأصلينَ، والإنجيلُ الحيُّ وغيرها. كما فرضَ على أتباعِهِ العُشْرَ في الأموالِ، وأربعَ صلواتٍ كُلَّ يومٍ، وأمرَهُمْ بتركِ الكَذبِ والقتلِ والسرقةِ والزنى والبخلِ وغيرِها[2]. تأثرت عقيدتُهُ بالديانة المسيحيةِ من خلالِ بعضِ العقائدِ كالتعميدِ والقُدَّاسِ الإلهيِّ، وبالإضافة لتأثرها الواضحِ بالزرادشتيةِ[3].

قسَّم ماني أتباعه إلى فئتين: الأولى هي المقرَّبونَ المصطَفَوْنَ الذين حُرِّمَ الزواجُ عليهم، والثانية السماعون المطيعون الذين يسمح لهم بالزواج[4]. ومما يثيرُ الاهتمامَ في عقيدةِ ماني أنَّهُ لم يكتفِ بالطوافِ في إيران للتبشير بمبادئه، بل طافَ عدَّةَ مناطقَ، مما ساعد على انتشار أفكارِهِ بسرعةٍ كبيرةٍ[5]. وأدى نجاحُهُ السريعُ إلى قلقِ الكهنةِ الزرادشتيين الذين ضيَّقُوْا عليه الخناقَ، فأحضر الملكُ الموابذةَ لمناظرتِهِ فكُشِفَ أمرُهُ أمامَ الملكِ فصُلِبَ وسُلِخَ جلدُهُ عام ٢٧٧م. وعانى أتباعُهُ أعنفَ أنواعَ

١- مجموعة مؤلفين: موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٣٥.

٢- الشهرستاني، المصدر السابق،،ج٢، ص٥٨.

٣- رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص١٨١. سعفان، المرجع السابق، ص١٤١. وإيدنغرين(جيو): ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، ١٩٨٥م، ص٩٧.

٤- سعفان، المرجع السابق، ص١٤٠. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٨١. وإيدنغرين، المرجع السابق، ص١٢٥ — ص١٢٨.

٥- رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص١٨٨. ويلز(هـ. ج): معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، عبد الحميد يونس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٠م، ج٣، ص٧٥٢.

الاضطهادِ، ومع ذلك استمرَّ مذهبُهُ عدَّةَ قرونٍ لاحقةٍ[1].

. المزدكيةُ:

تُنْسَبُ المزدكيةُ إلى مزدك[2] الذي ظهر أيامَ قُباذ الأول مطلع القرن السادس الميلادي[3]. وقال بوجود مبدأين أو أصلين للكون: هما الظلمةُ والنورُ. وقد نهى مزدكُ عن المخالفةِ والمباغضةِ والقتالِ، ولأنَّ أكثرَ أسبابِ ذلك النساءُ والأموالُ، أَحَلَّ النساءَ وأباحَ الأموالَ، وجَعَلَ الناسَ شركةً فيها كاشتراكهم في الماءِ والنارِ[4]. فكان يقول دائماً: ((إن الله إنما جعل الأرزاقَ في الأرضِ ليقتسمَها العبادُ بينهم بالتساوي، فمَنْ كان عندَهُ فضلٌ من الأموالِ والنساءِ والأمتعةِ فليس أولى بها من غيره[5])).

وقد لاقتِ المزدكيةُ انتشاراً كبيراً في إيرانَ وأذربيجانَ وآسيةَ الوسطى، خاصةً أنَّها رَوَّجَتْ للانتصار الحتمي للنور على الظلمة وللخير على الشر. وأعلن أنَّ العدالة الاجتماعية ستنتصر على الظلم والتفاوت الطبقي ولتحقيق ذلك دعا لاستخدام العنف والقسوة للقضاء أولإلغاء التفاوت الطبقي الاجتماعي ولجعل الملكيةِ عامةً يتمتع بها الناسُ على السواء.

كانت الأوساط الفقيرة أكثر فئات المجتمع تأثراً بأفكار المزدكية،

١- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص٧١. رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص١٨٨. وإيدنغرين، المرجع السابق، ص٥٧ – ص ٦١.

٢- مزدك، من أهل نيسابور، ولد حوالي عام ٤٨٧م وقتل على يد كسرى أنوشروان بعد أن اشتد أمر دعوته، وأثرت سلباً على المجتمع.

أسود، المرجع السابق، ج١، ص٤٤ – ص٤٧. بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٢٠.الحنفي، المرجع السابق، ص٧٨٨.

٣- المقدسي(المطهر بن طاهر): البدء والتاريخ، باريس، ١٩٠٣م، ج٣، ص١٦٧.

٤- وجدي(محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ج٨، ص ٤٥٣ – ص٤٥٤.

٥- مجموعة مؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، ص٤٥٠.

فانتفضت واستولت على أملاك الأغنياء، وطردوا الإقطاعيين، وعمت الفوضى والاضطرابات البلاد كافة، واستبيحت أعراض النساء وأموال الأغنياء وغير الأغنياء، وتزعزع الاستقرار الاجتماعي، خاصةً أمام تأييد قباذ الأول لها. ولكن بعد نجاح غير طويل قُمعتِ المزدكية ونُكِّلَ بأتباعها بوحشيةٍ بالغةٍ[1].ويذكر أنَّ لمزدك كتاب مفقود، وأنه كان موجوداً ترجمه ابن المقفع للعربية[2].

. اليهوديةُ:

تعرض اليهودُ في ظل الفرس لمضايقاتٍ شديدةٍ من رجال الدين والملوك. فقد كان رجال الدين شديدي التعصب، وكان تعصبهم لأسبابٍ سياسيةٍ؛ خاصة وأنهم ادعوا السيادة المطلقة داخل حدود الدولة ولا يطمئنون كثيراً إلى مَنْ يدينون بدين آخر.

ففي عهد قباذ الأول (٤٨٨ ـ ٥٣١م)، ألقوا في السجن بعض رجال الدين عام ٥٢١م، الذين حُكِمَ عليهم بالقتل. وفي عهد الملك هرمز الرابع الذي خلف كسرى أنوشروان على العرش سنة ٥٧٩م، ساءت أحوال اليهود نظراً لوقوفهم إلى جانب القائد بهرام جوبين، الذي قاد مؤامرة ضد الملك. وهكذا أصاب اليهودَ طوالَ عهدِ الدولةِ الفارسية اضطهاد شديد واعتداء على حرياتهم الدينية، من جراء تعصب المجوس أتباع زرادشت.

كذلك ثار اليهودُ في صورَ، وأرسلوا إلى بني مِلَّتِهِم في قبرصَ ودمشقَ والقدسَ؛ يُحرِّضونهم على الثورةِ بمناسبة غزوِ الفرس لسورية، وحينما سبى الفرس كثيراً من سكان البلاد النصارى، بادر اليهود إلى شراءِ عددٍ كبيرٍ منهم يتراوح عددهم بين٠٠٠ ،٨٠- ٠٠٠ ،٩٠ ألفاً، وذبحوهم حيث مُثلتْ في هذا الحادث عمليةٌ انتقاميةٌ بالغةُ القسوةِ. كما أشعلوا النار في جميع كنائسِ النصارى في أورشليمَ وكنيسةِ

١- مجموعة مؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ص٩٩.

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٢١.

القيامةِ. مما يدل على اضطهادهم في بيزنطة أيضاً، ويذكر أنَّ رغبةَ اليهودِ في الانتقام لأنفسهم، ترجعُ إلى الاضطهادِ الطويل الذي لحق بهم على يد بيزنطةَ أيضاً. وربما كان هذا العدد مبالغاً فيه.ثم لماذا يشتري اليهودُ هؤلاء؟!!. هل كان ذلك ردةَ فعلٍ على السياسةِ البيزنطيةِ تُجاههم؟!!.

ولقد وقع صراعٌ عنيفٌ بين أباطرةِ بيزنطةَ وملوكِ إيرانَ، فكان اليهودُ كغيرهم من سكان الولاياتِ في مصرَ والشامِ والعراقِ ضحايا لهذا الصراع[1].

. المسيحيةُ:

المسيحيةُ دينٌ أسسه يسوعُ المسيحُ، وأُطلِقَ على أنصاره اسمَ المسيحيين[2]. ومنذ عام ٦١م بدأتِ المسيحيةُ تنتشر في روما، وعلى مدى ٢٥٠ عاماً عاشتِ الكنيسةُ في اضطهادٍ دائمٍ، واستُشْهدَ العديدُ من المسيحيينَ بسبب رفضهم تأليهَ الإمبراطورِ البيزنطيّ، ولم يحصلوا على حرية في ممارسة شعائرهم إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول[3]، الذي أصدر مرسوم ميلان ٣١٣م أطلق فيه حرية المعتقد الديني للمسيحيين[4].

أما في إيرانَ فلم يتمتعِ المسيحيونَ بحريةٍ واحترامٍ كامِلَيْنِ، ويشهدُ مثالاً على ذلك المذبحةُ الرهيبةُ التي قام بها قباذُ الأول عند استيلائه على آمد نحو عام٥٢٠م، إذ لم يعفُ إلا عن أربعين شهيداً، وهم الذين توسط لهم ملكُ الأرمن، وقد أحصَوْا جُثثَ القتلى فكان نحواً من ثمانينَ ألفاً، ومعروف عن آمد إنها تغص

١- الدسوقي(أحمد):أحوال اليهود في عهد الساسانيين، مقال نشر على شبكة الإنترنت.

٢- المسيحي، هو الذي يؤمن بضرورة إعادة تأويل كل شيء على ضوء تعاليم يسوع. والمسيحية هي الديانة الوحيدة التي تتجسد حقيقتها في شخص حي ذي وجودٍ واقعيٍّ. مجموعة مؤلفين، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩٠م، ج٦، ص١٨٢.

٣- قسطنطين الأول، هو ابن القيصر ونستانيتوس كلوروس، وأمه هي هيلانة التي منحت صفة قديسة عند المسيحيين، ولد عام ٢٨٠م في مدينة نيش وحكم بيزنطة بين عامي(٣٠٦ – ٣٣٧م). فرح، تاريخ بيزنطة السياسي،، ص٥٦.

٤- رستم، الروم، ج٢، ص٥٤. مظهر، المرجع السابق، ص٣٩٩.

بالمسيحيين[١]، هذا بالإضافة إلى أن قباذ الأول لم يتوانَ عن سجن الأساقفة اليعقوبيين[٢].

مع وصول كسرى أنوشروان للحكم توسعتِ الكنيسةُ المسيحيةُ في إيرانَ، وعمل على تنظيمها، ولكن هذا لا يعني أن زمن الاضطهادِ قد انتهى[٣]، فهذا هو قد قتلَ العديدَ من سكان مدينة سورا[٤]، وبعد خدعِ أسقُفِها واستيلائِهِ على أموالها يضرم النارَ فيها في ربيع عام ٥٤٠م[٥]. ولم ينتهِ عند هذا الحد فقد هاجم الرها عام ٥٤٤م وحاصرها لكنه فشل أمام أسوارها، فرفع حصاره مقابل المال[٦]. كل هذه الأحداث دفعت بالبيزنطيين أن يشترطوا ضمان الحرية للمسيحيين عند توقيع معاهدة السلام مع الفرس عام ٥٦٢م[٧]. حيث أعادَ كسرى أنوشروانُ تنظيمَ الكنيسةِ اليعقوبيةَ من جديدٍ[٨].

٤- الحياةُ الفنيةُ:

تعكس الفنونُ الذوقَ الرفيعَ الذي تمتَّعَ به كلُّ شعبٍ من الشعوب، وتكمن أهمية دراسة الفنون في كونها تلقي ضوءاً واضحاً على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية، فمثلاً تشييد المباني الضخمة كالقصور

٥- أرملة(اسحق): تاريخ الكنيسة السريانية، نشر وتقديم بهنان هندو، منشورات بيت زابداي، لبنان، ١٩٩١م، ص١٥٥.

Trimingham (J Spencer),Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic Times -1 – First Published, Longman, London, New York, 1979 . – P.169 .

٢- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢.

٣- سورا: مدينة قديمة، تقع على نهر الفرات قرب الرصافة. انظر موقعها على الخارطة رقم (٥).

٤- أثناسيو(متري هاجي): سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص٢١٩. الشاعر، المرجع السابق، ص١٩٩.

John – op. cit. – Vole 1 – P141.

٥- اليوسف، المرجع السابق،، ص٦٤.

٦- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٢٢. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٥.

٧- P.170 Trimingham– op. ci.

والقــلاع يــدل علــى الازدهــار والرخــاء الاقتصــادي، كمــا يــدل علــى الاســتقرار الاجتماعي. من هنا شغلت دراسة الفنون المختلفة للدولة الفارسية حيزاً مهماً من العمل.

ـ فَنُّ العمارةِ:

تُعَدُّ الأبنيةُ من أهم المعالمِ المديدةِ الأثرِ التي تدل على رُقيٍّ أو تخلُّفِ وتراجعِ الحضارةِ، وتُصنَعُ غالباً من موادَّ غيرِ قابلةٍ للتَّلفِ ومقاومةٍ لعواملِ التعريةِ الجويةِ، ناهيكَ عن إمكانيةِ تدميرِ رُقيِّ حضارةٍ ما نتيجةً لما تتعرضُ له من كوارثَ كالكوارثِ البيئيةِ أو الحروبِ.

ترك الفرس شواهدَ معماريةً كثيرةً توضِّحُ لنا أسلوبَ العمارةِ وطُرقَهُ وعظمتَهُ، وعلى اعتبار أن الفرس لم يقطنوا في إيرانَ نفسِها بل في وادِيَيْ دجلةَ والفرات، فيُلاحظُ تفاعلُ حضاريُ على نماذجِ العمارةِ، وفي مخلفاتهم المعماريةِ التي يغلبُ عليها القصورُ.

أُقيمتِ الأبنيةُ على مخطَّطٍ واحدٍ وبمنتهى البساطةِ والسهولةِ[1]، يعكسها لنا الوصفُ التالي لمثالٍ معماريٍّ من القصورِ يعود للملك كسرى أنوشروان، وهو قصر طاق البستان ونقوشُهُ.

ـ قصرُ طاق البستان (قصرُ كسرى أنوشروان)[2]:

تقع بقايا القصر على الطريق بين بغداد وكرمنشاه[3]، وتشغل مساحة تقارب ٤٠٠x٣٠٠م. تشملُ الإيوانَ وبقايا بناءٍ شرقيٍّ وتلاً في جنوبه يُسمَّى (حريم كسرى)، وفي شَماله خرائبُ تُخفيها مقبرةٌ حديثةٌ. والإيوانُ هو الجزء الوحيدُ من هذه

١- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤٦ — ص ٦٤٧.

٢- انظر اللوحة رقم (٥).

٣- كرمنشاه، هي قرميسين، بلدة بين همذان وحلوان،على جادة الحاج. البكري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٦٧. الحموي، المصدر السابق، ج٤، مادة قرميسين، ص٣٧٥. القزويني، المصدر السابق، مادة قرميسن، ص٤٣٣. ليسترنج، المرجع السابق، ص٢٢١.

المجموعة الذي بقيتْ منه خرائبُ هامةٌ، يتجه البناء نحو الشرق ويرتفع إلى نحو ٢٩م، وتتكونُ واجهتُهُ من جدارٍ بدون نوافذَ، ولكنْ تُزيِّنُهُ الطاقاتُ وأشكالُ الأعمدةِ المنقوشةُ عليه بشكلٍ بارزٍ. بالإضافة إلى العقودِ الحجريةِ المصفوفةِ على أربعِ طبقاتٍ.

تُشرفُ وَسَطَ هذه الواجهةِ القبةُ البيضاويةُ الهائلةُ التي تُغطي بهوَ الاستقبالِ، وخلفَ كُلٍّ منْ جناحَيْ الواجهةِ خمسةُ أبهاءٍ أقلُ ارتفاعاً، تعلوها قبابٌ مستديرةٌ يسدُّها من الخارج جدارٌ مرتفعٌ[1]، ويقبعُ خلفَ الجدارِ بهوٌ مربعٌ في الوَسَطِ وعلى كلا الجانبينِ حجرتان أصغرُ حجماً، وقد بُنيتِ الجدرانُ والقبابُ جميعاً من اللَّبْنِ[2].

أما الإيوانُ فهو عبارةٌ عن بناءٍ بسيطٍ بُنيَ مِنَ الجِصِّ والآجُرِّ[3]، بناهُ كسرى أنوشروانُ عام ٥٥٠م[4]، وكانت أبعادُ فتحةِ قبتِهِ بين ٨٠، ١٤ – ٥٦، ٢٥م وارتفاعها حوالي ٥، ٣٢م[5]. وقد غطَّتْ جدرانَ الإيوانِ لوحاتٌ فسيفسائيةٌ من بينها تلك التي تُمَثِّلُ حصارَ أنطاكية، والمعاركَ التي دارتْ حولَها، إذ نرى كسرى أنوشروانَ بملابسَ خضراءَ ممتطياً صهوة جوادٍ أصفرَ ويستعرضُ صفوفاً من الجُنْد الفارسيينَ والبيزنطيينَ[6].

١- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤٧.

٢-Encyclopedia Of World Art – Printed In Italy – McGraw Revised Printing – Hill Book Company – London– 1972,PP.709–710.

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٧٢ – ص ٣٧٣.

٤- بيرنيا، المرجع السابق، ص٣٨٣.

٥- بهنسي(عفيف): موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، دار الرائد العربي، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ج١، ص١٦٨ – ص١٦٩.

٦- كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٨١.

- فَنُّ الزخرفةِ والرسمِ:

اهـتمَّ الفـرس بالزخرفـةِ الملونـةِ اهتمامـاً كـبيراً، فقـد كانـتْ تُغطِّـي الواجهـاتِ الطينيةَ للأبنيةِ. وشَغَلَ تزيينُ الجدرانِ مكانةً هامةً من فنـونهم [1]، وقـد تـألق الـذوقُ الفـنيُّ أَوّلَ مـا تـألقَ في الـبلاطِ الملكـيِّ، فظهـرتْ أوانٍ جميلـةٌ وأطبـاقٌ وكـؤوسٌ، ودوارقُ وأباريقُ، بالإضافةِ إلى طاسـاتٍ كانت أجزاؤُهـا المختلفةُ تُصنْعُ كُلٌّ منها على حدةٍ وتُطلَى بالذهبِ، ثم تُجمعُ ويُضَمُّ بعضُها إلى بعضٍ[2]، وقد زُيِّنَتْ بمختلفِ الموضوعاتِ[3].

يُعَدُّ تتويجُ الملكِ وخروجُهُ للصيدِ أهمَّ الموضوعاتِ التي استحوذتْ على فكـرِ الفنانِ الفارسي، فنرى على طبقٍ من الفضةِ المذهبـةِ كسـرى أنوشـروان وقد انطلق بجـواده، ممسـكاً بالسـهم في يـده، متعقبـاً الحيوانـات البريـةَ[4].ويبـدوأن اهتمـامُ الفنانينَ الفرس بهذِهِ الموضوعاتِ يدلُّ على خدمـةِ الفنِّ للبلاطِ الفارسـي أكثـرَ مـنْ أيِّ شيءٍ آخرَ، كما تدلُّ على عدمِ استقلالِهِ، ومعالجتِهِ موضوعاتٍ مختلفـةً أكثـرَ قُرباً للأوضاعِ السائدةِ سواءٌ الاقتصاديةُ أو الاجتماعيةُ.

إضـافةً إلى تلـك الموضـوعاتِ شـاعَ في هـذه الحقبـةِ نقـشُ لوحـاتٍ للحيوانـاتِ، كتلك الـتي ترمـز للآلهةِ وخاصـةً آلهـةُ الخيرِ كالطـاووسِ والكـبشِ . كمـا صنع الفنانون بعضَ الكؤوسِ على هيئةِ رؤوسِ الحيواناتِ المختلفةِ، وخاصـةً الجياد حيث يكشفُ لنا رأسُ الجوادِ الفضيُّ رغبةَ الفنانِ في محاكاةِ الواقعِ[5].

١- بهنسي، المرجع السابق، ج١، ص١٦٩ – ص١٧٠.

٢- انظر اللوحة رقم(٦).

٣- عكاشة(ثروت): الفن الفارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ج٨، ص٣٢٢.

٤- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٢٢. انظر اللوحة رقم(٧).

٥- انظر اللوحة رقم (٨).

ـ فَنُّ النَّحْتِ :

تـرك الفنـانُ الفارسـي دلائـلَ كـثيرةً علـى اهتمامـهِ بالنحـتِ وبراعتِـهِ فيـه، فبالإضافةِ للنقوشِ النـافرةِ على واجهاتِ القصورِ أو داخلَها نجدُ أن الفنـانينَ نحتوا تمـاثيلَهُم مـن الأحجـارِ الكريمـةِ أو شـبهِ الكريمـةِ، كأحجـارِ الليمـانِ واليشـبِ والسبلانِ والعقيقِ. نحتـوا مـن هـذه الأحجـار تماثيـلَ للآلهـةِ وحيوانـاتٍ مختلفـةٍ. ومـن أجملِ تماثيلِهم الصغيرةِ ذلك الخنزيرُ الوحشيُّ الصغيرُ المصنوعُ مـن الـذهبِ، والـذي أُلْصِقَ على كتفِهِ نقشٌ يمثِّلُ أسداً ينقضُّ على فريسته، كما أُلصِقَ على فَخِذِهِ نقشٌ آخرُ يُمَثِّلُ جناحَيْنِ منشورَيْنِ يحتضنانِ هلالاً تعلوهُ نجمةٌ[1].

ـ الموسيقى:

عَرَفَ الفرس الموسيقى التي ازدهرت كثيراً مع رُقيِّ البلاطِ الفارسـي، خاصةً علـى عهـدِ الملـوكِ الـذين حملـوا لَقَـبَ كسـرى. وكـان العُـودُ مـنْ أفضـلِ الآلاتِ لديهم، كما تُبيِّنُ لنا نقوشُ طاق البستانِ. وقد وصل عددُ الآلاتِ الموسيقيةِ المعروفةِ زمن كسرى أنوشروان، إلى حوالي ثلاثين آلةً منها العودُ والنَّايُ والمزمارُ وغيرُها[2].

ويحتفظُ التـاريخُ الفارسـي بـذكرِ اثنينِ مـن موسـيقيي القـرنِ السـادسِ، وهمـا سركش وباربد، فقد كان الأولُ مطربَ كسرى أبرويز، ويحاولُ منع الثاني من الوصول لكسرى أبرويز حسداً وغَيْرةً، ولكنَّ باربد فازَ بثقةِ كسرى أبرويز وألَّفَ ما يزيدُ عن ثلاثين لحناً[3]. لحنٌ واحدٌ لكُلِّ يومٍ من أيامِ الشهرِ الزرادشتيِّ، وثَمَّةَ مجموعةُ أغاني كانتْ موضوعاتُها تدورُ حولَ أحداثِ الأساطيرِ الإيرانيةِ، وألحانٌ أخرى تتناولُ أحداثاً معاصرةً لهم، وخاصةً تلك التي تتغنى بالملكِ والبلاطِ[4].

كان الموسيقيونَ يرافقونَ الملكَ في رحلاتِ الصَّيدِ أو الحربِ، هذا ما تُمكِّنُنا

١- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٢٣.

٢- الخشاب، المرجع السابق، ص٦٧.

٣- الفردوسي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٢.

٤- عكاشة، المرجع السابق، ج٨، ص٣٤٦.

منهُ معرفةُ لوحةٍ تُمَثِّلُ نِسوةً يُهَلِّلْنَ للملكِ الذي يصطادُ الخنازيرَ، وأخرى تُصوِّرُ لنا عِدَّةَ نسوةٍ يَعْزِفْنَ على القيثارةِ[1].

صنعَ الفنانُ الفارسي أدواتِهِ الموسيقيةَ العديدةَ بيدِهِ، وخاصةً التي نجدُها منقوشةً أو مُصَوَّرةً في نقوشِ الصيدِ على جدرانِ طاق البستان، كالقيثارةِ والمزمارِ وغيرها. في حين رَسَمَ العُودَ والنايَ على الأواني الفضيّةِ، فنجدُ على طبقٍ من الفضةِ نقشاً لصورةِ راقصةٍ وَسَطَ ثلاثِ نسوةٍ يَعْزِفْنَ على الآلاتِ الموسيقيةِ.

٥- انظر اللوحة رقم (٩).

الفصل الثاني

التنافسُ الفارسي البيزنطيُّ على المنطقةِ الشماليةِ في القرن السادس الميلادي((أرمينية - لازيكا))

١ـ أرمينية.

- **ـ موقع أرمينية.**
- **ـ أهمية أرمينية في السياسة الدولية.**
- **ـ أرمينية في القرن السادس الميلادي.**
- **ـ محاولة كسرى أنوشروان الاستيلاء على أرمينية.**
- **ـ أوضاع الأرمن في الجزء الفارسي.**
- **ـ حملة بهرام جوبين ضد الترك واكتساح أرمينية.**
- **ـ أرمينية في عهد موريس.**
- **ـ معاهدة ٥٩١م.**
- **ـ أرمينية بعد معاهدة ٥٩١م.**

٢ - لازيكا.

- أهمية البحر الأسود بالنسبة للدولة الفارسية .
- الاهتمام الروماني بالمنطقة القفقاسية حتى القرن السادس الميلادي.
- التنافس الفارسي البيزنطي على المنطقة القفقاسية حتى القرن السادس الميلادي.
- التنافس الفارسي البيزنطي على لازيكا في القرن السادس الميلادي.
- حملة كسرى أنوشروان على لازيكا٥٤٤م.
- تطور الحرب الفارسية البيزنطية على لازيكا.

١ً. أرمينية :

. موقعُ أرمينيةَ.

تقع أرمينية في أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعاً من المنطقة الجبلية الواقعة في غربي آسية، وهي بلاد جبلية مترامية الأطراف. تمتد منخفضةً بالتدريج من الغرب إلى الجنوب، وتخترقها عدة سلاسل جبلية عالية(١). وقد اختُلِفَ في حدودها الحقيقية، نظراً لما طرأ عليها من تقلباتٍ وحروبٍ، فنجدها عند ياقوت الحموي((-- وحدها من برذغة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم، وجبل القبق وصاحب السرير(٢))). وفي دائرة المعارف ((إن مساحتها تختلف من ألف إلى ألف وخمسمائة ألف ميل، وكانت تمتد نحو جبال قوقاس وتتصل بها من الجهة الشمالية، وإلى بحر قزوين أو قريباً منه إلى الجهة الشرقية داخلاً فيها حسب رأي البعض بحيرة أورمية الحديثة من جهة الجنوب الشرقي، وقسم من قبدوقية من جهة الجنوب الغربي والغرب(٣))).

هكذا يمكن أن نحدد الإطار الجغرافي لأرمينية بالحدود التالية: من الشرق كردستان وأذربيجان ومن الغرب آسية الصغرى، من الشمال ايميريتيا وكرجستان أما من الجنوب فتحدها الجزيرة (بلاد ما بين النهرين)(٤). وتعد أرمينية أكبر إقليم جبلي في آسية الغربية ويضم ثلاث بحيرات هي بحيرة استيفان، وهي البحيرة الأرمينية الشمالية التي يصب فيها ٢٨نهراً وتبلغ مساحتها ٢٩٨٠كم٢. والبحيرة

١- البستاني(بطرس): دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مادة أرمينية، ج٣، ص٢٣١.

الشنتاوي (أحمد) وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علاّم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٧٠م، ج٩، ص٣١.

٢- الحموي، المصدر السابق، مادة أرمينية، ج١، ص١٩١.

٣- البستاني، المرجع السابق، مادة أرمينية، ج٣، ص٢٣١.

٤- البستاني، المرجع السابق، مادة أرمينية، ج٣، ص٢٣١. السيد(أديب): أرمينية في التاريخ العربي، ط١، ١٩٧٢م، ص٢٧. مجموعة باحثين: الأرمن في دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٣٣- ص٣٤.

الثانية البحيرة الأرمينية الجنوبية ذات المياه المالحة التي تبلغ مساحتها ٣٧٤٠كم٢. وأخيراً بحيرة أورمية أو كبوذان وهي البحيرة الجنوبية الشرقية مياهها مالحة جداً وتمتد على ٦٠٠٠كم٢. بالإضافة إلى ذلك تُعَدُّ أرمينيةُ بلادَ الأنهارِ العظيمةَ، وأهمها التوأمان الكبيران دجلة والفرات، حيث ينبع الأول من جبال طوروس عند جنوب بحيرة وان، والثاني من قرية قزيل قليا في قلب أرمينية، ويروي النهران الأرض حتى الخليج العربي، إذ يتحدان ويصبان فيه. وهناك أيضاً نهرا الكر[1](كيروس) ونهر الرس[2] (أركسيس)، وهذان أيضاً يتحدان ويصبان في بحر قزوين[3].

يخترق أرمينية عدة سلاسل جبلية فبين أرضروم وطرابزون خمس سلاسل متوازية. وفي جهتها الشرقية جبل أرارات الذي يمتد طبيعياً من بحيرة وان إلى بحيرة أسيفان، وينقسم إلى جبلين أرارات الكبير (ماسيس الكبير) وأرارات الصغير(ماسيس الصغير). بالإضافة إلى جبال أكادز وجبال بنغول وغيرها[4]. هذا ويُعَدُّ مناخُ أرمينيةَ قارياً بالإجمالِ، بسبب ارتفاعها عن سطح البحر إلا أنه شديد البرودة في الشتاءِ مما يطبعُ السكانَ بطابع خاص، يجعلهم أشداءَ، وأقوياءَ، وهي الصفة

١- نهر الكُرّ : ينبع نهر الكُرّ من جرزان (في جورجيا الحالية) من الجهة الغربية لمدينة تفليس، يتجه شرقاً ويلتقي مع نهر الرس بعد أن يقطع مسافة ٩٤٠كم. خطاب : المرجع السابق، ص١٥- ١٧.

سيبل(الكسندر): أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك والروس، طبع مدينة أوسلو، ١٩٢٨م، ص٣٩.

. - Crousset (R) – Histoire De L Armenie Des Origines a 1071- Paris – 1946 –P. 234

٢ - نهر الرس: ينبع نهر الرس من جبال بنكول داغ في غرب أرمينية، يتجه شرقاً حيث يلتقي مع نهر الكُرّ، ويصب فيه عدة انهار مثل أران، ويصب في بحر الخزر بعد أن يكون قد قطع مسافة ٥٥٠ ميلاً.

خطاب (محمود): أرمينية بلاد الروم، دار قتيبة، دمشق، ط٤، ١٩٩٠م، ص١٤- ١٥.

٣- البستاني، المرجع السابق، مادة أرمينية، ج٣،ص٢٣٢. عربش(سمير): أرمينية أرض وشعب، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص١٢- ص١٣.

٤- عربش، المرجع السابق، ص١٤.

الغالبة على طبيعة أبناء الجبال[1].

. أهميةُ أرمينيةَ في السياسةِ الدوليةِ.

شغلت أرمينيةُ دوراً اقتصادياً هاماً كونها نقطةَ عبورٍ هامةً بين الشرقِ والغربِ، كما تمتعت بالعديد من المزايا الاقتصادية، فوجدت فيها الأراضي الزراعية في السهول كسهل أرارات، واشتهرت بزراعة الخضروات والكروم والأشجار المثمرة كالتفاح والجوز والفستق واللوز والصنوبر، بالإضافة إلى الحبوب كالقمح والشعير. وساعد على ازدهار الزراعة في السهول أوديةُ الأنهارِ الكثيرةُ كنهري الرس والكُرّ. كذلك انتشرت المراعي في الهضاب والمرتفعات حيث عمل الأرمن في رعي الخيول والبغال والأغنام. بالإضافة لذلك عاشت في المرتفعات الحيوانات البرية كالغزلان والحيوانات ذات الفراء، حيث اشتهر الأرمن يصيدها والاتجّار بجلودها. ولا ننس في هذا الإطار استغلال الأرمن للأنهار والبحيرات في صيد الأسماك، وتجفيفها والاتجار بها، ومن أشهرِ البحيراتِ غنىً بالثروةِ السمكيةِ بحيراتُ أرجيش ووان وسيفان[2].

وبالانتقال للجانب الآخر من الاقتصاد والذي يتمثل بالثروات الباطنية، نجد أن أرمينية من أغنى أقاليم آسية في الثروة المعدنية، فانتشرت فيها مناجم الحديد والذهب والفضة والنحاس والزرنيخ، بالإضافة لاستخراج الملح والأحجار الكريمة من أراضيها. ولا يخفى الأثر الأكبر لهذا الغنى الاقتصادي فقد ساعد توفر المعادن الثمينة إلى تسهيل التعامل النقدي إذ كانت نقود أرمينية من الذهب والفضة،

١- آمبل (بول): تاريخ أرمينية، ترجمة شكري علاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٦.

الشنتاوي، المرجع السابق، ص٣٤.

٢- ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي): صورة الأرض،دار مكتبة الحياة،بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص٢٢٩.

سيبل: المرجع السابق، ص٤٠.

فانتشرت دور سك النقود[1].

انعكس توفر هذه الثروات على الجوانب الأخرى من الاقتصاد، إذ بسبب تنوع الموارد الزراعية والرعوية والمعدنية والحيوانية، قامت في أرمينية صناعاتٌ متنوعةٌ كالنسيجِ والأسلحةِ والصوفِ وغيرِ ذلك.

أما التجارة. فتُعَدُّ من أهمِّ جوانبِ الاقتصادِ، إذ قام الأرمنُ بالاتجّارِ في العديدِ من مواردهم ومنتجاتهم الصناعية، فكان لبلادهم نشاطٌ تجاريٌّ واسعٌ، حيث ساعد موقعُها الاستراتيجيُّ على ازدهارها التجاري. فالطرقُ التجاريةُ تمرُّ عبرَها من البحرِ الأسودِ إلى بحرِ قزوينَ والجزيرةِ وإيرانَ، لهذا كانت أرمينيةُ معبرَ التجارةِ بين الشرقِ والغربِ. وكان من بين أهم مراكزهم التجارية طرابزون على البحر الأسود، وأرتانوج **Artanuj** في(جورجيا الحالية)، حيث كانت تقع عند ملتقى الطرق التجارية بين طرابزون وأرمينية وبيزنطة ومدن القفقاس الشمالية، التي كان يأتي إليها التجار من أبخازيا[2] وطرابزون. وكذلك كانت دوين[3] من المراكز التجاريةِ والصناعيةِ الهامةِ، ومقراً يتم فيه التبادلُ التجاريُّ للتجارةِ القادمةِ من إيرانَ والهندِ والإمبراطوريةِ البيزنطيةِ[4].

ازدهرت أرمينيةُ بفضل هذا النشاط الاقتصادي، وبسبب وقوع العديد من مدنها على طريق التجارة الدولي، الذي يمر عبر أراضيها بين بيزنطة والبحر الأسود من جهة، وبحر قزوين وإيران من جهة أخرى. ومن هذه الأهمية الاقتصادية جنت

١-Crousset ,op. cit, P 234.

٢- أبخازيا: منطقة تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، تمتاز بطبيعتها الجبلية حيث تصل قممها إلى أعلى من ٤٠٠٠م، وتكثر فيها الأنهار. عدة مؤلفين الموسوعة العربية، ج١، مادة أبخازيا، ص٤٣.

٣- دوين، بلدة من نواحي أرَّاران في آخر اذربيجان قرب تفليس. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة دوين، ص٥٥٨.

٤- العبد الغني(عبد الرحمن): أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٦.

أرمينية أرباحاً طائلة، مما دفع بالدول الكبرى آنذاك للسيطرة عليها.

ففي القرن السادس الميلادي وبموجب معاهدة عام ٥٣٢م بين الطرفين، تم تقسيم أرمينية بين البيزنطيين والفرس إلى أرمينية الشرقية للساسانيين وأرمينية الغربية للبيزنطيين. كما حاول إمبراطور بيزنطة أن يلغي الأهمية الاقتصادية لأرمينية، وكذلك للساسانيين الذين يتحكمون بها وبتجارتها، وذلك عن طريق فتح طريق تجاري جديد يصل الهند والصين ويجلبُ موادَّ تجارتِهم، لكنَّ جهودَهُ باءتْ بالفشل ولم يكللها النجاح[1].

من هنا نجد أن أهمية أرمينية الاقتصادية دفعت بالدول الكبرى آنذاك للاعتداء عليها وسلبها حريتها، حيث كان سائداً رغبةُ الأقوياءِ في السيطرة على المناطقِ الاقتصاديةِ الهامة.

. أرمينيةُ في القرنِ السادسِ الميلاديِّ:

حاولتْ إيرانُ تشجيعَ النفوذِ السريانيّ في أرمينيةَ، وذلك لموازنةِ الاستقلالِ الروحيِّ الذي تمسكَ به الأرمنُ. والمعروفُ أن معظمَ المسيحيينَ في إيرانَ كانوا من السريانِ، ولذلك بدا الوضعُ مناسباً لتقويةِ الروابطِ بين أرمينيةَ وإيرانَ وإضعافِ العلاقاتِ البيزنطيةِ الأرمينيةِ[2].

كان من مصلحة الدولة الفارسية إضعافُ علاقةِ الأرمنِ مع بيزنطة، وذلك لأهمية أرمينية الاقتصادية بالنسبة لها، إذ كانت محطةً لتسويق الحرير، بالإضافة لذلك فإن التقاربَ الأرمينيَّ البيزنطيَّ يشكل خطراً عليها من الناحية الاقتصادية والسياسية. فالدولةُ الفارسية بغنىً عن عدوٍّ جديدٍ شديدِ المراسِ، يقبعُ على حدودها، أما إذا حسَّنتْ علاقتَها معهم فالنتائجُ ستكون عكسيةً، بمعنى أنَّ

١- جيبون (إدوارد): اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها، ترجمة لويس اسكندر مراجعة أحمد نجيب هاشم، دار الكتاب العربي،١٩٦٥م، ج٢، ص٤٢٧- ص ٤٢٨.

Pasdermadjian (H) – Histoire De L Arménie – Deuxième Edition Revue Librairie0 Oriental- Paris- 1964 , p.139.

-٢ Toumanoff (C) – Armenia And Georgia –Cambridge Medieval History 1966.- Vole IV, P.599.

بيزنطة هي التي ستعاني من خطرهم، وستتكبد الخسائر الاقتصادية الناتجة عن حرمانها من الاستفادة من نشاط منطقتهم الاقتصادي، إضافةً لذلك فإنهم سيشكلون عائقاً أمامها في حال فكرت بالتوسع على حساب الدولة الفارسية .

يبدو أنَّ هناك عاملاً ساعد على التقارب بين الفرس والأرمن في هذه الحقبة. ذلك أنَّ بيزنطة حرصت على إقامة حكم مباشر لها في أرمينية الخاضعة لنفوذها ، كما حرصت على تجريدها من قوميتها ، بإرغام سكانها على ترك المذهب اليعقوبي والأخذ بقرارات مجمع خلقدونية لعام ٤٥١م[1].

لم تجرِ الأمورُ على المنوال نفسِه إذ سرعان ما ثار الأرمن على الفرس بقيادة فردان ماميكونيان **Vardan Mamikonian**، بسبب رغبة الفرس في إرغام الأرمن على اعتناق المجوسية (الزرادشتية)، ونبذ عقيدتهم المسيحية[2]. ولم تهدأ الأحوال حتى سمح لهم الفرس بممارسة عقيدتهم الدينية دون تدخل من جانبهم[3].

---

١ -Crousset , op. cit. P. 234.

٢- - مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٠ –ص.١٧١

٣ -op. cit. P. 201. Crousset

٤-Toumanoff, op. cit. – Vole IV – P.604

رفض الأرمنُ قراراتِ مجمعِ خلقدونية خشيةَ ضياعِ شخصيتهم الدينية والسياسية في ظل الحكم البيزنطي. وبذلك وقعتِ المنطقةُ تحتَ وطأةِ التصدع الديني، مما دفع بالأساقفة لعقد مجمع ديني أعلنوا فيه اعتناقهم رسمياً لمذهب الطبيعة الواحدة اليعقوبي.

ساهمت كُلُّ تلك الأمورِ في تدهور العلاقات مع بيزنطة، وأدت بصورة غير مباشرة لتحسين العلاقات مع الفارسيين، لهذا كله أظهر الملك الفارسي (قباذ الأول) تسامحاً دينياً مع الأرمن، تجلت أبهى مظاهره في تعيين أحد النبلاء الأرمن حاكماً على أرمينية الإيرانية يدعى ميجيج **Mejeje** بين عامي ٥١٨- ٥٤٨م[1].

كان على الملك الفارسي أن يدرك أهميةَ وحساسيةَ العاملِ الدينيّ، كما كان عليه أن يعي تماماً ما هو سببُ تَقَرُّبِ الأرمن منه، ويعمل على تعزيز الدافع لا على إجهاضه، وذلك لتعزيز النتائج. ولكن يبدو أنه كان ملتزماً دينياً شيئاً ما حتى أنه فكر في فرض المجوسية عليهم. كان عليه أن يعلم أنَّ تصرفاً كهذا سيدفع بهم إلى أحضان بيزنطة، التي على الأقل تدينُ الديانةَ نفسَها التي لا تختلف عن ديانتهم نهائياً في الجذور، في حين تختلف كلياً عن المجوسية.

قد لا نكون متحاملينَ على ملكِ الفرس إذا اتهمناه بالتعصُّبِ إلى المجوسيةِ، ويكفي دليلاً على هذا القول قيامُ الحربِ بين إيرانَ وبيزنطة بسبب ما يتعرض له المسيحيون المقيمون في إيرانَ من اضطهادٍ، وفرارهم إلى بيزنطة. وكذلك شروط معاهدة ٤٢٢م المعروفة بمعاهدة المئة عام، التي نصت إحدى موادِّها على الحريةِ الدينيةِ للمسيحيينَ والزرادشتيينَ في كلا البلدين[2].

تجددَّتَ ثورةُ الأرمنِ في عام ٤٨١م، في عهدِ الملكِ الفارسي فيروزَ (٤٥٩ – ٤٨٤م). لكنَّ مقتلَهُ جاء في صالحهم. إذ وجد خليفتُهُ بلاش (٤٨٤ – ٤٨٨م) أنَّ من

1-Crousset , op. cit. P. 237

حافظ(فؤاد): تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٧٤.

٢- بيرنيا، المرجع السابق. ص٢٤٦.

Brosset (M) – Notice Sur L Historian Armenian – Mélanges – 1862 – PP. 3 – 4.

صالح دولته إعادةَ السلامِ في أرمينيةَ، فاتفق الطرفان على استبدال المرزبان (الحاكم) الفارسي بأمير أرميني كحاكم مع منحه لقب مرزبان. وقع الاختيار على فاهان ماميكونيان **vahan Mamikonian** ليكون مرزباناً حيث استمر حتى عام ٥٠٥م.

كان بإمكان فاهان ماميكونيان **vahan Mamikonian** الاستفادةُ من الظروفِ المحيطةِ بهِ كي يُقيمَ مملكةً أرمينيةً، لكنَّ خوفَهُ من الفارسيين، ومعارضةَ العائلاتِ الإقطاعيةَ في أرمينيةَ حال دون ذلك.

يُعْتَقَدُ أنَّ هناك أكثر من سبب للسياسة السلمية التي اتبعها فاهان ماميكونيان **vahan Mamikonian**، يأتي على رأسها أنَّهُ عُيّنَ بواسطةِ الفارسيين، فكيف ينقضُّ عليهم ويستقلُ؟!!. والسبب الثاني هو نتيجةٌ للأول، فإذا استقلَّ في أرمينية مَنِ الذي يحميه من تفكير بيزنطةَ ومحاولاتِها السيطرة على بلادِهِ؟. ثم هل يضمن عدم قيام الفرس بالردِّ عليه وإعادةِ بلادِهِ للحظيرةِ الفارسية ؟. وبالإضافة لذلك كله العائلات الإقطاعية التي ستستغل الظروف، وقد تستعين بالفرس وبالبيزنطيين على حدٍ سواء للقضاء عليه، لأن مجرد التفكير في إقامة دولة يعني الحد من السلطات والقدرات التي تتمتع بها هذه الأسر.

على أية حال أدَّتْ سياسةُ ملكِ إيرانَ الجديدِ قباذ الأول (٤٨٨ – ٥٣١م)، إلى توتر العلاقات مع بيزنطة. وسرعان ما نقض قباذ الأول معاهدة السلام مع بيزنطة. وبدأت الحربُ بينهما منذ عام ٥٠٢ – ٥٠٦م بسبب رفض الإمبراطورية البيزنطية دفع المستحقات المالية المترتبة عليها في المعاهدة الأخيرة عام ٤٤٢م[١]. وقد انتهت الحرب بهدنة لمدة سبع سنواتٍ[٢]. ويُلاحظ أنَّ الأرمنَ سرعان ما فقدوا حكمهم الذاتي بسبب قيامهم بالثورة ضد الفرس عام ٥١٣ و٥١٤م. حيث كان سببُ ثورتِهم

١- رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٤٩٧. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٠٦. كريستنسن، المرجع السابق، ص٢٦٩.

Procopius , History Of The Wars. Vole 1 – P.67-77.

٢- Joshua the Stylite, the Chronicle, Translation in to English by Wright L L D, Cambridge at the University Press, 1988, pp.65-69

عدمَ وفاءِ إيرانَ بضمانها حرية العقيدة لهم. وبذلك انتهى الحكم الذاتي الفعلي الذي تمتعوا به تحت سيادة آل ماميكونيان[1].

أخفقت إيران في فرض ديانتها على المنطقة. وإذا تساءلنا ما هو موقف إمبراطور بيزنطة إزاء ذلك؟!!. فإن بيزنطة لم تقف مكتوفةَ الأيدي إزاء الأحداث التي تقع على حدودها الشرقية، فعندما ارتدت لازيكا **Lazica** إلى المسيحية، سارعت بيزنطة لمساعدتها بإرسال جيوش الإمبراطورية لها[2].مما ساعد على إشعال نار الحرب الفارسية البيزنطية في أواخر عهد جوستين الأول(٥١٨ -٥٢٧م)، وهي الحرب التي أكملها جوستنيان(٥٢٧ – ٥٦٥م)[3] فيما بعد. واستمرت الحرب حتى عقد الصلح عام ٥٣٢م[4].

حرص جوستنيان على تحقيق هذا السلم لكي يؤمن الجهة الشرقية، ويركز جهوده وموارد دولته لتحقيق حلمه بتوحيد الإمبراطورية البيزنطية، وإعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية القديمة. وقد قسَّمّتْ هذه المعاهدةُ أرمينيةّ إلى إيرانيةٍ وبيزنطيةٍ. ويبدو أن النتائج لم تكن في صالح الإمبراطورية البيزنطية التي وقعت المعاهدة لتتفرغ لمشاريعها في الغرب[5].

لجأ جوستنيان لإدخال تحسيناتٍ وإصلاحاتٍ عميقةٍ على القسمِ المخصصِ لإمبراطوريته منها. فنظَّم أقاليمَها على شكلِ مناطقَ إداريةٍ وعسكريةٍ، وألغى

١- حافظ، المرجع السابق، ص٧٣. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٠٦.

Toumanoff – op. cit. – Vole IV – P.601.

٢ -Toumanoff – Ibid – Vole IV – P.601

Procopius – History Of The Wars.– Vole 1 – P.103-145..

٣- كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٤٢. -Procopius,History Of The Wars.Vole1,P.103 140.

٤-Procopius – History Of The Wars. – Vole 1 – P.145

- حافظ، المرجع السابق، ص٧٣. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٠٦.

٥ -Crousset , op. cit. P. 239

Procopius – History Of The Wars. – Vole 1 – P.207..

القوانينَ المحليةَ من أجل القضاءِ على الاستقلال الاقتصادي للأسر الإقطاعية، كما نقل عدداً من السكان الأرمن إلى أقاليم مختلفة من آسية الصغرى كتراقيا(ثريس)[1]. وكل ذلك لفرض الصبغة البيزنطية على قسم أرمينية التابع لها[2].

وبالإضافة إلى كل تلك التعديلات، أزاح جوستنيانُ الأسرَ الإقطاعيةَ الوراثيةَ عن حكمِ الولاياتِ، ووضع حكاماً بيزنطيين مكانهم[3]. ساهم ذلك مع السلوكِ المتعجرفِ للموظفين البيزنطيين في إشعال ثورة الأرمن ضدَّ بيزنطةَ عام ٥٣٩م. واتسع نطاقها حتى شمل منطقةَ لازيكا **Lazica** كلها، ولجأ الثوار إلى ملكِ إيرانَ كسرى أنوشروان[4].

إن السياسة التي انتهجها الأرمنُ للحفاظ على شخصيتهم، لم تكن جديدةً فمعروفٌ وعلى مدى الحقب المختلفة للتاريخ استغلالُ الثوارِ والمتمردِين للعلاقاتِ العدائيةِ بين دولتهم وجيرانها، إذ كانوا يَلْجَؤُوْنَ للأعداء لدعمهم ضد دولتهم، وغالباً ما استجاب الأعداءُ لمثلِ تلك النداءاتِ أمام رغبتهم الجامحة في السيطرةِ على المنطقةِ، وليس إنقاذها. وإذا كان هذا مثالاً على استنجاد الأرمن بالفارسيين، فقد سبق للبيزنطيين أن وقفوا إلى جانب ثوار لازيكا، ومدُّوْهُم بالعَوْنِ عندما ثاروا ضدَّ اضطهادِ الفارسيين.

لبَّى الملكُ الفارسي نداءَ الأرمنِ، ودخلَ جيشُهُ لازيكا عام ٥٤١م، فاندلعت الحرب بين الدولتين الكبيرتين إيران وبيزنطة عام ٥٤٣م[5]. لكنَّ حذقَ جوستنيان السياسي مكنَّه من التوصل لعقدِ هدنةٍ مع إيرانَ عام ٥٤٥م للسلام، مقابلَ دفعِ

١- تراقيا، اسمها القديم ثريس وهي منطقة واسعة في شبه جزيرة البلقان، وتمتد من مقدونيا حتى نهر الدانوب وتصل شرقاً إلى البحر الأسود. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٨، مادة ثريس، ص٣٠.

٢ **-Procopius – History Of The Wars – Vole 1 – P.221.**

سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦١٠- ص٦١٢.

٣ **-Crousset – op. cit.– P. 240.**

٤**-Procopius – History Of The Wars – Vole 1 – PP. 159 – 161 – 163.**

Crousset – op. cit. – P. 240.

١ **-Toumanoff – op. cit. – Vole IV – P.602.**

إتاوةٍ كبيرةٍ للساسانيين[1] ، ولكنَّ الملفتَ للنظرِ فيها أنها لم تتضمن أيةَ إشارةٍ إلى لازيكا.

تشير هذه المعاهدة إلى أهمية منطقة لازيكا بالنسبة للبيزنطيين، وإلا لماذا يسعى جوستنيان لإبعادها عن بنود الصلح ويتركها كما كانت عليه من قبل؟!!. إن أهميتَها بالنسبة للدولة الفارسية واضحةٌ للعيان، ومن هنا جاء دعم الفرس للثورة فيها. ولذلك فضل جوستنيان دفع المال على أن لا تكون لازيكا للساسانيين، وعلى أن تحارب جنود الفرس الترك في القفقاس حيث رضيت إيران بذلك.

لم يهدأ الوضع في المنطقة بل عادت الحرب بدءاً من عام ٥٤٩م، واستمرت حتى عقد السلام الدائم عام ٥٦٢م، وهو المعروف بسلام الخمسين عاماً. وفيه دفعت بيزنطة الكثير من المال بلغ حوالي ثلاثين ألف قطعة ذهبية[2] ليتخلى الفرس عن لازيكا. كما حصل جوستنيانُ على تسامحٍ دينيٍ كاملٍ لرعاياهُ في الجزء الفارسي من أرمينيةَ[3].

مع وصول جوستين الثاني للحكم في بيزنطة (٥٦٥ -٥٧٨م)، تجددت الحرب واستمرت حتى عهدِ موريسَ، حيثُ تمَّ التوصلُ إلى اتفاقٍ عام ٥٩١م. ومن الأحداث المهمة التي حدثت خلال هذه المدة محاولة كسرى أنوشروان الاستيلاء على أرمينية.

١-**Procopius – History Of The Wars .– Vole 1 – P.517.**

٢- بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٦٢.

Ostrogorsky (G)- History of The Byzantine State, English Translated By J M Hussey – Oxford – 1968 ., P.66. .

٣- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٢٣- ص٦٢٤.

. محاولة كرى أنوشروان الاستيلاء على أرمينية.

بعد استيلاءِ الفرس على حصن دارا، أُصِيْبَ جوستينُ الثاني بلوثةٍ عقليةٍ، فوصل تيباريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢م)، للعرش في بيزنطةَ وعقد هذا الأخير هدنةً لمدَّةِ عامٍ كاملٍ مع الفارسيين، وبعد ذلك تم تجديدُها لثلاثةِ أعوامٍ، وقبل أن تدفعَ بيزنطةُ إتاوة ثلاثِ سنينَ، وتُقَدَّرُ بثلاثينَ ألف قطعةٍ ذهبيةٍ[1]، اتجه كسرى أنوشروان وجيوشُهُ للاستيلاءِ على أرمينية[2].

أما تفاصيلُ الحملةِ فقد أُصِيْبَ كسرى أنوشروان بغرورٍ كبيرٍ عندما سقطت دارا بيد الفارسيين، وعندما تجوَّلَ في سوريةَ دون أن يجد مَنْ يردعه. لذلك اعتقد أنه لن يدخل في مواجهةٍ عسكريةٍ في أرمينية، فجمع جيوشه ليستولي على مدينة ثيودوسيوبوليس[3] المتاخمة لأرمينية الإيرانية، ومدينة قيسارية[4] بقبدوقية وغيرها، فعلمتِ الجيوشُ البيزنطيةُ ما اعتزمه وخافوا منه ولكن استعدوا لمواجهته، فجمعوا جيوشهم وبلغت حوالي ١٢٠٠٠٠ مئةٍ وعشرينَ ألفاً وحاصروه واستعدوا لقتاله، عندما وجد ملك إيران هذه الحملة، اضطرب وعرّج بعيداً عن أرمينية قاصداً مدينة أخرى فتوجه البيزنطيون إليه وصدوه عنها. ولما فشل كسرى أنوشروان في ذلك توجه إلى الجبال على الحدود الشمالية التي تواجه قبدوقية ليستولي على قيسارية، فتأهبت الجيوش البيزنطية ووصلت هناك قبله. فوجد كسرى أنوشروان الحال على ما هي عليه فتملكه الذعر وأدرك أنَّه لن يتمكن من دخولِ قيساريةَ، وليتخلص من مأزقه عرّج على سبسطيةَ وأحرقها[5]، ثم اتجه شرقاً عائداً لبلادِهِ.

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٦٦.

٢- رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٩٥. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٨٢.

٣- -ثيودوسيوبوليس، من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين. الحموي، المصدر السابق، ج٣،ص١٣ص١٥.

٤- قيسارية، مدينة بوسط تركيا ومن أهم المدن التاريخية، فيها قلعة تعود لعهد جوستنيان. غربال، المرجع السابق، مادة قيسارية، ج٢، ص١٤١١.

٥- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٦.

ولكـنَّ الجيـوشَ البيزنطيـةَ سـارعتْ خلفَـهُ فاخترقـت جيشَـهُ واضـطرته لأن يهـربَ للجبال تاركاً معسكَرَهُ عُرضةً لنهبِ الجند البيزنطيينَ.

قـرَّرَ الفـرس بعد أن صعدوا الجبالَ الانسحابَ للجانـبِ الآخـرِ، وخرجـوا أمـام ملطيـةَ وهنـا سـاعدتهم الظـروفُ إذ اختلـفَ القـادةُ البيزنطيـونَ فيمـا بينـهم، وفاجـأ الفـرس أحـدَهُمْ فخـافَ وهَـرَبَ ولم يدركْـهُ رفاقُـهُ لمسـاعدته، ولمـا وجـد كسـرى أنوشروان ذلك تشجَّعَ ودخلَ ملطيةَ وأحرقها[1].

لم يُحدَّدْ تاريخُ استيلاءِ الفرس على أرمينية، لكـنَّ مناقشـةً منطقيـةً للأحـداثِ تدلُّ بوضوحٍ على العام الذي شـهد ذلـك، فقـد وصـل تيبـاريوس للحكـم عـام ٥٧٨م، وعقد هدنةً لمدَّةِ عامٍ كاملٍ فأصبحنا في عـام ٥٧٩م، وفي هـذا العـام جُدِّدَتِ الهدنـةُ التي نصَّتْ على دفعِ المالِ، ولكنْ قبل دفع المال توجه كسـرى أنوشـروان للاسـتيلاء على أرمينيـة، هـذا يوضـح لنـا أنَّ العـامَ الـذي وقعت فيـه محاولـة كسـرى أنوشـروان الاستيلاء على أرمينية، هو عام ٥٧٩م أي العامُ نفسُهُ الذي تُوفي فيه.

من المعلـوم أنَّ عهدَ جوستينَ الثـاني ومَنْ جـاءَ بعدَهُ مِنْ أبـاطرةِ بيزنطـةَ يُعَدُّ مـن أسـوأ مراحـل الحكـمِ في تـاريخِ الإمبراطوريـةِ، كمـا أصـبح معلومـاً لـدينا أنَّ جوسـتيانَ حقَّقَ وحـدةَ الإمبراطوريـةِ الرومانيـةَ القديمـةَ، ولكنـه تـرك إمبراطوريـةً منهكـةَ القُـوى، خـائرةَ الاقتصـادِ، وفارغـةَ الخزينـةِ، يتربصُ بهـا الأعـداءُ من كُـلِّ حدبٍ وصوبٍ، وإذا عدنا إلى حملات الفرس على سـورية، وموقـف البيـزنطيين منهـا يمكـن أن نطـرح السـؤالَ التـاليَ. مـن أيـن جـاءتِ الجيـوشُ البيزنطيـةُ الـتي صـدت كسرى أنوشـروان عـن أرمينيـة ومـا يجاورهـا؟!!. ألم تعقـد بيزنطـةُ صـلحاً مـع إيـرانَ ودفعت لها المالَ لتأمنَ الحدودُ الشرقيةُ وتدفعَ عنها خطرَ التركِ في القفقاس؟!!. هـذا يعني أن الجيشَ البيزنطيَّ الموجودَ على الحدودِ الشرقيةِ قليلٌ وغيرُ قـادرٍ علـى إلحـاقِ الهزيمـةِ بجـيشٍ جـرَّارٍ كجـيش كسـرى أنوشـروان، فمـا هـو الجـيشُ الـذي ألحـق

١- الآسيوي، المصدر السابق الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٨- ص٩٩. حافظ، المرجع السابق، ص٧٦. مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٦.

الهزائمَ بجيشِ كسرى أنوشروان؟!!.

يُعْتَقَدُ أنَّ الجيوشَ التي دافعت عن المنطقة ليست جيوشَ الإمبراطوريةِ البيزنطية فقط، إنما جيوش الولايات الأرمينية أيضاً. إذ كان الأرمنُ معروفين بقدرتهم وكفاءتهم القتاليةِ. إنَّهُ لَمِنَ الحقيقةِ بمكانٍ أنهم كانوا يفضلون الموافقَ لهم في العقيدةِ على المخالفِ، كما يعتقد أنهم كانوا مدركين لأوضاعِ الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ غير القادرة على مهاجمتهم من جهةٍ، وغيرِ قادرةٍ على الدفاع عنهم من جهة ثانية. لذلك قرروا الدفاعَ ضدَّ الفرس ومنعَهُم من الاستيلاءِ على بلادهم، مقابلَ تمتعهم بحريةٍ شبه كاملةٍ ساعدتْ عليها الظروفُ المحيطةُ بالإمبراطوريةِ البيزنطيةِ.

. أوضاعُ الأرمنِ في الجزء الفارسي.

استمر التنافسُ على أرمينيةَ بين بيزنطةَ وإيرانَ مدةً طويلةً، وتباينت الروايات عن المعارك بين نصر لهذا الطرف وهزيمة للآخر. فقد حقق الجيش البيزنطي انتصاراتٍ كثيرةً على الفارسيين، واحتلوا أراضيهم، وتوغلوا في الداخل حتى بلغوا مسافة قريبة من المدائن[1]، واستولوا منها على فيلة الفارسيين[2]. وبعد أن عاد ملك إيران لبلاده عام ٥٧٦م. استرخى البيزنطيون وعادوا لبلادهم فأراحوا الجنود ووضعوا السلاح. لكن فجأة جاءت عيونهم لتخبرهم أن جنود الفرس قادمون إليهم. في الواقع لم يرغب الفرس في مهاجمتهم إنما كانت مجرد حملةٍ لاستطلاع أحوال البيزنطيينَ. فلما رآهم البيزنطيون صفوفاً متراصةً فروا من الخوف دون أن يطاردهم أحدٌ، وكانوا حوالي ١٢٠,٠٠٠ مئة وعشرين ألفاً أما الفرس فكانوا حوالي ٣٠,٠٠٠ ثلاثينَ ألفاً، وبذلك جلب البيزنطيون العار لأنفسهم واستولى الجنود الفرس على كل معداتهم وسلاحهم.

علَّلَ البيزنطيون هذه الحادثة بقولهم:((انهزم الرومان لأنهم أغضبوا اللّه، إذ دخلوا الأراضي الشمالية وكان أهلها من المسيحيين، فسَبوا كهنة الإنجيل وأخذوا

١- كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥٩.

٢ -Crousset – op. cit. – P. 24.

الأطفال في سن العام والعامين وأمسكوا بهم من أرجلهم ورفعوهم عالياً في الهواء قدر استطاعتهم وألقوا البعض وكانت السيوف والحراب تعانقهم طعناً ثم ألقوهم للكلاب، وأهانوا بعض الرهبان ونهبوا وقتلوا آخرين، كما عذبوا إحدى الراهبات حتى ماتت من العذاب[1])). تلك هي السيئات التي قيل إن البيزنطيين ارتكبوها واغضبوا الله فأذلهم وأضعفهم أمام أعدائهم[2].

حدثت هذه الأحداث في مرحلة حرجة من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية التي يتربع على عرشها جوستين الثاني، الذي أثبت قصر نظره السياسي في التحالف الذي عقده مع الأتراكِ أعداءِ الفرس وأعدائِهِ، وذلك ليبعد الفرس عن تجارة الحرير، في وقت رحلت فيه الشعوب الجرمانية عن حدود دولته، وبالتالي نضب مصدر الجند الذين يبيعون خدماتهم لبيزنطة، وهنا توجب عليها أن تعتمد على شعبها[3]، هذا من جهة ومن جهة ثانية كيف تمت انتصارات البيزنطيين ووصولهم لقرب المدائن؟!!. فالمعروف أن جوستين الثاني نقض الصلح واستعرت نار الحرب بين الدولتين على أرمينية وسورية. وما دام البيزنطيون قد حققوا هذه الانتصارات، لماذا لم يتمكنوا من الحفاظ على دارا التي سقطت بيد الفرس بعد عام واحد من الأحداث؟!!. ثم ألم ينشغل البيزنطيون كالفرس بصد هجمات الشعوب التي بدأت تغزو المنطقة؟!!.

من الممكن أنَّ العاملَ الأساسيَّ الذي دفع البيزنطيين لمثل تلك الأعمال، هو اعتناق أرمينية مذهباً دينياً مخالفاً للمذهبِ الدينيِّ السائد في الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ، وقد يكون هذا المذهب موافقاً للمذهب السائد في الدولة الفارسية ، ومن هنا انتقل العداء والحرب من بين البيزنطيين والفرس إلى البيزنطيين أنفسهم. وإذا كان من غير المستطاع تسمية سكان أرمينية بيزنطيين، فإنه يمكن القول إن

١- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٠٠ — ص١٠١.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٠١.

٣- العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٣ — ص١٠٤.

العداء انتقل للمسيحيين أنفسهم وهذه الأعمال خير مثال على ذلك.

يمكن أن نجيب على التساؤل الأخير حول الرهبان أنه ربما كان للرهبان دور أساسي أو تأثير روحي على المجتمع، ولم يخضع هؤلاء لرغبة بيزنطة سواء في إخضاع السكان، أمْ تلبية المتطلبات الدينية التي طلبتها منهم. ولا يخفى على أحد الدور الريادي الذي لعبه الكهنة المسيحيون هناك.

والسؤال الذي لا يستطاع الإجابة عليه هو إذا كان البيزنطيون قد فعلوا ذلك بأبناء ملتهم، فما الذي سيفعلونه لو أنهم أوقعوا بالفارسيين؟!!. ومع كل هذا وذاك يجب ألا نعلل هزيمة البيزنطيين بغضب الله أو بأخطائهم التي جازاهم الله عليها. إن هناك أسباباً أدت لمثل تلك الهزيمة وهي الخلافاتُ بين القادةِ، والقعودُ عن حمل السلاح.

. حملةُ بهرام جوبين ضدَّ التركِ واكتساحُ أرمينيةَ.

استغل خاقان الترك انشغال الجيش الفارسي في الحرب مع البيزنطيين عام ٥٨٨م، وهاجم الحدود الشمالية للدولة الفارسية ، يشجعه على ذلك كره الشعب لهرمزد الرابع. فأقبل عليه في ٣٠٠،٠٠٠ثلاثمئة ألف مقاتل، واجتاح بلاده حتى وصل إلى باذغيس[1] وهراة[2]، ووصل إلى باب الأبواب فعاث وخرَّبَ. كما سار ملك البيزنطيين في٨٠،٠٠٠ ثمانين ألف مقاتل قاصداً له. وضغط العرب على منطقة السواد. وهكذا اكتنفت إيران الأعداء من كل جانب[3].

١- باذغيس، ناحية من أعمال هراة في خراسان. الإصطخري، المصدر السابق، ص١٥٢. الحموي، المصدر السابق، ج١، مادة باذغيس، ص٣٧٨.

٢- هراة، بلد في خراسان قرب بوسنج. الإصطخري، المصدر السابق، ص١٤٩ — ص١٥٠. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ١١٦. المقدسي(محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص٢٤٢. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مادة هراة، ص٥٩٤.

١- الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤. اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٩ — ص٢١٠. بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٦٩.

قرر هرمزد الرابع أن يواجه ملك الترك، فأرسل له أحد قادته وهو بهرام بن جشنش ويعرف بجوبين في ١٢،٠٠٠اثني عشر ألف جندي اختارهم جوبين نفسه من الفرسان[١]. ومضى بهرام إلى الترك الذين لم يشعروا به إلا وهو قرب معسكرهم[٢]، حيث دخل معهم في معركة طاحنة، فقتل الخان الكبير، ثم دخل معركة أخرى مع الترك أسر فيها ابن الخان الكبير، واستولى على غنائم كثيرة، وتابع فلول الترك حيث دخل أرمينية مظفراً[٣]. هذا وقد استخدم خان الترك في الحرب الفيلة الحربية، لكنها ارتدت نتيجة سهام الرماة الفارسيين، وعادت إلى مواقع جيش الترك، وقد استفاد القائد الفارسي من الاضطراب والفوضى اللذين حدثا في جيش الخصم، فأنزل الهزيمة بهم[٤] واستولى على ممتلكاتهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المكاسب كانت سبباً لثورة بهرام جوبين فيما بعد.

. أرمينيةُ في عهدِ موريسَ.

شهدت السنوات السابقة لحكم موريس حرباً ضروساً في المنطقةِ، إذ توسع البيزنطيون على حسابِ الفارسيين، وحققوا العديد من الانتصارات على الملك الفارسي هرمزد الرابع، الذي زاد في تحرج موقفه اندلاع الثورة ضده بقيادة بهرام

١- ربما كان ذلك عملاً بقول كسرى أنوشروان: ((إن كثير الحطب يكفيه قليل النار))، وقد قال كسرى أنوشروان هذا القول عندما استغرب سيف بن ذي يزن من عدد الجند الذين زوده بهم لطرد الأحباش من اليمن.

الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. ص٤٦. دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٥٠ — ص٣٥٢.

٢- ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص ١١٦.

٣- الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤ — ص١٧٥. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٩٥ — ص٥٩٨. ص٦١١- ص ٦١٥. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٦٠ — ص٦٦٣. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٦ — ص٣٦٨.

٤- بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٦٩.

جوبين الذي اغتصب الحكم، وكانت هذه الأوضاعُ فرصةً لا تعوض لبيزنطة فتوغلت جيوشُها في أرمينية الإيرانية.

لكن تطور الأحداث في إيران جاء في غير مصلحة البيزنطيين، إذ التجأ الملك الشرعي كسرى أبرويز إلى الإمبراطور موريس ليساعده على استعادة عرشه، وبذلك وجدت بيزنطة فرصة أكثر للتوسع على حساب الفارسيين، فكان ثمن المساعدة تنازل الفرس عن بعض أراضيهم، ليكون خط الحدود بين الطرفين يبدأ من بحيرة فان – سيفان – دوين – تفليس – نصيبين. وبهذا الثمن استعاد كسرى أبرويز عرشه، بعد أن تمكنت القوات البيزنطية من هزيمة بهرام جوبين. وقد رسمت الحدود السابقة في معاهدة ٥٩١م[1].

- معاهدة ٥٩١م.

أُبرمت هذه المعاهدة في عام ٥٩١م استجابة من كسرى أبرويز ملك إيران لرغبة موريس إمبراطور بيزنطة، الذي ساعده على التخلص من بهرام جوبين وقد نصت على:

أ- تنازل إيران عن أرمينية الإيرانية.

ب- تنازل إيران عن إقليم الجزيرة بما فيه مدينة دارا.

ج- التخلي عن شرط الإتاوة التي تدفعها بيزنطة لإيران[2].

تشير بنود هذه المعاهدة إلى الثمن الغالي الذي تكبدته إيران جرّاء ما قام به بهرام جوبين وثورته. كما تدل على تسرع كسرى أبرويز في الموافقة على شروط موريس الذي عرف كيف يستفيد من الوضع، وتمكن من التخلص من كل ما يزعج بيزنطة في الشرق دفعة واحدة، والأهم من هذا وذاك فقد ساد الهدوء على الجبهة الشرقية، وبالتالي تمكن موريس من حل مشكلاته الأخرى داخلياً

١- المقدسي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٩. Crousset – op. cit. – P. 252.

٢-Ostrogorsky– op. cit.- PP. 79 – 80.

العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٥.

وخارجياً.

. أرمينيةُ بعد معاهدة ٥٩١م.

مثلت المعاهدة ثأراً بيزنطياً طال انتظاره، لكن هذا الثأر لم يكن في صالح الأرمن، لأنه توجب عليهم أن يتحملوا نظام الحكم البيزنطي المركزي. فقد اتبع موريس سياسة سلفه جوستنيان في نقل بعض منهم إلى آسية الصغرى والبلقان، كما جَنَّدَ أعداداً منهم للحرب ضد الفارسيين. وهكذا بدت تبعية الأرمن لإيران أهون عليهم من تبعيتهم لبيزنطة، فقد كانوا يعيشون حياة أفضل في ظل الحكم الفارسي، فقد كان للسادة الإقطاعيين من الأرمن مكانة تضارع مكانة السادة الإقطاعيين من الفارسيين.

أضف إلى ذلك رحب الأرمن بالسياسة الفارسية بعد تخلي الفرس عن اضطهادهم. في حين كانت بيزنطة تسعى لاحتواء كل العناصر البشرية التي تخضع لها داخل الكيان الإمبراطوري. كذلك بدا الأرمنُ عناصرَ مُفضَّلةً لديها لأنهم جنودٌ من الطراز الأول، إلى جانب كل ذلك فقد حرصت على فرض المذهب الخلقدوني على رعاياها، ولما رفض الأرمن ذلك بدأت باضطهادهم مما دفعهم للتمرد أكثر من مرة[1].

وفي عام ٦٠٢م قام فوكاس بانقلاب ضد موريس وعزله، فاتخذ كسرى أبرويز ذلك ذريعة للتدخل في شؤون البيزنطيين بحجة الانتقام لصديقه موريس. وبذلك انتهى عهد السلام الذي بدأ عام ٥٩١م. وعانت أرمينية من جديد ويلات الحرب ودماره[2].

والآن وبعد الاطلاع على أوضاع أرمينية في القرن السادس. لابد من إلقاءِ نظرةٍ سريعةٍ على الجيش. فما هي حالته وأين دوره في هذه الأحداث؟!!.

١-**Toumanoff – op. cit. – Vole IV – P.604.**

٢- العريني، الدولة البيزنطية، ص١١٣

Pasdermadjian – op. cit.- P.134

تألفت الجيوشُ الأرمينيةُ من عدة أقسام: أولها الجيش الإقطاعي الذي يعد سند الجيش الأرميني والجزء الرئيسي منه، وهو جاهز للتدخل في أية لحظة، وبالإضافة للجيش الإقطاعي فقد ألَّفَ كُلُّ إقطاعيٍّ جيشاً صغيراً خاصاً به، تألَّفَ من الأُمراءِ أو الرجالِ الأحرارِ الذين أقطعهم الإقطاعيُّ قطعةَ أرضٍ مقابلَ خدماتِهم.

يجتمعُ هؤلاءِ في الأحوالِ العاديةِ أو أثناءِ الحربِ حولَ رايةِ الإقطاعيِّ، وبالرغم من أن هؤلاء كانوا جميعاً فرساناً، لكنهم في حالات الضرورة يقاتلون مشاةً وخاصةً في الجبال العالية، أو خلف الحصون[1]. وقد بلغ عدد الجيش الأرميني الإقطاعي حوالي ١٥,٠٠٠ألف مقاتل.

أما القسم الثالث من الجيش الأرميني، فهو جيش الفلاحين الذي يستخدم في حالات الضرورة كالحروب الدفاعية ضد المحتلين، أو في حالات العصيانات المسلحة. وقد وصل عدد هذا الجيش إلى حوالي ٣٥,٠٠٠ خمسةٍ وثلاثينَ ألف مقاتل وبذلك يكون الجيش الأرميني قد بلغ ٥٠,٠٠٠ألف مقاتل. وبهذا الجيش واجهت أرمينيةُ الفارسيينَ والبيزنطيينَ وفيما بعد العرب[2].

وكان الإقطاعيون يتمتعون بمزايا وخصائص في المجتمع الأرميني، فلهم وحدهم حق الملكية الوراثية للأراضي. كما كانتِ الطبقةُ النبيلةُ متميزةً بمزاياها الحربية وبتدريبها المستمر على استخدام الأسلحة، فالنبلاءُ ورجالُهم لا يعرفون إلا الحربَ. وكانوا يستخدمون أسلحتهم بمهارةٍ فائقةٍ راجلينَ أو فرساناً، ومعروفٌ عن الأرمن قوةُ أجسادِهم وبأسُهم.

هذا تصور كامل عن أوضاع أرمينية، فبفضل قوتها الاقتصادية كانت محطَّ أطماعِ الدولِ القويةِ، ولكنْ كان بإمكانها أن تعتمد على قوتها العسكرية، فيمكنها أن تحارب وتدافع عن نفسها. وهنا يسأل السؤالُ التالي.

ما هي العوامل التي أدت لضعفها، مما مكَّنَ الفارسيينَ والبيزنطيين معاً من السيطرةِ عليها واحتلالها بل وتقسيمها؟!!.

2-Pasdermadjian – op. cit.- P.135
3-Pasdermadjian – op. cit.– PP. 134 – 135

للوصول إلى جوابٍ منطقيٍّ ومقنعٍ لابد من مناقشة عوامل ضعف الأرمن، الذي انعكس على دولتهم فغدت ضعيفةً مُنهكةَ القوى.

إنَّ دولةً كأرمينية غنية بمواردها الاقتصادية، وهامَّة بموقعها التجاري، يعيشُ على أرضها رجالٌ شجعانٌ، لابد وأن تكون مرهوبةَ الجانبِ، لكنَّها عكستِ الحقائقَ، فكانت ضعيفةً فما هي عوامل ضعفها؟!!.

إن أهمَّ عاملٍ من عوامل ضعف الأرمن، هو عدمُ اتخاذ نضالهم الطابع الوطني، صحيح أن مجموع القوى تدخلُ في الحربِ في وقتٍ واحد، لكنَّها تقاتل بشكل متفرق، أي كل مقاطعة أو ولاية بعد الأخرى، وإذا كان مجموعُ جندِ المقاطعات جميعاً ٥٠،٠٠٠ خمسين ألفاً. فكم سيبلغُ جُنْدُ المقاطعةِ الواحدةِ؟!!. إنَّ مجموعَ قوى كُلِّ مقاطعةٍ لا يصل لأكثر من ٥،٠٠٠ خمسةِ آلافِ جنديٍّ، أي جزء صغير من الرقم الكلي[1].

بالفعل إن مثل هذا السبب عامل جوهري وقوي يساهم في ضعف أرمينية، ولكن لا يوجد تعليل مقنع للقيام به سوى اعتبار أن أرمينية كانت تُحْكَمُ من قِبَلِ حكام المقاطعات، وكانت هي على شكل مقاطعات أو ولايات مستقلة بعضها عن بعض، وحتى إذا كان ذلك صحيحاً، لا يمكن أن يثبت أمام سكوت المصادر والمراجع عنه. ثم إن افتراض ذاك قد يكون بعيداً شيئاً ما عن الصحة. فلو كانت أرمينيةُ مقاطعاتٍ لما حكَمَتْها الأسرُ المالكةُ، ولَوُجِدَ أكثرُ من أسرةٍ حاكمةٍ في وقتٍ واحدٍ، إن ذلك يبقى افتراضاً ولا سبيل لتعليله تعليلاً مقنعاً دون وجود مادة تاريخية. أضف لذلك، ألم يتوقع حكامُ الولايات الأخرى أنه من الضروريِّ التوحدُ للوقوفِ في وجه الطامعين؟!!.

ثاني العوامل التي ساهمت في ضعف أرمينية عدمُ وجودِ جيشٍ نظاميٍّ دائمٍ ومنظمٍ ومدربٍ، يساند الجيشَ الإقطاعيَّ، فعندما تدقُّ ساعةُ الخطرِ كان الأرمن

١- **Pasdermadjian – op. cit.- P.135.**

يجمعون الفلاحين ويضمونهم للجيش الإقطاعي للدفاع عن البلاد[1].

من الملاحظ أن جمع الفلاحين للمشاركة في القتال والحروب لم يكن مقصوراً على أرمينية وحدها، بل كان سمةً عامةً وسائدةً في الشرق الأدنى القديم منذ الأحقابِ التاريخيةِ التي سبقتِ الميلادَ، وحتى القرنِ السادسِ وما بعده، فالآشوريونَ والأخمينيونَ والرومانُ كلهم اعتمدوا هذه الطريقة، ويُعتَقدُ أنها طريقةٌ غيرُ مجديةٍ، صحيحٌ أنها تزيدُ عددَ الجيشِ ضعفين أو أكثرَ، ولكن بالوقت نفسه تُرْبِكُهُ وتُعطّلُ مسيره، وأكثر من ذلك قد تكون سبباً كبيراً لهزيمته. فالفلاح الذي يعمل في الأرض قد لا يمسك بيده قطعة سلاح لسنة أو سنتين أوأكثر، وبالتالي فإن الكثير من هؤلاء يجهلون استخدام الأسلحة هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى نجد أن إرادتهم ضعيفةٌ بعضَ الشيء، لأنَّ أوَّلَ ما يفكرون به هو الهربُ في حالة انهزام الجيش الرئيسي بدلاً من مساندته، والأمثلة على ذلك كثيرة. فهذا كسرى أنوشروان عندما ارتدَّ عن احتلال أرمينية فاجأ أحدَ القادةِ البيزنطيين قرب ملطية، ولما فزع القائد وفرسانه دب الذعر في جيشه، فتشجع كسرى أنوشروان ودخل ملطية وأضرم فيها النار[2].

أضف لذلك، أنه مجرد ما ينسحب قائد الجيش متراجعاً تدب الفوضى في صفوف المشاةِ ويغدون لقمةً سائغةً لجندِ الأعداءِ، وإذا أردنا إيجاد حَلٍّ لكلِّ ذلك نجد أنَّ هناك شرطين لابد من تحقيقهما: الأول أنه من المفروض على الدولة أن تجبر هؤلاء على التدريب على السلاح خلال مدة محدودة من السنة، لتلافي خطأ عدم قدرة الفلاح على استخدامه. فعندما يستخدم الفلاح سلاحه بشكل سليم تكون النتيجة سليمةً أيضاً، ويدخل ضمن نطاق هذا الشرط الجزء الأكثر أهمية من التدريب على استخدام السلاح، وهو توفير السلاح نفسه للفلاحين. وتحدد مدة من السنة لئلا يتعطل عمل الفلاح في الأرض على حساب تدربه على السلاح.

١- Pasdermadjian – op. cit. – P.136.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٨ — ص٩٩.

أمـا الشـرط الثـاني فهـو نظـام الطبقـات الـذي كانـت تعـاني منـه جميـع إمبراطوريات ودول الشرق الأدنى القديم، والذي ينعكس سلباً على توزيع غنائم الحرب التي تقتصر على النبلاء والإقطاعيين والفرسان، ويتجاهل هؤلاء الذين كان لهم يدٌ طولى في صنع النصر (الفلاحون). فلماذا يقاتل الفلاح؟!!. إنه يعمل في الأرض نفسها بغض النظر عن سيدها أياً كانَ. لماذا يذهب للموت؟!!. ليدافع عن النبلاء الذين يحرمون أبناءه من لقمة العيش.

إن الجهلَ السياسيَّ والظلمَ الاجتماعيَّ عاملان أساسيان في إضعاف المقاومة وبالتالي الهزيمة والخسائر.

بالانتقال للعامل الثالث من عوامل ضعف أرمينية، والذي يتمثل بانعدام وجود الجنود الاختصاصيينَ المحترفينَ للحالات الاستثنائية، ولتثبيت وتعزيز السلطة الملكية، هؤلاء الجنود يكونون في خدمة الملك ويدافعون عنه وعن سلطته كما يعززون الجيش الإقطاعي[1].

يُعْتَقَدُ أنَّ وجودَ هذه الفرقة هامٌ جداً وضروريٌّ، وقد أدركه الملوكُ والأباطرةُ منذ أقدم العصور. فهذا رعمسيس الثاني[2] يحتفظُ بفرقةٍ خاصةٍ به في معركة قادش (جيش أمون)[3]. فلينظر منذ متى كان لذلك أهميةٌ في الحربِ والقتالِ، وأنه لَمِنَ المستغربِ انعدامُ مثلِ هذه الفرقةِ في جيشِ أرمينيةَ.

لا ندركُ سببَ ذلك، ولكن يمكن التخمين أنه ربما بسبب قسوة البيئة الجبلية، ومناخها الخاص شديد البرودة، وكذلك اعتمادهم على قوة بأس

١-Pasdermadjian – op. cit. – P.136.

٢- رعمسيس الثاني، أحد فراعنة مصر حكم بين عامي (١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م): حارب الحثيين في سورية وخاض معهم معركة قادش عام ١٢٨٥ق.م وقد باغته الحثيون وانتصروا عليه فيها، عندما حاول إعادة سورية للسيطرة المصرية وطرد الحثيين منها. أحمد(محمود عبد الحميد): دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٠٩ – ص٢١٠.

٣- أحمد، المرجع السابق، ص٢٠٩.

فرسانهم وجنودهم، ما دفعهم للاستغناء عن هذه الفرقة. ولكن ألم يكن وجودها ليزيد من هيبة الدولة وليعزز من مكانتها وليدفعها للمزيد من النصر؟!!.

لازال هناك عامل أخير وهام ساهم بشكل كبير في إضعاف مقاومة أرمينية، وهو النزاع بين الأمراء الأرمن الذين يتولون إدارة مقاطعاتها. فقد كانوا منقسمين ومتضادين بعضهم ضد بعض، وبالتالي يقاتلون بشكل منفصل، مما ساعد الأعداء على التخلص منهم الواحد تلو الأخر[1].

إن هذا العامل مرتبط بالعامل الأول، ولازال التساؤل قائماً، ألم يدرك حكام الولايات ضرورة التعاون والاتفاق لدفع الخطر الخارجي؟!!. ألم يتساءلوا أنَّ وقوفَ والٍ واحدٍ في وجه العدو غيرُ مجدٍ؟!!. وأنهم لن يتركوا سالمين في حال خسارته؟!!. إن جميع تلك الأسئلة تحتاج للإجابة عليها ولكن لا يوجد سوى التخمين أمام انعدام المادة العلمية التي تثبت أو تنفي ذلك.

وما دام الأمراءُ متنافسينَ ومختلفينَ، فلا نستبعد في هذا المجال إمكانية استعانة أحد الأمراء بالقوى الخارجية ضد أمير آخر، مقابل التنازل عن بعض الأراضي أو إعطاء ما يمكن أن يسمى امتيازات لدعمه وتقوية مركزه. أضف لذلك، أن مجرد وجود خلافات بين الأمراء مدعاة لطمع العدو في البلاد، لأن العدو مدرك تماماً انعدام التعاون بين جميع الأطراف، فهو يضمن على الأقل عدم مشاركةِ نصفِ الجيشِ، أو ثُلثِهِ أو رُبْعِهِ، وهذا بحدِّ ذاتِهِ نصرٌ له وحقنٌ لدماءِ جُندِهِ فمَنْ يقاتلُ ضدَّ مئةٍ لا يقاتل ضد ألف. ومن هنا يُلاحظ إن التجزئةَ أهمُّ عاملٍ من عوامل ضعفِ دولةٍ ما، ولازالت أُمتُنا العربيةُ حتى اليومِ يكْمُنُ ضعفُها في تجزئتِها.

٢ - لازيكا.

تُعَدُّ لازيكا من المناطقِ التي شكَّلتْ أهميَّةً كبيرةً لكلتا الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطيةِ، وذلك لوقوعها بجوار منطقة هامة تشكل جسراً يربط

2-Pasdermadjian – op. cit. – P.136 .

الشرق بالغرب، وهي منطقة البحر الأسود الذي كان مجال نزاع بين الطرفين، فحاولتِ الدولةُ الفارسية السيطرةَ عليه للوصول إلى القسطنطينية والضغط على بيزنطةَ التي عملت على حرمانها من ذلك، ومنعتِ الفرس من الالتفافِ حول أراضيها.

. أهميَّةُ البحرِ الأسودِ بالنسبةِ للدولةِ الفارسية.

يُشكِّلُ البحرُ الأسودُ بحراً داخلياً كبيراً، يربطه بالبحر الأبيض المتوسط مضيقُ البوسفورِ وبحرُ مرمرةَ ومضيقُ الدردنيلِ، وتعودُ تسميتُهُ إلى الضبابِ الكثيفِ الذي يغطي مياهَهُ فتبدو مظلمةً في فصل الشتاء. ويُمَكِّنُ البحرُ الأسودُ السفنَ منَ المرورِ إلى البحرِ المتوسطِ عبرَ قناةٍ تربط بينهما[1]. يبرز لنا الموقع الجغرافي المتميز للبحر الأسود الأهمية التجارية والعسكرية له. ومن هنا كانت الإمبراطورية البيزنطية حريصةً كُلَّ الحرصِ على بقاءِ سواحله تحت سيطرتها. وكانت تسعى جاهدة لكي تحرم الفرس من موطئ قدم عليه. ويزيد من اهتمامها فيه إطلالة عاصمتها القسطنطينية على الساحل الجنوبي للبحر الأسود.

من هنا أدركتِ الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ ضرورةَ بقاءِ سواحلِ البحرِ الأسودِ تحت سيطرتها، مهما كلف ذلك من صعاب، لأن التهاون في ذلك يعني وقوع العاصمة تحت رحمة الضربات المعادية. فمن غير المعقول أن تدافع الدولة عن المناطق التي تبعد آلاف الأميال عن حدودها وتترك عاصمتها عرضةً للنهب والاحتلال، لذلك دفعت بيزنطة الكثير من الأموال لضمان ابتعاد الفرس عنها واحترام سلامتها. إذا أضفنا إلى كل ذلك، الخسارة التجارية التي تتكبدها بيزنطة من فقدانها الطريق التجاري الشمالي، ندرك تماماً الدور العظيم للمنطقة وندرك أن كل الأموال التي دفعتها بيزنطة، لا تساوي خسارة يوم واحد في حال فقدان السيطرة على المنطقة.

١- الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦ — ص٤٠٧
عدة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٤، ص١٩٤.

ـ الاهتمـامُ الرومـانيُّ بالمنطقـةِ القفقاسـيةِ حتـى القـرن السادس الميلادي.

عمل الرومان للسيطرة على الممرات والطرق الهامة في القفقاس، تلك الطرق التي وجدت نتيجة العوامل الطبيعية، حيث لعبت الجبال المكونة لسلسة جبال القفقاس دوراً مهماً في التكتيك الدفاعي. إذ شكلت المناطق المنخفضة منها ممرات عبور سهلة سميت بالبوابات ربطت الشمال بالجنوب.

ساهمت مناطقُ العبورِ تلك بدورٍ كبيرٍ في التجارةِ، حيث نشطتْ حركةُ التجارةِ في الجنوب وتبادلُ السِّلَعِ مع الشمال، ووصلت إلى بحر قزوين حيث حصلوا على بضائع الهند. أما في الشمال فكانت تجارة الرومان وخاصة تجارة العبيد والأدوات الحربية مزدهرة، ولم يكن الرومان مستعدين للتخلي عنها. لذلك وقعت تلك المناطق ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي تحت سيطرة النفوذ الروماني[1].

يستدل من ذلك على الأهمية الكبيرة التي تمتعت بها المنطقة القفقاسية، منذ عصور غابرة. كما يستدل على السعي الروماني المتواصل للسيطرة عليها. حيث أدرك الرومان الخطر الهائل الذي ستجلبه لهم أهمية هذه المنطقة في الوقت الذي يفقدون فيه سيطرتهم عليها.

اتبع الرومان سياسةً مستبدةً قاسيةً ضد السكان المحليين، مما دفعهم للنضال ضد الوجود الروماني على أراضيهم. خاصة بعد أن فرض الرومان نظام الرق عليهم. في هذه المرحلة توقفت الحركة السياسية الرومانية في المنطقة لكنها دعمت قوة القراصنة واللصوص، التي نمت وامتهنت سرقة الناس.

اتخذ النضال ضد الوجود الروماني أشكالاً سرية وعلنية، أدت إلى عزلة

١- سلسلة التاريخ، السلالات والفن، منشورات أكاديمية العلوم الجورجية، تبليسي، العدد ٢، ١٩٩١م، ص٢٠- ص٢٢. باللغة الروسية.

القوات الرومانية ولم تأت الستينات من القرن الأول قبل الميلاد حتى طُرِدَ الرومانُ عن آخرهم. وقد تمخض عن النضال ولادةُ علاقاتٍ إقطاعيةٌ مبكرةٌ، تكونت على أساسها سبع إمارات متتالية[١]، شملت معظم أراضي لازيكا في القرنين الأول والثاني الميلاديين[٢].

التنافسُ الفارسي البيزنطيُّ على المنطقةِ القفقاسية حتى القرنِ السادسِ الميلاديِّ.

ازداد اهتمامُ البيزنطيين بالشرقِ ازدياداً ملحوظاً عندما ظهرتِ القوةُ الفارسية كقوةٍ أعظمَ وأكثرَ تنظيماً، محاولين التصدي للبيزنطيين بحربٍ أكثر تصعيداً وحداثةً. وحتى منتصف القرن الثالث كان النصرُ حليفَ البيزنطيين، لكن في عام ٢٦٠م استطاع الفرس إلحاق هزيمة قاسية بالبيزنطيين حيث أسروا إمبراطورَهُم فاليريانَ نفسَهُ.

أثَّرتْ سياسةُ الفارسيينَ على المنطقة القفقاسيةِ بشكل أكبر أمام تراجع نشاط البيزنطيين عنها. وأصبحت الهجمات الفارسية أكثر وضوحاً وخطورة، وفي إشارة للمؤرخ إميانوس مارسيلينوس عام ٣٦١م يقول:((كان ملك العائلة الإيرانية قد تصدى بصعوبة للشتاء القارص، وفي الوقت نفسه كان خائفاً عندما جاء الوقت المناسب من السنة، فبعث إلى الحكام المحليينَ في المنطقة، الدبلوماسيين المحملين بالهدايا الثمينة لتكون بمثابة إنذارٍ للجميع في بلادهم، ومحاولةٍ لحمايةِ نفسِهِ من كُلِّ نيةِ غدرٍ أو خيانةٍ، فكان من الأولويات شراءُ الملابس والهدايا لحكام أرمينية وأيبيرية[٣]، وذلك لأنهم يلحقون الضرر بالبيزنطيين إذا استطاع كسب ولائهم)) [٤].

١- الإمارات السبع هي إمارة مكرونف، وكتخوف، وزيترتوف، ولازوف على امتداد أراضي لازيكا. وإمارات ابسيلوف، وابسكوف، وسني كوف، على امتداد أبخازيا الجنوبية. سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٣.

٢- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٣.

٣- أيبيرية، هي جزء من مناطق القفقاس، ويعتقد أنها تشكل جزءاً كبيراً من جورجيا (حالياً).

٤- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٤ — ص٢٥.

يستنتج من رواية مارسيلينوس أن ملك الفرس أمضى الشتاء في المنطقة القفقاسية، وعانى جنوده من قسوة مناخها. وهذا يعني أن الفرس لم يجهلوا الأهمية الكبيرة للمنطقة، وإلا لماذا يجازفون بجنودهم هناك؟!!. كما يستدل منها أن الفرس عاملوا حكام أرمينية وأيبيرية كحلفاء لهم. وذلك أمام الدور الكبير الذي يلعبه هؤلاء فيما لو وقفوا ضدهم إلى جانب البيزنطيين.

شهدت شواطئ لازيكا في الخمسينيات من القرن الثالث، قدوم موجات عديدة من القوط الذين لم يستطع أحد أن يضع حداً لتدفقهم. تعاظمت قوة لازيكا بعد تلك الأحداث بشكل ملحوظ ولم يأت منتصف القرن الرابع الميلادي حتى أصبحت مقاطعة لازيكا واحدة من أكبر وأقوى المقاطعات في المنطقة القفقاسية، وتمكن حكامها من السيطرة على باقي المقاطعات التي استطاع حكامها الحفاظ على سلطتهم المحلية الحرة[1]. كانت المناطقُ الشماليةُ في مطلع القرن الخامس لا تزال خاضعةً للبيزنطيين. وهذا يعني أن البيزنطيين هُمُ الأعداءُ الرئيسيونَ للحرية، فتوجه النضال ضدهم لنيل الحرية مدعومين بمساعدات خارجية إيرانية على وجه الخصوص.

وصل البيزنطيونَ من جديد إلى لازيكا في عام ٤٥٦م وأشعلوا الحرب مع اللازيكيين من جديد. لكن النصر حالف اللازيكيين وحطموا قوات البيزنطيين الذين حاولوا التحضير لحرب جديدة. كانت منطقة لازيكا تشكل السياج الحدودي الشمالي، وكان من البديهي أن تؤثر بعلاقات تفرضها المصلحة مع حاكمها. ذلك أن الطرق الموصلة إليهم عُدَتْ جزءاً من الواجهة الدفاعية للحدود الشمالية. وأمام العلاقات غيرِ الحسنةِ مع البيزنطيينَ تطلَّعَ حكامُها لعلاقاتٍ إيرانيةٍ.

٣- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٥.

ـ التنافسُ الفارسي البيزنطيُّ على لازيكا في القرن السادس الميلاديِّ.

اشتد التنافس على المنطقة القفقاسية في هذه الحقبة، كونها تشكل منطقة نفوذ لكلا الطرفين بسبب موقعها الاستراتيجي والتجاري الهام من ناحية، ومن ناحية أخرى كان جوستنيان يسعى دوماً لكسر الاحتكار الفارسي للتجارة وطرقها مع الشرق بحكم موقعها الجغرافي من ناحية ثالثة. خاصة أنه في مطلع القرن السادس كانت لازيكا أو جزء منها من الموالين للساسانيين[1].

إن حالة الهدوء المشوبة بالحذر بين البيزنطيين والفرس منذ عقد معاهدة عام ٥٠٥م، تحولت لحربٍ باردةٍ ثم لحربٍ ساخنةٍ بسبب نجاح الدبلوماسية البيزنطية المبنيةِ على مناهضةِ النفوذِ الفارسي في المنطقة القفقاسية. وبخاصة بعد أن تحول عدد كبير من سكان منطقة حوض البحر الأسود وخاصة لازيكا إلى المسيحية، بما فيهم ملكي هذين الإقليمين وذهابهما إلى القسطنطينية ولاء للإمبراطور البيزنطي عامي ٥٢٢ -٥٢٣م[2].

لم تقبل الدولة الفارسية هذا التحول، وحرصت على أن تكون ممرات المنطقة القفقاسية تحت سيطرتها، كما حرصت على أن تلزم البيزنطيين بالتعاون على دفع الأموال لحماية هذه الممرات، لذلك سارع الفرس باتخاذ الإجراءات المضادة التي تحول دون سيطرة البيزنطيين على المنطقة وممراتها، خاصة بعد أن رفض البيزنطيونَ دفع الإتاوةِ السنويةِ التي يدفعونها منذ عهد أناستاسيوس بمقدار ٥٠٠ خمسمائة قطعة من الذهب سنوياً[3].

لا يُعلم الدافعَ الذي دفع بملكَيْ هذَيْنَ الإقليمينِ للذهاب إلى الإمبراطور

١- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٧.

٢- الشاعر، المرجع السابق، ص١٨٨ — ص١٨٩.

Procopius, History Of The Wars. Vole 1 – P87-95.

٣- الشاعر، المرجع السابق، ص١٨٩.

البيزنطي، ولكن على ما يبدو أن التوافق الديني كان له أثرٌ على موقفهما، أو لأن الأوضاع في الدولة الفارسية مضطربة بسبب فتنة المزدكية، ففضلوا أن تكون بلادُهما تابعةً للبيزنطيين على اعتبار أنَّ الفرس غيرُ قادرينَ على الردِّ على تصرفهم هذا، ولكن ما كان الفرس ليسكتوا على مثل ذلك وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة.

جعل الموقعُ الجغرافيُّ والاستراتيجيُّ الهامُّ السيطرةَ البيزنطيةَ صعبةً جداً، خاصة أن الحكام في لازيكا نقلوا للملك الفارسي أن البيزنطيين يحتلون دون شرعية قانونية أراضي لازيكا، التي تتمتع بحكومة وحواجز طبيعية. وتؤثر بالقوة الفارسية المتمركزة باتجاه الشمال. وفي العشرينات من القرن السادس قام اللازيكيونَ بضمِّ الأراضي التي تقعُ على شواطئِ البحرِ الأسودِ قربَ أيبيريةَ، والتي تقوي مركز لازيكا حيث شكلت حدوداً لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها تمكن اللازيكيين الدفاع من مواقعَ مغلقةٍ ومحكمةٍ. وهكذا دافع اللازيكيون عن بلادهم مع البيزنطيون ولكن ليس لأجل البيزنطيين بل لأجل بلادهم. وهذه العلاقات المعقدة والقائمة على المصالح كانت متشابكةً، لكنها مفهومةٌ على أنها أنانيةٌ قائمةٌ على السلب. سلبِ اللازيكيين كُلَّ شيءٍ، كالسلطةِ التي كانت اسميةً لحاكم لازيكا وفعليةً بيد البيزنطيين، والتجارة التي احتكرها البيزنطيون، فساعدوا على انتشار الفقر والعَوَزِ. بالإضافة إلى أنهم جعلوا لازيكا معسكراً عسكرياً كبيراً وجهزوها بالمعدات العسكرية والحربية[1]، التي بالطبع لم تكن لحماية البلد من الأعداء بل لمنع دخول الفرس إلى المنطقة.

ولكي يعيد الفرس سيطرتهم على الممرات والمنطقة استعانوا بزعيم الهون، وقدموا له المال للتعاون معهم. فأعد هذا جيشاً مؤلفاً من عشرين ألف مقاتل[2]. لكن مهارةَ الدبلوماسيةِ البيزنطيةَ تمكنَّتْ من إجهاضِ الحلفِ، وذلك عندما

١- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٧ – ص ٢٩.

٢- الشاعر، المرجع السابق، ص١٨٩.

Procopius , History Of The Wars. Vole 1 – P.93

تمكنت من إثباتِ مراوغةِ زعيم الهونِ الذي يتعاونُ مع الطرفين، فقام الفرس بقتلِهِ والتخلصِ منه. ثم اعتمدَ الفرس على الحلِّ الدبلوماسيِّ لحلِّ الأزمةِ[1].

يشيرُ لجوءُ الفرس إلى الهونِ للضغط على البيزنطيينَ، ويدل بشكلٍ غيرِ مباشرٍ إلى عدمِ قدرةِ الفرس على توجيهِ قواتهم للردِّ على البيزنطيين، وتأديبِ ملكِ لازيكا. فوجدوا أنه بالتعاون مع الهونِ ودفعِ المالِ لهم يستطيعونَ أن يحققوا هدفهم ريثما تتحسنُ أوضاعُهُمُ الداخليةُ.

ولكنْ يُعْتَقَدُ أنَّ ملكَ الهون كان أكثرَ حنكةً سياسيةً منهم. إذ أخذ أموالهم وعمل على أن يحصل على المزيد من الذهب البيزنطي بعد أن جهز جيشه. كان يعتقدُ أنَّ البيزنطيينَ مجرد ما يرون قُوَّاتِهِ سيرضخون لرغباته، ولكنَّ سياستَهُمْ كانتْ أكثرَ دهاء من أن يدركَ أبعادَها فأوقعت به بيد الفرس الذين قتلوه وتخلصوا من مراوغته. ولكن يبقى السؤال لماذا يلجأ الفرس إلى اتباع سياسة دبلوماسية في حل الأزمة بعد ذلك ؟!!.

كان هدف الفرس من هذه الخطوة أن يتربى الملك الفارسي الجديد كسرى أنوشروان عند البيزنطيين. ولكن فشل المفاوضات دفعت بقباذ الأول للانتقام لكرامته فهاجم لازيكا عام ٥٢٥م واستولى عليها، بعد أن استولى على المنطقة القفقاسية بحجة رفضها مبادىء الزرادشتية[2]. كان استيلاء الفرس على المنطقة القفقاسية وممراتها يعني قيام الحرب بين الطرفين، وذلك لأن وجود القوة الفارسية في المنطقة يعني إمكانية تسلل الفرس عبر المياه والبحر الأسود، وبالتالي إمكانية تهديد الأراضي البيزنطية بل وحتى العاصمة نفسها[3].

ربما كان للرفض البيزنطي دور في إشعال نار الحرب. ولكن هذا السبب يبقى ضعيفاً أمام الأسباب الأخرى، التي قد تكون أكثر منطقية وفعالية دفعت

1-كريستنسن، المرجع السابق، ص٥٩٤.

Procopius , History Of The Wars. Vole 1 – P.93

2- الشاعر، المرجع السابق، ص١٩١.

3 -Procopius –. History Of The Wars – Vole 1 – P.93

بقباذ الأول للاستيلاء على لازيكا. فمعروف أن لازيكا تمكنه من تهديد القسطنطينية نفسها، ولعله وجد ضعفاً في الإمبراطورية البيزنطية، فاعتقد أنَّ بإمكانه أن يستولي على المنطقة دون أن يواجه أية صعوبات، هذا أولاً. وثانياً قد يكون للنجاح الذي حققته الإمبراطورية البيزنطية في الجنوب (شبه الجزيرة العربية) دور أكثر أهمية من السبب الواهي الذي أشعل الحرب بين الطرفين، فقد تمكنت الدبلوماسية البيزنطية هناك من أن تحقق نجاحاتٍ ملحوظةٍ. أما السبب الثالث فهو مرتبط بالاستقرار الداخلي للدولة الفارسية التي تمكنت من التغلب على مشكلاتها الداخلية، وبدأت تتوسع على حساب أملاك جيرانها.

قامت بيزنطةُ بالردِّ على الهجومِ الفارسي، فهاجمت أرمينية الإيرانية، ولم يكن هدفُهم السيطرةَ على المنطقة بقدر ما كان استعراضاً للقِوى. ليثبتوا للساسانيين أن القوة البيزنطية موجودة وقادرة على الرد، لذلك عاد البيزنطيون بالغنائم والأسرى لبلادهم دون أن يحتلوا المنطقة[1].

إن الرد البيزنطي رد متوقع، فمن الطبيعي أن يرد البيزنطيون على ما وجهته لهم الدولة الفارسية ، وعلى ما يبدو كانوا مشغولين على جبهات أخرى، لأنهم لم يفكروا بالاحتفاظ بالمنطقة التي اجتاحوها فاكتفوا بالغنائم والأسرى وعادوا لبلادهم، أو أنهم خشيوا من إدراك الجيش الفارسي لهم فآثروا العودة لبلادهم على الاشتباك معه . ولكن المهم في الأمر أنها كانت حملة أثبتت للساسانيين أنهم لازالوا موجودين ولا تستطيع الاستيلاء على أملاكهم.

شهدَ عام ٥٣١م عقد معاهدة بين الفرس والبيزنطيين، كان الهدفُ الأساسي منها تمكين الأوضاع الداخلية في إيران، وقيام البيزنطيين بإكمال مشروعهم في الغرب. ولحل الأزمة في المنطقة القفقاسية جاءت شروط الصلح ملبية كل الرغبات الفارسية ، كعودة مناجم الذهب الواقعة على الحدود البيزنطية - الفارسية . كما نصت على عودة قلعتي بولون وفارانجيون اللتين تقعان على الحدود البيزنطية

1- الشاعر، المرجع السابق، ص١٩١.

إلى السيادة الفارسية . وأن يدفع البيزنطيون ١١ أحد عشر رطلاً من الذهب للساسانيين مقابل حماية الممرات القفقاسية. وأن تكون أيبيرية تحت السيطرة الفارسية . كل هذه الشروط وافقت عليها بيزنطة مقابل شرط واحد لها هو عودة لازيكا للسيادة البيزنطية[1].

إنها مسألة لا تحتاج إلى تعليق، فالمعاهدة توضح الأهمية الكبيرة لمنطقة لازيكا والتي كانت تشكل خطراً كبيراً على الإمبراطورية البيزنطية، التي فضلت التنازل عن الكثير من الأموال والأراضي مقابل الاحتفاظ بها، مما يثبت أن الاحتفاظ بلازيكا أهم من كل الانتصارات التي تعمل الإمبراطورية البيزنطية عليها في الغرب، والدليل واضح هو أن النجاحات في الغرب مهما كانت عظيمة، فهي لن تمكن من دفع الخطر عن العاصمة التي يهددها ويقض من مضجعها الاحتلال الفارسي للازيكا.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو أن الفرس في هذه المدة كانوا يعانون من الفتنة المزدكية، وكان كسرى أنوشروان بحاجة للوقت والأمن ليقوم بإصلاحات فلماذا يوافق جوستنيان على كل هذه التنازلات؟!!. يعني أن وضع الفرس ليس أفضل من وضعهم، ويحتاجون للسلم أكثر من البيزنطيين فلماذا كانت المعاهدةُ جائرةُ بحق البيزنطيين؟!!.

يبدو أن كسرى أنوشروان تخوف من النجاحات التي حققها البيزنطيون في الغرب، وزاد الأمر سوءاً تصرف حاكم أيبيرية الذي توجه للقسطنطينية، في العام نفسه الذي احتفل فيه جوستنيان بنصره على الوندال في الغرب، وبما أن الاتفاقية نصت على بقاء أيبيرية تحت السيادة الفارسية فقد استاء كسرى أنوشروان من هذا التصرف، وخاصة أمام استقبال جوستنيان للحاكم بحفاوة وتقدير. فشعر كسرى أنوشروان أن حليفه البيزنطي يتآمر ضده عن طريق دفع المال للهون للإغارة

-١Procopius – History Of The Wars– Vole 1 – PP.133- 134

الشاعر، المرجع السابق، ص١٩٤.

على الأملاك الفارسية [1].

وإذا أضفنا لكل هذه الأعمال، الأوضاع السيئة في أرمينية البيزنطية التي غدت كبركان هادر أطاح بالحكام البيزنطيين، وثارت ضد التشريعات والضرائب التي فرضها جوستنيان، كما كانت السياسة البيزنطية الاستبدادية في لازيكا سبباً في توجه اللازيكيين لطلب النجدة من الملك الفارسي. فقد وصلت رسالةٌ للملكِ الفارسي كُتِبَ عليها: ((بمساعدة البحر الواقعة بلدنا عليه تستطيعون الوصول لبحر الرومان، فإن بنيتم مراكب، سيكن الحكم لكم وكأن البلاط لكم ..... وسنكن موحدين ضد القوى البربرية الخارجية وسنبعد عنا أخطار البيزنطيين المحتملة.... لابد أنكم تعرفون أن لازيكا هي أحد أهم جبال القفقاس))[2].

يلاحظ من خلال الرسالة أن اللازيكيين يدركون أن الملك الفارسي ينتظر الفرصة الملائمة لدخول بلادهم، وكانوا يوقنون تماماً أنهم لو طلبوا العون منه لن يتردد في دعمهم، لأنهم على يقين أن الوجود البيزنطي على أراضيهم يقض مضجعه. ويوقنون أيضاً أنه على علم بأهمية بلادهم الاستراتيجية والحربية في نزاعه مع البيزنطيين على الجبهة الشمالية.

كان الملكُ الفارسي يستطيع أن يلبي طلب سفراء لازيكا. ولكن كان لديه اهتماماتٌ ومطامعُ في المنطقة نفسِها عليه أن لا يظهرها حتى الوقت المناسب. وفي هذه الظروف كان هدف الملك الفارسي ليس فقط المساندة الحربية للازيكا، بل أيضاً التأثير على الحكومات المجاورة[3]. وأرسلوا رسالة أخرى لكسرى أنوشروان لينضموا له، شرط أن يخلصهم من الاحتكار الاقتصادي البيزنطي[4]. وليمكنوه

---

1 -Procopius –. History Of The Wars – Vole 1– P.249

الشاعر، المرجع السابق، ص١٩٦- ص١٩٧.

٢- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٢٩.

٣- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ٢٩ — ص٣٠.

٤- الشاعر، المرجع السابق، ص١٩٨.

مـن الوصـول إلى البحـر الأسـود[1]. فجهـز كسـرى أنوشـروان جيشـه ودخـل لازيكـا واستولى عليها[2]. ففي عام ٥٤٢م قدم كسرى أنوشروان على رأس جيش جـرار غير آبه بالسلام مـع البيـزنطيين محـاولاً اقتحـام لازيكـا واتحـدت معـه القـوة اللازيكيـة المحلية، فوجه ضربة لمدينة بيترا[3] التي تعتبر القاعدة الحربية الرئيسية للبيـزنطيين هنـاك. وبعـد عـدة معـارك تـرك كسـرى أنوشـروان حامياتـه هنـاك وعـاد سـراً إلى إيران[4].

يعـد النصـر الفارسـي هنـاك نتيجـةً طبيعيـةً لأن اللازيكـيين وقفـوا إلى جانـب الفـرس ضـد البيـزنطيين، ومـن الطبيعـي أيضـاً أن يبـدأ بتـدمير المركـز الأساسـي للجنود البيـزنطيين وهـو مدينـة بيترا. ولكـنْ غيرُ الطبيعـيِّ هـو عـودة الملك الفارسـي سراً إلى بلاده. ما هو الدافع الذي دفعه لذلك؟!! هل شهدت إيـرانُ ثـورةً داخليـةً؟!! أم هل قام البيزنطيون بهجومٍ ما على إيران من جهة أخرى؟!!.

. حملةُ كسرى أنوشروان على لازيكا ٥٤٤م.

استجابةً لنداء الأرمن جهز كسرى أنوشروان جيشه في ربيع عـام ٥٤٤م وهـاجم لازيكا متذرعاً بطلب أهلها لنجدته، وبسهولة كبيرة ظهر كسـرى أنوشـروان على رأس جيشه وسـط لازيكـا فاحتل قلعـة بيترا **Petra**، مركـز مقاطعـة لازيكـا. في البدايـة لم يـتمكن الفـرس مـن الاسـتيلاءِ عليهـا بسـبب دفـاعِ الحاميـةِ البيزنطيـةِ هناك، لكنهم قاموا بنقب أسوار القلعة فاضطروها للاستسـلام، وبـدأ القتـال بـين الطرفين حيث تمكن الفرس من انتزاع النصر[5].

١- رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٥٤.

٢- سايكس، المرجع السابق، ج١، ج١، ص٦٢١.

٣- بيترا: عاصمة مقاطعة لازيكا. بيغلوفيسيكيا، المرجع السابق، ص١٢١.

٤- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص ٣٠.

١- Procopius –. History Of The Wars – Vole 2– P.489-517.

Vasiliev (A . A) – History of The Byzantine Empire,. Vole 1 – P.139- 170.

كـان وضـع الإمبراطوريـة البيزنطيـة محرجـاً فلـم تـتمكـن مـن نجـدة حاميتهـا هنـاك علـى اعتبـار أنهـا قـد وقعـت معاهـدة سـلام مـع الفارسـيين، وليسـت بحاجـة للاحتفـاظ بـالقوات هنـاك هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة ثانيـة كـانـت قواتهـا بعيـدةً في الغرب ومن غير الممكن أن تسحبها للدفاع عن المنطقة، وحتى لـو جلبتهـا لـذلك فلـن تتمكـن هذه القوات من الوصول إلا بعد أن يستولي الفرس على المنطقة. ولكـن مـن جهة ثالثة ما كانت بيزنطة لتترك الوضع كما هـو، إذ سـرعان مـا أوجـدت لـه حـلاً بمعاهدة جديدة وأموال جديدة دفعتها للساسانيين.

انحصرت العمليات القتالية في العـام التـالي ٥٤٥م في المنطقـة القفقاسـية، ولأنـه لم تـربطِ القـادة البيـزنطيين قيـادةٌ موحـدةٌ، إلى جانـب العصـيان وسـوء النظـام فقـد تقدموا لقتال الفرس دون خطة مشتركة. وكانت قوات الفرس قد اضطرت لمغـادرة المنطقـة بسـبب تعرضـها للوبـاء، وبأرمينيـة الإيرانيـة التقـى الطرفـان ودارت رحـى المعركة التي انهزمت خلالها القـوات البيزنطيـة، وتفـرق الجنـد وغـنم الفـرس غنـائم كثيرةً من الأسلحة والماشية[1].

يعتقد أن كسرى أنوشروان استغل النـزاع القائم بـين القـادة البيـزنطيين، وقـرر أن يحقق بعض المكاسب علـى حسـاب بيزنطـة، أو أن يـدفعها لـدفع المزيـد مـن المـال لتضمن هدوء المنطقة الـتي لا يمكـن أن تتنـازل عـن ذرة واحـدة مـن ترابهـا. ويبـدو أن كسـرى أنوشـروان كـان مـدركاً لـذلك، لهـذا السـبب وجَّـهَ ضـرباتِهِ لهنـاكَ حيـثُ الحصولُ على المالِ أو الوصولُ للعاصمةِ البيزنطيةِ.

ولا نعلـم فيمـا إذا كـان للوبـاء دورٌ في مـا حـدث فيمـا بعـد، أم أن الفـرس قـد استنفذوا قُواهم في حملاتهم الطويلة علـى الأراضـي البيزنطيـة، فلـم تكـن حملـتهم هذه على قـدر مـن الأهميـة أمـام الحمـلات السـابقة. وبعـد عـدة سـنوات مـن الحـرب، وقَّـعَ الطرفـان علـى اتفاقيـة السـلام لعـام٥٦٢م والـتي نصـت علـى تخلـي إيـران عـن لازيكـا وإعادتها للبيزنطيين، مقابل ثلاثين ألف قطعة ذهبية سنوية، ولمـدةِ خمسـينَ

2- Procopius –History Of The Wars. – Vole 2– P.517.
Jones – op. cit.–Vole 1 – P.272.

سنة[1].

عُقِدَتْ في عام ٥٤٥ م- ٥٤٦م هدنةٌ مؤقتةٌ بين الفرس والبيزنطيين، حيث أراد كسرى أنوشروان كما كان دائماً أن يستغل الظروف المحيطة ويحقق أهدافه السرية المتعلقة بلازيكا، مستغلاً توقف التجارة مع البيزنطيين، الأمر الذي من شأنه تقوية العلاقات مع اللازيكيين.

شكلت زيادة قوة الفرس في لازيكا استياء الحاكم اللازيكي. فما كان من كسرى إلا أن أسرع في تنفيذ مخططاته من خلال أوامر أصدرها لأحد قادته هناك، مفادها العمل على قتل حاكم لازيكا[2]. لكن حاكم لازيكا والحكام المحليين الآخرين كانوا يدركون خطة كسرى أنوشروان، لذلك توجهوا للإمبراطور البيزنطي جوستنيان آملين أن تصلح زيارتهم بعض الأمور[3].

جَعَلَتِ التطوراتُ والوضعُ الجديدُ في المنطقة اللازيكيين يضعون موازين للحرب القادمة. فاستمر النضال حتى مطلع الستينات، حيث دارت رحى معركة طاحنة على تلك الأرض كان ضحيتَها السكانُ المحليونَ. هكذا تعقدتِ الأمورُ أكثرَ فأكثرَ، وبدا واضحاً أن المقاطعات في المنطقة القفقاسية بدأت كُلٌّ منها تعملُ على الدفاعِ عن مصالِحها، ونَسِيَ الجميعُ العملَ إلى جانب البيزنطيين وتوحيد الاهتمامات الحربية. وتصاعدت نتائج الحرب ضد الفرس بشكل بطيء لكنها كانت جيدة[4].

. تطورُ الحربِ الفارسية البيزنطيةُ على لازيكا.

تسارعت تطورات الحرب في عام ٥٥٠م. وسقطت مدينة بيترا المركز البيزنطي الرئيسي هناك بيد الفارسيين. ولم تتمكن القواتُ البيزنطيةُ واللازيكيةُ من

١- بيرنيا، المرجع السابق، ص٢٦٢. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٥٤.

٢- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٣٠ — ص٣١.

٣- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص ٣١.

٤- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص ٣١.

تحريره. ولكن مع وصول القائد البيزنطي بيسي أصدر أوامره فتهدمت تحصينات بيترا وطرد الإيرانيين. ومع مرور الزمن أهمل القادة البيزنطيون المنطقةَ ولم يُحصِّنوها، الأمر الذي أفاد الفرس كثيراً فتوجه القائدُ الفارسي ميرمور إلى لازيكا من أيبيرية مع قواته، ووصل إلى لازيكا، وسيطر على طرقها الهامة كما دافع وبقوة ضد أعداء لازيكا.

أدت هذه الأعمال إلى زيادة نفوذ الفرس في المنطقة القفقاسية بشكل ملحوظ، واحتمى عدد كبير من السكان بالفارسيين، ليس لأنهم معجبون بهم بل لأنهم يرغبون بالهروب من السادة البيزنطيين ووحشيتهم. هكذا غدت معظم الأراضي اللازيكية تحت السيطرة الفارسية وأصبح القائد الفارسي يتصرف كحاكم مستقل[1]، ماذا سيفعل البيزنطيون؟!!. هل سيتركون الفرس يسيطرون على باقي المنطقة ويهددون عاصمتهم؟!!. هل سيعملون على مدِّ يد العون للحاكم اللازيكي غوباز المناهض للساسانيين الآن؟!!. أم هل ستكون هناك سياسةٌ بيزنطيةٌ جديدةٌ؟!!.

يستدل من لجوء السكان لحماية الفرس على السياسة القاسية التي كان يتبعها البيزنطيون ضدَّ السكانِ المحليينَ هناك، وإلاَّ ما الذي يدفع بالسكان للجوء للساسانيين؟!!. قد يكون هؤلاء ظنوا أن الفرس سيكونون أرحم لهم من البيزنطيين، ولكن في الحقيقة لم تختلفِ السياسةُ الفارسية عن البيزنطيةِ شيئاً. لأنَّ كلا الطرفين كان يطمح للسيطرة على المنطقة، للتحكم بالطرق والممرات الهامة الموجودة فيها. أما ما هو موقف البيزنطيين؟!!. فهذا ما ستبينه الأحداثُ اللاحقةُ.

أصبح اللازيكيون الموالون للبيزنطيين في تلك الفترة والبيزنطيونَ في موضعٍ حرجٍ، وفي هذه المرحلة قام القائدُ الفارسي وطلب من غوباز أن يعلن ولاءه للساسانيين أويخرجَ من البلاد. لكنه رفض واستمرتِ المنازعاتُ والاشتباكاتُ

١- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص٣٤.

الصغيرةُ التي لم تكن نتائجُها مشجعةً للساسانيينَ. وفي عام٥٥٣م ماتَ القائدُ الفارسي ميرمورُ ولم يستفدِ الفرس كثيراً من وضعهم القوي هناك.

كان غوباز مراوغاً في سياسته، فبعد أن تحسنت علاقته مع البيزنطيين خانهم بجبن، لذلك قام جوستنيان بتعيين حاكم جديد على لازيكا، وتلقى الأخير الموافقة على أسر غوباز حيث تمكن من قتله عام ٥٥٤م. أثر مقتل غوباز كثيراً في لازيكا حيث انشقت عن البيزنطيينن، وخسر هؤلاء قوة اللازيكين في جيشهم حيث قدرت بحوالي ٥٠،٠٠٠ خمسينَ ألف جندي[1].

يعتقد أن هناك عدة أسباب دفعت جوستنيان للتخلص من غوباز، من جملتها التأييد الشعبي الكبير له من السكان المحليين، هذا يعني أنه قائد قدير لن يسمح للبيزنطيين بتنفيذ سياستهم كما يريدون. أو أن جوستنيان اكتشف علاقة سرية بينه وبين الفرس فقرر التخلص منه، ومن مراوغته السياسية ولكي يعين قائداً يدين بالولاء والطاعة له.

ويلاحظ أن هذا العددَ للجيشِ اللازيكيِّ مبالغٌ فيه، فمن أين جاءت هذه القوةُ الكبيرةُ!!؟. وأصبح معروفاً أن لازيكا عندما تتعرض للهجوم من قبل البيزنطيين تستعين بالفرس ضدهم والعكس صحيح. فلو كانت تملكُ هذا العددَ من الجُندِ لما احتاجتِ العونَ الخارجيَّ ضدَّ الطامعينَ فيها.

وبعد أن هزم هرمزد الرابع الترك في عام ٥٨٩م، أمر قائده بهرام جوبين أن يهجم على لازيكا التي كانت في ذلك الوقت غير محصنة، وبدون جنود ولكن البيزنطيين أسرعوا لنجدة المنطقة وأرسلوا لها المساعدة، وتمكنوا من هزيمة القائد الفارسي وإعادة الهدوء للمنطقة[2].

يعتقد أن الانتصارات التي حققها هرمزد الرابع أصابته بالغرور حتى يدفع بقواده للسيطرة على المنطقة القفقاسية، في وقتٍ بدا فيه أن القواتِ البيزنطيةَ غيرُ

١- سلسلة التاريخ، المرجع السابق، العدد ٢، ص ٣٤ — ٣٥.

٢- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٦١.

بعيـدةٍ عـن عاصـمتها ، وغـيرُ مشـغولةٍ بحـروبٍ خارجيـةٍ ، ولكـن قـد يكـونُ ضـعفُ الإمبراطورِ البيزنطيُّ هو ما دفعه لذلك. ولكـنَّ الأخيرَ أثبت لـه أنـه قـادرٌ علـى الـردِّ فكانتِ الهزيمةُ الـتي جـرت. وبسـببِ قصـرِ النظـرِ السياسـيِّ للملكِ الفارسـي لتغذيـة فتنةٍ دفعتْ خلالها إيـرانُ كُـلّ مـا كَسِبَتْهُ مـن الأمـوالِ علـى طـولِ عهـدِ جوسـتنيانَ، ذلك الذي دفعته في معاهدة ٥٩١م.

الفصلُ الثالثُ

التنافسُ الفارسي البيزنطيٌّ على سورية في القرنِ السادس الميلاديِّ

١ـ الأهمية الجغرافية لسورية.

٢ـ الحملات الفارسية على سورية في النصف الأول من القرن السادس الميلادي.

- **اتفاقية ٥٣٢م بين الفرس والبيزنطيين.**
- **اتفاقية السلم الدائم عام ٥٣٣م.**
- **تطور النـزاع حتى عام ٥٦٢م.**
- **اتفاقية ٥٦٢م للسلام بين الفرس والبيزنطيين.**

٣ـ الحملات الفارسية على سورية في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

- **الحصار البيزنطي لمدينة نصيبين.**
- **استيلاء الفرس على دارا ٥٧٢م.**
- **استيلاء الفرس على مدينة أفاميا٥٧٣م.**
- **حرق ملطية.**
- **مفاوضات الفرس والبيزنطيين على الحدود ٥٧٦م.**
- **تخريب الفرس للأراضي البيزنطية وانتقام موريس منهم.**
- **الحرب في تلا عام ٥٨٠م.**
- **احتلال حصن آقابا في أرض إيران ٥٨٢م.**
- **الحملات الفارسية على أنطاكية في القرن السادس الميلادي.**
- **أنطاكية: موقعها وتسميتها وأهميتها .**

- الأوضاع العامة في أنطاكية.
- الحملات الفارسية على أنطاكية.

ثالثاً- دور العرب في الصراع الفارسي البيزنطي على سورية .
- دور الحيرة في الصراع حتى وصول المنذر (الثالث) بن ماء السماء لحكمها.
- المنذر الثالث بن أمرئ القيس بن النعمان بن ماء السماء (٥١٤ – ٥٥٤م).

- دور العرب في الصراع بعد مصرع المنذر الثالث.

١- الأهميَّةُ الجغرافيةُ لسوريةَ.

تُعَدُّ سوريةُ واحدةً من أقاليمِ آسيةَ الغربيةِ في منطقةٍ أَطْلَقَ عليها سكانُ وادي الرافدين اسمَ مارتو السومري، أو أمورو وكلاهما ترادف كلمةَ الغربِ، رغم استخدام التسميات المحلية كإبلا وماري وأوغاريت وغيرها. ومع قدومِ السلوقيين غلبَ استخدامُ اسم سوريةَ على المنطقة الفرات.

يوجد عدَّةُ آراءَ حول تسميةِ سوريةَ منها ذلك الاشتقاقُ من الكلمةِ الأكَّاديةِ (سوبرتو أوشوبرتو)، ومعناه الأراضي العليا أو منطقة الآشوريين، أو أنَّ الاسمَ يعودُ بأصلِهِ إلى اللفظةِ الكنعانيةِ سيريون، كإختصارٍ للفظةِ اليونانيةِ **ASSYRIA** أي بلاد آشور، وذلك بإهمال المقطعِ الأولِ **AS** لتصبح **SYRIA**. ويعتقد أن هذا الرأي الأخير هو الأقرب للصواب، لأنه يعتمد على أسس لغوية وتاريخية وجغرافية[1]. والحقيقة لا يوجد هناك ما يدل على استخدام اسم سورية لمرحلة تسبق النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، حيث ورد أول استخدام للاسم في القرن الخامس قبل الميلاد في كتابات هيرودوت، ويبدو أنه منذ ذلك الزمن استخدم في الكتابات السريانية بنفس الصيغة في العربية أي سورية[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللفظة السريانية المطابقة لليونانية هي أثوريا[3].

ومن الناحية الجغرافية تتوسط سورية قارات العالم القديم، كما تتوسط أعرق حضارتين بلاد الرافدين ووادي النيل[4]. أما تسمية بلاد الشام ((الشام جمع

١- أثناسيو، المرجع السابق، ج١، ص٢٢.

الحلو(عبد الله): سورية القديمة، مطبعة ألف – باء- الأديب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م،الكتاب الأول، ص٨١.

٢- أثناسيو، المرجع السابق، ج١، ص٢٢. الحلو: المرجع السابق، الكتاب الأول، ص٨٢.

مهران(محمد بيومي): مصر والشرق الأدنى القديم(بلاد الشام)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص١١.

٣- الحلو: المرجع السابق، الكتاب الأول، ص٨٣.

٤- مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (بلاد الشام)، ص١١.

شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام))[1]. ((أما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم))[2].وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ((الشام صفوة الله من بلاده وإليها يجتبي صفوته من عباده))[3].

يقول الإمام القرطبي: ((الأرض أرض الشام وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها ولأنها معادن الأنبياء))[4]. ويحدد لنا ابن حوقل والإصطخري بلاد الشام: ((فأما الشام فإن غربها بحر الروم وشرقها البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم، وشمالها بلاد الروم وجنوبها مصر. وآخر حدودها ممايلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور المعروفة))[5].

من هنا نستطيع أن نحدد إطاراً جغرافياً لسورية بناءً على ما قدمه الجغرافيون العرب. فيحدها شمالاً جبال طوروس وغرباً البحر الأبيض المتوسط. ومن الجنوب تتصل بصحراء مصر وشبه الجزيرة العربية، في حين شكل مجرى نهر الفرات حدودها الشرقية.

سورية ليست نطاقاً متجانساً بل هي بالواقع زمرة من الواحات الشريطية، ومن سهول سهبية تنفصل عن بعضها بهضاب حصوية تتحول أحياناً إلى صحراء[6]. ويمكن أن نميز على سطحها عدة ظواهر جغرافية، فإلى الغرب من نهر الفرات

١- الحموي، المصدر السابق، ج٣، مادة شام، ص٣٥٤.

٢- الحموي، المصدر السابق، ج٣، مادة شام، ص٣٥٤.

٣- الحموي، المصدر السابق، ج٣، مادة شام، ص٣٥٥.

٤- بلاد الشام عبر التاريخ من كتاب الطريق إلى بيت المقدس، القضية الفلسطينية، بواسطة الإنترنت تاريخ /٢٠٠١/٩/١٣م/ ص١.

٥- الإصطخري، المصدر السابق، مادة أرض الشام، ص٤٣. ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٥٣.

٦- لومبارد(لويس): الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٧٩م، ص٣٩.

الذي يشكل الشريان الحيوي للمنطقة الشرقية، نجد أراضي بادية الشام الشاسعة التي تمثل جسراً يصل سورية مع بلاد الرافدين، ثم يلاحظ سلسلة السهول الممتدة من حلب شمالاً إلى دمشق فحوران والجولان جنوباً. يروي هذه السهول شريط المياه الذي يشكله نهر العاصي، وشبكة أنهار أخرى تتجمع في حوض العمق وتتجه غرباً، ونهر بردى الذي يتجه شرقاً. أما نهر الأردن الذي يتكون من مجموعة ينابيع تنبع من جبال لبنان الجنوبية وجبل الشيخ، ويرفده نهر اليرموك يشكل أهم مجرى مائي في غرب سورية. وتحاذي هذه السلسلة المائية سلسلة جبال تمتد من أقصى جبال الأمانوس. وسلسلة الجبال الساحلية الشمالية، إضافة إلى سلسلتي جبال لبنان اللتين تتصلان بجبال الجليل في فلسطين[1].

٢- الحملاتُ الفارسية على سوريةَ في النصفِ الأولِ من القرنِ السادسِ الميلاديِّ.

استأنف قباذ الأول الحرب مع البيزنطيين في بداية القرن السادس الميلادي. فهاجم حران والرها وسقطت آمد في يده سنة ٥٠٣م بعد أن دفعت ثمناً باهظاً لمقاومتها التي دامت ٩٧ سبعةً وتسعينَ يوماً. وحاول الإمبراطور أناستاسيوس الاتفاق مع قباذ الأول ولكن دون جدوى. كما حاول الفرس محاصرة مدينة الرها دون نتيجة، وانسحب قباذ بعد أن عبر عن نقمته بإنزال الدمار في القرى المجاورة. واسترجع البيزنطيون آمد في سنة (٥٠٤ – ٥٠٥م)، وانتهت العمليات الحربية بمعاهدة سنة ٥٠٦م[2].

كان قباذ قد قرر أن يربى ابنه كسرى أنوشروان عند الإمبراطور جوستين

١- فرزات(محمد حرب): تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة دمشق، ط٦، ١٩٩٥م، ص٩.

٢- فرعون(محمود): التنافس بين الفرس وبيزنطة، وثائق الآثار السورية، وقائع المؤتمر الدولي، دير الزور، ١٩٩٦م، تحريرميشيل مقدسي، مأمون عبد الكريم، عمر العظم، موسى ديب الخوري، إصدار وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢م. ص٨٥ – ص٨٦.

الأول، كما تربى الإمبراطور ثيودوسيوس البيزنطي[1] عند الملك يزدجرد الفارسي[2]. لكن جوستين الأول رد عليه رداً قاسياً فقال له: "لا مانع لديَّ من أن أتخذ كسرى ولداً شرط أن أربيه تربية تليق بالبرابرة"[3].

ثارت ثائرة قباذ إزاء ذلك، واستعد لحرب البيزنطيين لكنه انشغل في الدفاع عن حدود بلاده ضد موجة من الجموع الآسيوية التي انحدرت من جهات القفقاس. وفي عهده تمكنت القوات الفارسية من السيطرة على المناطق المتاخمة للبحر الأسود[4]، أما من جهة الغرب فقد تركزت العمليات الحربية العسكرية في الجهات الشمالية لبلاد الرافدين. فالحصون الفارسية في نصيبين[5] تقابل الحاميات البيزنطية في دارا. ولكن الحرب لم تقتصر على ذلك بل امتدت إلى مناطق أوسع وبرز بليزاريوس كقائد عسكري لقوات بيزنطة في الشرق عام٥٣٠[6]. وانتهت الحرب بعقد اتفاقية بين الدولتين.

١- ثيودوسيوس: هو ثيودوسيوس الثاني حكم الدولة البيزنطية بين عامي(٤٠٨- ٤٥٠م) ولم يكن من رجال السياسة ولم يهتم بالحكم لذلك كان إمبراطوراً ضعيفاً وقد نشأ تقياً ديناً محباً للعلم.رستم، الروم،ج١، ص١١٦.

٢- يزدجرد:هو يزدجرد الأول (الأثيم) ابن سابور الثالث، حكم الدولة الساسانية بين عامي (٣٩٩- ٤٢٠م) اتسمت علاقته بالدولة البيزنطية بالعداء، واستولى على منطقة بلاد النهرين والشام وأسية الصغرى. بيرنيا، المرجع السابق ، ص٢٤٢، ص٢٤٣.

3-Procopius , History Of The Wars. Vole 1- PP. 9-13.

اليوسف، المرجع السابق، ص٦٠ – ص٦١.

4-Ure (N) – Justinian and His Age – Middlesex-1951 – PP. 63-64..

٥- نصيبين، مدينة من مدن الجزيرة، على طريق القوافل من الموصل إلى الشام. الإصطخري، المصدر السابق، ص٥٢. الحموي، المصدر السابق، ج٥، مادة نصيبين، ص٣٣٣. القزويني،المصدر السابق، ص٤٦٧.

6-Bury – op. cit. – PP. 82 -85.

اتفاقيةُ ٥٣٢م بين الفرس والبيزنطيين.

في هذه المدة حاول قباذ الأول عقد صلح مع البيزنطيين في عام ٥٣١م، وفق الشروط التالية:

١- أن تكون دارا منزوعة السلاح وينقل منها حاكم إقليم بلاد النهرين إلى القسطنطينية.

٢- تعود قلعتا بولون **Bolon** وقلعة فارانجيون **Pharangion** إلى السيادة الفارسية وكذلك المناجم على الحدود في أرمينية الإيرانية.

٣- تقع مسؤولية حماية الممرات القفقاسية على عاتق الدولة الفارسية .

٤- يدفع البيزنطيون سنوياً أَحَدَ عَشَرَ ألفَ رطلٍ من الذهب لإيران.

٥- يسمح للاجئين من أهالي أيبيرية ممن يعيشون في القسطنطينية العودة لبلادهم أو البقاء في القسطنطينية وفقاً لرغبتهم، مع بقاء أيبيرية تحت السيادة الفارسية .

٦- تعود لازيكا إلى السيادة البيزنطية.

٧- تبادل الأسرى وعودة الحدود إلى ما كانت عليه قبل الحرب[1].

إلا أن جوستنيان لم ترق له شروط المعاهدة فرفضها، واستأنف الحرب والقتال، واستعان كل طرف بحلفائه فاستعان الفرس بالمنذر الذي هاجم سورية مستهدفاً أنطاكية. كما استعان البيزنطيون بالأحباش والغساسنة ضد الفارسيين[2]. وذلك للسيطرة على المنطقة الغربية والجنوبية من شبه الجزيرة العربية، وحصر امتداد النفوذ الفارسي في الجهة الشرقية للحفاظ على توازن القوى.

في هذه الحقبة كانت بيزنطة تخوض حروبها الاستردادية في إيطاليا، ولذلك استدعي بليزاريوس قائد قوات الشرق ليتولى قيادة الجيوش هناك. فاستغل الفرس

1-Procopius – History Of The Wars.–Vole 1-P. 219.
Bury – op. cit. –P.88.
2-Procopius – History Of The Wars.–Vole 1-P. 161- 179 -189.

ذلك وهاجموا أقصى الجهات الشمالية لبلاد النهرين، فحاصروا مدينة مرتيربوليس[1] **Martyrpolis**. غير أن العمليات الحربية الفارسية توقفت إثر وفاة قباذ وتولية ابنه كسرى أنوشروان العرش، فبدأت مفاوضات الصلح بين الطرفين انتهت بموافقة جوستنيان على شروط الفرس التي تضمنتها اتفاقية السلم الدائم عام ٥٣٣م[2].

. اتفاقيةُ السلم الدائم عام ٥٣٣م

أما شروط المعاهدة فهي على النحو التالي:

١- تدفع الإمبراطورية البيزنطية مبلغ ١٢ ألف رطلٍ من الذهب إلى دولة الفارسيين، وتقوم دولة الفرس بحفظ منطقة القفقاس.

٢- تبقى منطقة لازيكا كما كانت قبل الحرب مع قباذ ما للبيزنطيين للبيزنطيين، وما للساسانيين للساسانيين.

٣- تقع دارا تحت السيطرة البيزنطية ، ولكن يجب ألا تكون مركز حصانة وقوة.

٤- ستكون الدولتان متآزرتين[3].

١- مرتيربوليس هي مدينة ميافارقين، من أشهر مدن ديار بكر بين الجزيرة وأرمينية وقد سميت قديماً مارتيروبوليس أومدينة الشهداء لما جمع فيها من عظام المسيحيين. والظاهر أن ميافارقين تحريف لاسم ميفركت Maypharkath الآرامي، أوموفركن Moufargin الأرمني أما اليونان فسموها مرتيروبوليس Martyropolis. الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٣٥ – ص ٢٣٦. الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٧٨. بيغوليفسكيا(نينا فكتورفنا): العرب على حدود بيزنطة وإيران، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، قسم التراث العربي، الكويت، ص١١٤. ليسترنج، المرجع السابق، ص١٤٣.

Gibbon (E) – The Decline And Fall Of The Roman Empire – London – 1962, Vole, IV- P.302.

2-Procopius – History Of The Wars. –Vole 1- PP.205 - 225

3-Malcolm, op. cit. Vole 1 – P. 140.

رضائي، المرجع السابق،جلد هفتم، ص٥٥١. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦١٨.

إن من أهم الأسباب التي أدت لعقد هذه المعاهدة، ودفعت الطرفين للركون للسلم، تكمن في أوضاع إيران إذ أن الملك كسرى أنوشروان لم يكن عرشه في مأمن، فقد كانت ثورة المزدكيين تسود عامة البلاد، وتهدد عرشه وتنذره بضرورة القضاء عليها. أما جوستنيان فقد رغب بالصلح لأنه كان يحاول تهدئة الوضع في القسطنطينية الثائرة عليه، ويستعد لإرسال حملة باتجاه شمال إفريقيا ضد الوندال.

. تطورُ النزاعِ حتى عام ٥٦٢م.

ما أنِ استتبَّ الأمرُ لكسرى حتى عمل على فرض إرادته على جوستنيان الذي كان يعيد بناء إمبراطوريته، ويحلم أن يحقق وحدتها، الأمر الذي تخوف منه كسرى أنوشروان فقام باستهداف المدن القريبة من الحدود الفارسية . وذلك من خلال تحصيل فدية كبيرة عن كل مدينة تحاصرها قواته، أما المدن التي كانت تقاومه فكان نصيبها التدمير، ولم يكن هدفه مجرد السيطرة على المدن والضغط على الإمبراطور جوستنيان، بل كان يسعى للسيطرة واحتلال المنطقة القفقاسية، وطرد االبيزنطيين منها، وأكثر من ذلك كان يطمح لاحتلال شواطئ البحر الأسود تمهيداً للوصول إلى عاصمة البيزنطيين نفسها. لذلك عندما بعث جوستنيان مبعوثه الخاص لتهدئة الأحوال، احتجزه كسرى لمدة عام كامل حيث استولى على كل الأموال التي كانت في مدينة سورا، ثم طرده ليخبر إمبراطوره بما حدث. وربما كانت هذه إشارة من الملك الفارسي، تعني بدء الحرب مع البيزنطيين .[1]

يعتقد هنا أنَّ الملكَ الفارسي ما كان ليتركَ إمبراطور البيزنطيين يفعل ما يشاء خلال الهدنة السلمية، لأنه يعرف تماماً أنَّ البيزنطيين لن يدفعوا الذهب البيزنطي هباءً للساسانيين، إنما كان ذلك مجرد حل مؤقت لتصفية المشكلات في الغرب، ثم الالتفات للشرق لتأديب الفارسيين. ولذلك قرر الملك الفارسي أن يحرم

1-Dawney (G) – The Persian Campaign In Syria In 540 A .D – Speculum – 1953.. – P. 340.

البيـزنطيين مـن هـذه الفرصـة ، وأن يبـادر هـو بـالحرب ويضـرب القـوة البيزنطيـة الناهضـة قبل أن تصبح قـوة عظمـى يصعب السيطرة عليهـا ، وتـأتي علـى اسـتقرار دولتـه وتقض مضجعها. بل يعتقد أكثـر مـن ذلـك فمجـرد النصـر البيزنطـي في أي منطقة من المناطق سواء قـرب حـدود دولـة الفـرس أو بعيـداً عنهـا ، كـان يشـكل لـه ضغطاً يقض مضجعه ويدفعه لتذكير بيزنطـة أنـه لازال موجـوداً وقـادراً علـى إحـراز النصر عليها وتحطيم قوتها.

وتجرأ كسرى أكثر من ذلك وطالب مدينة سـرجيوبوليس[1] بإتـاوةٍ كـبيرةٍ. في هذه المرحلة كـان بليزاريوس منشـغلاً في الحـرب بإيطاليـا ، ولا يوجـد أحـد يتصـدى لجحافل العسـكر الفارسـي الـذين اسـتغلوا فرصـة الفـراغ العسـكري البيزنطـي في سورية[2] ، وتابع اسـتيلاءه علـى المـدن السـورية فوصـل منـبج[3] وفـرض عليهـا الإتـاوة ، ولكنه لم يتعرض لها بخراب أو دمار ثم تابع نحو حلب الـتي حافظـت علـى سـلامتها أيضـاً[4] ، في حـين صـبَّ جـام غضـبه علـى أنطاكيـة فـدمرها وأحرقهـا وأسـر سكانها[5].

ما يثير التسـاؤل هـو أيـن كـان الإمبراطـور البيزنطـي إزاء كـل هـذه الحـوادث ، وكل هذا التعدي الفارسي على حدود بلاده ؟!!. أمن المعقول خلـو سـورية مـن الجنـد البيزنطي ، أم أن المصادر أغفلت الحديث عن النـزاع بـين الطـرفين وانشـغلوا بتغطيـة أحداث أخرى ؟!!.

١- سرجيوبوليس هي مدينة الرصافة الحالية، مدينة قرب الرقة.

القزويني، المصدر السابق، مادة الرصافة، ص١٩٨ . بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١١٨.

2-Ure – op. cit. – P.70. Bury – op. cit.- P.95.

3-Ure – op. cit.- P .69. Procopius – History Of The Wars. –Vole 2 – P. 203.

منبج: اسمها القديم هيرابوليس نسبة للآلهة هيرا، تقع شمال سورية الحالية. الحموي، المصدر السابق، ج٥، مادة منبج، ص ٢٣٧ — ص٢٣٨ . القزويني،المصدر السابق، ص٢٧٤ .

٤-2 – PP.315 - 325. Procopius – History Of The Wars. –Vole .

٥-2 –P.313 Procopius – History Of The Wars. –Vole.

Dawney –The Persian Compaign In Syria In 540 – PP. 341- 343 .

6-2 –PP. 391 – 399. –Procopius – History Of The Wars –Vole .

أين الشعب الذي يعيش في سورية، وأين نشاطه في الدفاع عن بلاده؟!!.

لا يمكن الإجابة على أيٍّ من هذه التساؤلات، فقط أطلقتُها علَّها يوماً ما تجدُ إجابةً أوحلاً منطقياً. لكن يمكن أن تستقرئ بعض الأسباب والتعاليل لمثل هذه الأحداث من خلال المصادر والمراجع. لم تكن البلاد خالية من السكان، ولكن ماذا يفعل السكان أمام جيش منظم ومسلح بأسلحة متطورة في ذلك الوقت؟!!. كذلك معظم السكان من الفلاحين، ومن أين لهم أسلحة أو وقت يتدربون فيه عليها؟!!. ويجب ألاَّ نغفل نقطة مهمة هنا هي اشتراك أبناء هذا الشعب في العمليات الحربية البيزنطية، على اعتبارهم من مواطني الإمبراطورية البيزنطية. هذا يعني أنَّ البلادَ بالفعل إن لم تكن خالية من محاربيها، بل كانوا قلَّةً لا يشكلونَ عائقاً أمام جيش الفارسيين. أما الإمبراطورُ البيزنطيُّ فقد كان يعد العدة لهجومٍ شاملٍ وواسعٍ ومنظمٍ ضدَّ إيرانَ، ولأنه توجب عليه ضمان هدوء باقي نواحي دولته تمكن الفرس من الاعتداء عليه.

أثارتْ أوضاعُ سوريةَ المضطربةُ الإمبراطورَ البيزنطيَّ جوستنيان. فقرر معالجةَ الأمرِ بالسرعة الممكنة، فاستدعى قائده بليزاريوس من إيطاليا، وكلفه بقيادة قوات الشرق التي غدت ترتعش عندما تسمع بقدوم الجيش الفارسي. نظم بليزاريوس قواته واستغل فرصة محاولة كسرى أنوشروان السيطرة على إقليم لازيكا، فاتجه إلى دارا وغزا الأراضي الفارسية ، وألحق بها الخسائر والتدمير ثم عاد جامعاً غنائمه حيث استدعاه الإمبراطور إلى القسطنطينية[1].

كانت غارة بليزاريوس ردة بالمثل على الأعمال التي قام بها كسرى أنوشروان، فقد أثبت له أنَّ البيزنطيين قادرونَ على فعل ما يفعله، وقادرونَ أن يلحقوا الضَّررَ ببلادِهِ إنْ أرادوا ذلك.

استاء كسرى أنوشروان من أعمال بليزاريوس، وعلى عجل ترك حامية إيرانية في لازيكا وعاد نحو بلاده. فاصطدم مع البيزنطيين في أرمينية الإيرانية وانتصر

١-2 –P. 489 Procopius – History Of The Wars . –Vole.

عليهم سنة ٥٤٣م. لكنه فشل في احتلال الرها[1] واكتفى بأخذ الإتاوة منها عام٥٤٤م. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يهاجم بها الرها فقد هاجمها في عام ٥٤٠م ولم يتمكن من احتلالها ، وفي هذا العام ٥٤٤م جاء واضعاً نصب عينيه احتلالها وتدميرها وتهجير سكانها ، لكنها خذلته واضطر لفك حصارها مقابل المال[2].

هكذا سيطر الفرس على الموقف أمام انشغال البيزنطيين على الجبهات الأخرى. فاضطروا لشراء السلام بالذهب، واتفقوا على دفع ألفي رطلٍ من الذهب مقابل هدنة لخمس سنوات تبدأ في عام ٥٤٥م[3].

جددت الهدنة في عام ٥٥١م، ودفع البيزنطيون للساسانيين ألفين وستمائة رطل من الذهب[4]. وبذلك يكون البيزنطيون قد دفعوا للساسانيين خلال عشر سنوات عشرة آلاف وستمائة رطل من الذهب. والمفاجئ بالأمر هو أن الفرس هذه المرة طالبوا بتجديدها دون شروط جديدة، أو تحديد لزمنها فكان لهم ذلك. وأعقب هذا كله التوقيع على معاهدة للسلم ولمدة خمسين عاماً في عام ٥٦٢م[5].

ويتساءل المرء عن سبب جنوح الطرفين للسلم في تلك الفترة. فيجد جواباً مقنعاً لتساؤله في الوضع الخارجي لكلتا الدولتين، فالفرس أرادوا الهدوء على حدودهم الغربية لأنهم وصلوا لمرحلة الإنهاك، بالإضافة لظهور خطر خارجي تمثل في ظهور قبائل الهون على حدودهم ورغبتهم في التصدي لهم. أما البيزنطيون فقد كانوا مشغولين في أماكن أخرى، ووصلوا لمرحلة الإقتناع أنهم لن يتمكنوا من التغلب على الفارسيين، ولن يستطيعوا أن يتخلصوا من خطرهم دون اتفاق سلام. لذلك قرر

١- 2 –P.489. Procopius – History Of The Wars. –Vole .
Bury – op. cit.- PP. 110 - 111.

٢-2 – P.517. Procopius – History Of The Wars. –Vole .

٣- Bury – op. cit.-P. 117.

٤-Agathias, Historiarum, ed Dindof In (C.S.H.B), Bonn , 1828, PP. 273 -276.
Bury – op. cit.-PP. 121 - 122.

الطرفان التوقيع على معاهدة ٥٦٢م[1].

. اتفاقيةُ ٥٦٢م للسلام بين الفرس والبيزنطيين.

١- لا يسمح الفرس لقبائل الهون **Huns** والآلان **Alans** أوغيرهم من القبائل المتبربرة بالوصول إلى الأراضي البيزنطية عبر الممرات القفقاسية، ولن يرسل البيزنطيون الجيوش إلى تلك الجهات، أو إلى أية جهة أخرى من الأراضي الفارسية .

٢- على العرب الموالين لكل من الفرس والبيزنطيين الالتزام بنصوص المعاهدة. فيجب ألا يحمل العرب الموالون للساسانيين (عرب الحيرة) السلاح ضد البيزنطيين. وأن يمتنع العرب الموالون للبيزنطيين (عرب الغساسنة) عن حمل السلاح ضد الفارسيين.

٣- على التجار البيزنطيين والفرس المرور عبر المناطق الجمركية المحددة مهما كان نوع البضائع التي معهم.

٤- يجب تكريم السفراء والموظفين الذين يستخدمون خيول البريد سواء كانوا من الفرس أو البيزنطيين، كل حسب مكانته الرسمية، وحسب المناسبات وأن ينالوا ما يستحقونه من الإهتمام والعناية، وأن يودَّعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم دون إبطاء. مع إعفاء ما يحملونه من سلع من الرسوم الجمركية.

٥- يجب أن يمتنع التجار العرب التابعون لكل من الدولتين عن السفر في طريق غير معروفة تجنباً لدفع الرسوم، وعلى كل هؤلاء الذين يتاجرون بين الدولتين اتباع طريق نصيبين ودارا، وعليهم عدم دخول الأراضي الفارسية أو البيزنطية إلا بتصريحات خاصة، وإن المخالفين لذلك سوف يلقى القبض عليهم من قبل موظفي الحدود ويسلمون للسلطات لينالوا العقاب.

٦- إن الهاربين من الخدمة العسكرية أثناء الحرب سواء كانوا من الفرس أمْ من البيزنطيين يجب عدم منعهم من العودة لأوطانهم إذا رغبوا بذلك، أما أولئك

1-Bury – op. cit.-P. 130.

الذين يفرون أثناء السلم فيجب عدم قبولهم بل ويجب تسليمهم بكل الوسائل الممكنة، ولو على عكس إرادتهم إلى الجهة التي فروا منها.

٧- يجب الإمتناعُ عن إقامة أو تقوية أسوار المدن، حتى لا يكون ذلك ذريعة لتجديد أي منازعات قد تطيح بمعاهدة السلام.

٨- على الشعوب التابعة لكل أمة ألا تهاجم أو تشن حرباً ضد شعوب تابعة للطرف الأخر، حتى ينعم الجميع بالسلام.

٩- يجب عدمُ إقامةِ حاميةٍ في دارا، ويُكْتَفَى بوضعِ قوةٍ في حدود المعقول لحماية المدينة، ويجب ألا يجعلَ قائدُ قواتِ الشرقِ البيزنطيِّ من دارا قاعدةً له، وعلى حاكم دارا منع الغارات على الحدود الفارسية ، والمحافظةِ على مصالحِ الرعايا الفارسيين، وإذا ما حدث مثل ذلك فالمسؤولية تقع على عاتق حاكم دارا.

١٠- إذا قام أشخاصٌ غيرُ مسؤولينَ بالاعتداء على الحدود من أجل السرقة، فيجب على ضباط الحدود من الجانبين القيام بتحقيق شامل. وإذا استعصى الأمر على هؤلاء فيجب إحالة الموضوع إلى قائد قوات الشرق، فإن لم يحل المشكلة في مدة ستة أشهر يجب تعويض المتضرر بمقدار ما يعادل ضعف أضراره، وأن الطرف الذي يقع عليه الاعتداء يجب عليه أن يتصل بحاكم الدولة الأخرى، فإن لم يتم الضمان الكافي أو التعويض المضاعف خلال سنة فإن السلام يعتبر لاغياً.

١١- مدة المعاهدة خمسون عاماً ونصوصها جميعاً سارية المفعول لمدة خمسين عاماً.

١٢- إن الله مع من ينشد السلام، وهو على كل من يحاول تغيير العهود[1].

إن مجرد التوقيع على اتفاق السلام هذا يدل على مدى تطور الحس السياسي لدى الطرفين، وإدراكهما أنه آن الأوان لوضع السلاحِ بعد أن أثبت الطرفان

1- Agathias - op. cit.PP. 273 -276. Bury – op. cit.-PP 121 – 122.

. Ure – op. cit.- PP. 97 – 99.

رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص٥٦٥. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص ٦٢٣.الشاعر، المرجع السابق، ص٢٥٧ – ص٢٥٩. اليوسف، المرجع السابق، ص ٦٤ – ص ٦٦.

مقدرتهما العسكرية، وفشلهما في انتصار أحد الطرفين على الآخر، أما شروطها فهي معقولة ومقبولة ولا تؤثر على مكانة أيٍّ منهما، أو على وضعه السياسي فكلاهما وقعا على سلامٍ مشرِّفٍ ذي شروطٍ عادلةٍ حفظتْ لكليهما الهيبة والسمعة الحسنة.

وقد عُقِدَتْ هذه الاتفاقيةُ لتكونَ رمزَ سلام يسودُ النصفَ الثانيَ من القرنِ السادسِ. ويبدو أن السكان في كلا البلدين هللوا للاتفاق الذي سيعمل على تحسين أوضاعهم، ويحفظ أبناءهم من الموت على جبهات الحرب. ولم يعلمْ أحدٌ عندها أنَّ هذا الاتفاق سيكون مرحلةً مؤقتةً لشنِّ المزيد من الحروب، التي كانت مثالاً يثبتُ قدرةَ وقوةَ الحكامِ الذين لم يأبهوا بصرخاتِ الأُمَّهاتِ أو الأخواتِ أو حتى الإنسانيةِ. كان جلُّ ما يريدونه المالَ والسلطةَ والعظمةَ مهما كان ثمنُها، وهذا ما سيثبته حديثُنا عن الصراعِ الفارسي البيزنطيِّ في النصفِ الثاني من القرنِ السادسِ.

٣ً. الحملاتُ الفارسيةُ على سوريةَ في النصفِ الثاني من القرنِ السادسِ الميلاديِّ.

لم يلتزمْ أباطرةُ بيزنطةَ باتفاقيةِ عام ٥٦٢م للسلام، فعاد الجوُّ الملبَّدُ بغيومِ الحربِ والدمارِ، وفي هذه الحقبةِ كان جوستنيانُ قد ماتَ وأصبح جوستينُ الثاني إمبراطوراً على بيزنطةَ التي كانت في تلك المدة بحاجة إلى إمبراطورٍ مُحَنَّكٍ سياسياً، ليتمكن من حفظِ السلامِ والأمنِ والوحدةِ التي حققها جوستنيانُ لبيزنطة. ولكن دون جدوى، فلم يكن إمبراطورُ بيزنطةَ على قدرةٍ سياسيةٍ كافيةٍ مما أدى لتجدُّدِ النزاعِ والحربِ بين الطرفين.

. الحصارُ البيزنطيُّ لمدينةِ نُصَيْبينَ.

توجَّهَ موريسُ أحدُ قادةِ الجندِ الذين أُرسلوا للشرق مع جيشه إلى مدينة نصيبين وعسكر عندها، كانت نصيبينُ في هذه المدة خاضعةً للساسانيين فحاصرها

موريسُ تمهيداً للاستيلاء عليها[1] ، وأقام حاجزاً من القضبانِ كمتاريسَ حولها ، ونَصَبَ المجانيقَ العاليةَ والأبراجَ الضخمةَ عليها ، وبدأتِ المدينةُ تضيقُ بالحصارِ وخافَ أهلُها والحاميةُ الفارسيةُ التي بداخلها على حياتهم، إذ أدركوا أن البيزنطيين سرعان ما سيحتلون المدينة ، وبينما كان الذين بداخل المدينة مذعورين كان الذين في خارجها مستعدين للاستيلاء عليها وتخريبها.

وما أنِ استعدَّ البيزنطيون وهموا بدخولِ المدينةِ، وإذ بالقائدِ أقاقيوس أرخلاون الذي أرسلهُ الإمبراطورُ جوستينُ الثاني لموريسَ. وصل فجأةً لكي يسلبَ موريسَ سلطَتَهُ ويجرِّدَهُ من منصبه ويبْعدَهُ عن قيادةِ الجيوشِ في المنطقةِ الشرقيةِ. كان موريسُ وجنده يقاتلون ويستعدون لدخول نصيبين، ولكن ما إنْ أعربَ أقاقيوسُ عمَّا يحملُه من أوامرَ ملكيةٍ حتى اضطربَ الجندُ ووهنتْ عزائمُهم وضعفَ بأسُهم[2].

علمَ موريسُ بالأمرِ فطلبَ من أقاقيوسَ أن يمهلَهُ يومينِ فقط ثم ينفذَ ما أُمرَ بهِ. وذلك لأنَّ موريسَ مستعدٌ لدخول نُصيبين التي أنهكها الحصارُ. ولم يكن راغباً أن تذهبَ جهودُهُ وجهودُ جندِهِ هباءً.

أغضبَ طلبُ موريسَ مبعوثَ الإمبراطورِ الذي وبخّه أمامَ الجنودِ وجرَّدَهُ من رُتَبهِ العسكريةِ، مما أثَّرَ على معنوياتِ الجندِ فانسحبوا بعيداً عن المدينةِ، فقد صاروا مبعثاً للسخريةِ والاستهزاء من أعدائهم، فبدلاً من أن يدخلوا المدينةَ تركوا حصارَها. وتعجَّبَ جنودُ الفرس من ارتدادِ البيزنطيينِ الفجائيِّ وسقوطِ رايتهم فشجع بعضُهم بعضاً وتسلحوا وتعقبوا البيزنطيين، فانقضوا على جنود المشاة في مؤخرةِ الجيش فقهروهم وأصابوا منهم أرهاطاً كثيرةً.

عادَ الفرس لمدينتهم وكتبوا لملكهم كسرى أنوشروان وأخبروه بما حدث

١- كان سبب القتال في نصيبين عدم التزام جوستين الثاني باتفاق السلام لعام ٥٦٢م.

Cambridge Medieval History .Ed. Jaon. M. Hussey Cambridge 1966-1967. P.270.

Jones op. cit.– Vole 1 – P.306.

٢- الآسيوي المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٨٩.

قـائلين: ((أَدرِكْنـا لكـي نعـبرَ إلى أراضـي الرومـان، لأن آلهـة الشـمس[1] والنـار صرعتهم. وهكذا انقلبوا على بعضهم البعض بسبب أمر ملكهم، وطردوا موريس بسخرية، وهربوا جميعاً بعيداً عن مدينتنا))[2]. وكان سبب غضب الملك جوستين على موريس هو عدم امتثاله لطلب إمبراطوره بقتل المنذر بن الحارث ملك الغساسنة[3].

يُعتقدُ أنَّ إرسال أقاقيوس أرخلاون هو تصرف سياسي غير مدرك العواقب، قام به إمبراطور بيزنطة أثبت به أنه بعيدٌ جداً عن السياسة، كما أثبت عدم مقدرته على معالجة الأمور بطريقة منطقية، ووقوفه عند أمور صغيرة يجب ألا يحسب لها حساب. فما الذي يضر به إن تمكن قائده موريس من احتلال نصيبين؟!!. وما دام غيرَ راضٍ عن موريس وغاضباً عليه، لماذا يكلفه بمهمة كتلك؟!!. يُعتقد أنَّ الإمبراطورَ كان أُلعوبةً بيدِ حاشيتِهِ الذين وَشَوْا بموريسَ ودفعوا الإمبراطور لمثلِ ذلك التصرف السيء.

ولكن الأكثرَ سوءاً هو تصرف أقاقيوس أرخلاون الذي لم تعنِه هيبة دولته، ولا حتى الانتصارات التي ترفع وتزيد من قوتها سواء هو حققها أم غيره من القوّاد. لقد كان أقصر نظراً في الأمور السياسية من إمبراطوره، ربما لو أنه أخذ برأي موريسَ وسمح له بيومين لكان ميزانُ القُوى انقلب لصالح دولتهم، ولتابع هو بقيةَ الانتصاراتِ على الجبهةِ الشرقيةِ. كما كان حظي بثقةٍ عمياءَ من الجنودِ الذين سيجدون فيه القائدَ السياسيَّ والعسكريَّ الناجحَ.

١- المقصود بآلهة الشمس مثرا، وقد ظهرت عبادته في إيران في القرن الثاني للميلاد، وانتشرت عبادته في الغرب الروماني. كريسنتسن، المرجع السابق، ص١٣٣.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٠.

٣- رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص ٥٥٩ .العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٤.

. استيلاءُ الفرس على دارا[1] ٥٧٢م.

علم كسرى أنوشروان بهروبِ جيشِ موريسَ عن نُصيبين، فما كان منه إلا أن توجه إليها بجيوشه[2]، فلما بلغها وجد آلاتِ الحصارِ التي أقامها موريسُ فاستولى عليها وتوجه إلى دارا وأقام على مقربة منها وحاصرها لمدة ستة أشهر متواصلة[3].

ولكنه أدرك أنه لن يستطيع دخول المدينة بالرغم من حصارها، فأرسل لقادتها داعياً إياهم للتفاوض والصلح، وتفاوضوا في أمورٍ كثيرةٍ، فطلب كسرى أنوشروان مبلغ خمسة قناطير من الذهب إتاوة عن المدينة[4]. لم يستجب أهل المدينة لطلب كسرى أنوشروان الذي امتلأ غيظاً أمام ظن أهل المدينة أنه لا يستطيع احتلالها، فعاد لحصارها فاستخفَّ به البيزنطيون وأهملوا القتال على السور، خاصة وأن البرد كان شديداً قارصاً فنزل حراس السور تاركين مواقعهم، فوجد الفرس أن السور قد خلا تماماً من جند البيزنطيين فتسلقوا الأسوار ونزلوا إلى المدينة، وانطلقت صيحة واحدة أن المدينة قد احتلت.

كان جند الفرس أكثر عدة وعدداً من جند البيزنطيين الذين ارتجفوا واضطربوا وهرولوا صوب أبواب المدينة لكي يفروا من الفارسيين. وعندما رأى

١- دارا، بلدة على جانب نهر الزاب بين نصيبين وماردين. الاصطخري، المصدر السابق، ص٥٣. البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٢+ الحاشية رقم ٣. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة دارا، ص٤٧٧.

٢- في عهد الإمبراطور جوستين الثاني حان وقت دفع إتاوة لعشر سنوات جديدة في عام ٥٧٢م إذ كان جوستنيان قد سدد عن عشر سنوات قبلاً، فرفض جوستين الثاني ذلك وطالب بوضع الأرمن المسيحيين التابعين للإيرانيين تحت حمايته، وهدد كسرى بأنه لو تعرض للأرمن فإنه سوف يعين ملكاً جديداً على إيران.

Jones- op. cit.-Vole 1 – P.305.

٣- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠.

٤- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٤.الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦١١.

الفرس كثرةَ عددهم وهم يفرون تخوفوا منهم، وتركوهم يفرون ويهربون دون عقبات.

أغلقَ قادةُ الجيشِ البيزنطيُّ أبوابَ المدينةِ ليدفعوا الجنود للقتال فتشجعَ الجنودُ واستجمعوا قواهم وعادوا لقتال الفارسيين، دار القتال وسط المدينة واستمر لسبعةِ أيامٍ أدرك الفرس خلالها أنهم لن يستطيعوا أن يسيطروا على المدينة، ففكروا في استخدام الحيلة والخداع عن طريق الجنوح للسلم الذي رضي به البيزنطيون بدون تردد أو خوف، فتركوا القتال ليتبينوا نتيجة مفاوضات السلم[1]. فبدأ الفرس بنهب المدينة وقبضوا على البيزنطيين، فقتلوا معظمهم وشدوا وثاق بقيتهم وساقوهم إلى ملكهم، الذي أمر جنوده أن يأتوا إليه بكل من يملك ذهباً، هكذا جمع الملك ذهباً كثيراً ثم نهب المدينة وسبى أهلها وترك حامية من جنده وعاد لبلاده[2].

. استيلاءُ الفرس على مدينةِ أفاميا ٥٧٣م.

بينما كان كسرى أنوشروان في مدينة دارا ولم يجد من يقاومه فيها، أرسل جيشاً إلى مدينة أفاميا بقيادة المرزبان آذرمهان، الذي استولى في طريقه على الحصون البيزنطية، وهدم القرى وأحرقها، ثم توجه نحو أفاميا ومنح سكانها عهداً بالسلامة من كسرى أنوشروان، ففتحوا له أبوابها ودخلها فأعجبه الملعب الروماني فيها ولذلك لم يهدم أو يحرق منها شيئاً. فوثق أهل أفاميا به واعتقدوا أنه لا يبغي بهم سوءًا. فخرج إليه عظماء المدينة وأسقفها وقدموا إليه آياتِ الاحترامِ. أما هو فقد أضمر الخداع وما إنْ دخلها حتى سيطر جنوده على أبوابها وأسوارها، وقبضوا على الرجال والنساء ونهبوا المدينة، وأحرقوها، ثم أخذوا السبايا والغنائم وتوجهوا إلى ملكهم كسرى أنوشروان في دارا. وعادوا جميعاً إلى إيران ثم عقدوا

١- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٦. مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠١.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٥. دانش بزوه، المصدر السابق، ص٣٢٥. Malcolm - op. cit.– Vole 1 – P.141. العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٤.
Vasiliev, History of The Byzantine Empire, Vole 1, P.170.

اتفاقاً مع بيزنطة لمدة ثلاث سنوات أخذ خلالها الفرس ثلاثةَ قناطيرَ من الذهب[1].

السؤالُ المطروحُ الآنَ هو كيف يثق سكان أفاميا بعدوهم؟!!.ألم تساورهم الشكوك أنهم لم يأتوا من بلادهم ليضمنوا لهم سلامة مدينتهم؟!!. ألم يسأل وجهاء المدينة أنفسهم ماذا يريد الفرس من المدينة؟!!. وهل سبق لهم أن ضمنوا سلامة مدينة اجتاحوها أو حاصروها؟!!.

ربما كان لعاملِ الثقةِ هذا أسبابٌ أخرى نجهلها، ولكنَّ الأحداثَ التاليةَ ستبرهنُ أنَّ الفرس لم يأتوا إلى المدينة إلا لخرابها، ودمارها، ونهبها وسلبها، وستبينُ أنه كان الأجدر بسكان المدينة أن يتخذوا بعضَ الإجراءاتِ الوقائيةَ التي تضمن لهم على الأقلِّ السلامةَ الجسديةَ، والحريةَ الشخصيةَ. خاصةً وأنهم يعرفون أنَّ إمبراطوريتهم مشغولةٌ في الدفاع عن نفسها على جبهاتٍ مختلفةٍ غيرِ جبهةِ إيران.

لا يُعرفْ السببَ الذي دفع الفرس لقبول الصلح مع البيزنطيين، الذين قبلوا أن يدفعوا المالَ للساسانيين لكي يضمنوا سلامة حدودهم الشرقية. كما لا يُعرفْ لماذا جنح الفرس للسلم في وقتٍ بدا فيه أن النصرَ حليفُهُم في سوريةَ، في وقتٍ انشغلتْ فيه بيزنطةُ بنواحٍ أخرى. أضف لذلك، ألم يكن حلم الفرس الوصول للبحر المتوسط وإعادة بناء الإمبراطورية الأخمينية العظيمة؟!!. لقد كانت الفرصةُ سانحةً لهم في سوريةَ ذاتِ المقاومةِ الضعيفةِ، والتي تعرَّضَتْ لنهبهم أكثرَ من مرةٍ، هذا يعني أنها لن تقاومهم. ثم لماذا كانوا يدمرونَ المدنَ وينسحبونَ منها؟!!. لماذا لم يحتلوها؟!!.

لم يُدركْ النهج السياسيّ الذي اتبعه كسرى أنوشروان آنذاك، كما لم يتوصل لغايته من مثل هذه الأعمال التي امتازت بالغزوِ السريعِ، والنهبِ، فالانسحابِ. نستطيعُ أن نُخَمِّنَ أنَّ كسرى أنوشروان تعلَّمَ درساً من إمبراطورِ

١- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص٩٦- ص٩٧. دانش بزوة، المصدر السابق، ص٣٢٥. سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦٢٧ –ص ٦٢٨.

Historian – History Of The World – Edited By Henry Smith - Williams L. L. D Logos Press- New Delhi – First Published 1907 – reprinted In India 1987 vole II, P.143.

بيزنطةَ جوستنيانَ، الذي ترك لخليفتِهِ إمبراطوريةً كبيرةً مُنْهكةً دفعتْ بالأعداءِ للاعتداءِ عليها وسلبها أراضيها، ففضَّلَ أن يترك إمبراطوريةً محافظةً على حدودِها، وقوّيةً وخزينتُها مملوءةٌ بالذهبِ البيزنطيِّ، على أن يترك إمبراطوريةً غيرَ متجانسةِ السكانِ، وكبيرةِ المساحةِ، وضعيفةِ الاقتصادِ خاصةً أنه غدا عجوزاً غيرَ قادرٍ على قيادةِ الجيوشِ لإخمادِ الثوراتِ إذا اضطره الأمرُ. أو أنه كان يريد أن يحتل مناطق أخرى أكثرَ نفعاً من سورية قربَ أرمينيةَ والبحرِ الأسودِ.

. حرقُ ملطيةَ.

عندما فشل كسرى أنوشروان في أرمينية وقبادوقية، دخل ملطية وأمر جنوده بحرقها ثم تركها. وبينما كان يهم لعبور نهر الفرات عائداً إلى بلاده، وصلته رسالة من قادة البيزنطيين، يسألونه فيها عن سبب حرق المدينة، وعن سبب فعلته هذه التي تشبه عمل اللصوص.

عندما سمع كسرى أنوشروان هذا الكلام أمر بالقتال في اليوم التالي، فاصطف الفريقان في صفوف تواجه بعضها البعض من الصباح حتى المساء ولم يتحرك أحد منهم من مكانه، وانتظر الجيشان من يبدأ منهما بالقتال، ولكن دون جدوى، وفي النهاية أرسل ملك الفرس لجنوده أنه لن تكون اليوم حرباً فقد مر الوقت، فابتعد الفريقان وأثناء الليل وقبل بزوغ الفجر كان ملك الفرس وجيشه قد وصلوا لنهر الفرات، وحاولوا الإسراع بعبور النهر الذي يبعد ستة أميال عن ملطية، فأسرع البيزنطيون في أثرهم فحصروهم على شاطئ النهر، عندها اضطر عناصر الجيش الفارسي أن يلقوا بأنفسهم في النهر فغرق ما يزيد عن نصف الجيش؛ في حين سبح الملك وبقية الجيش بخيولهم وفروا بأعجوبة. هكذا عاد ملك إيران إلى بلاده منهكاً متعباً مضطرباً، وأمر بإصدار قانون بألا يخرج ملك للحرب إلا إذا كان خارجاً لقتال ملك آخر[1].

١- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص ٩٩ – ص ١٠٠. مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٧.

Historian – op. cit.-PP.134 - 144.

لا يوجد سببٌ وجيهٌ لهروب كسرى أنوشروان من ساحة المعركة. فلو اعتقد أنَّ الجندَ الذين معه غيرُ كافينَ للقتال، ما كان ليعود لمحاربة البيزنطيين بجندٍ قلائلَ، ثم من أين جاء جند البيزنطيين إلى المنطقة ما داموا مشغولين على جبهاتٍ أخرى؟!!. وهل كانت حاميةُ ملطيةَ أو ما يجاورها (على اعتبار أنَّ الفرس قَضَوْا على حاميةِ ملطية) قادرينَ على الوقوف في وجهِ الملكِ الفارسي وجيشِهِ الجرارِ؟!!. ثم ما هذا العددُ الكبيرُ للجيشِ البيزنطيِّ الذي دفعَ بالجندِ الفارسي لإلقاءِ نفسِهِ في النهرِ؟!!.

إنَّ سكوتَ المصادرِ العربية والإيرانية والدراسات الحديثة عن ذكر هذه الحادثة، تشكك في صِحَّتِها وتدلُّ على أنها مبالغةٌ من المؤرخينَ الرومِ. صحيحٌ أنَّ الحادثة قد وقعت لأنه لا يمكن عرض تفاصيلَ بهذِهِ الدِّقةِ من لا شيئ، ولكن ليس بهذه المبالغةِ أو النتائجِ. ثم كيفَ لملك دخل سوريةَ ونهبَ معظمَ مدنِها دونَ أن يتمكنَ أحدٌ من الوقوفِ في وجهِهِ؛ تهزمُهُ فئةُ جندٍ تقفُ عند حدودِ ملطيةَ؟!!. يُجهلُ العاملُ الأساسيُّ الذي دفعَ كسرى أنوشروان لسحبِ جيشِهِ بهذه الصورةِ، إنْ صدق يوحنا الأفسوسي بما أوردَهُ في كتابه تاريخ الكنيسة[1] الذي سبق ذكره.

. مفاوضاتُ الفرس والبيزنطيين على الحدودِ ٥٧٦م.

توجه ثلاثةٌ من أعضاءِ مجلسِ الشيوخ البيزنطي في عام ٥٧٦م برسالةٍ إلى الحدود مع إيرانَ، كما جاء رُسُلُ الفارسيين. وجلسَ الوفدانِ بالقربِ من دارا التي سيطر عليها الفرس، لكي يتفاوضا فيما حَدَثَ بين المملكتين من منازعاتٍ. وهاجم كُلُّ فريقٍ الآخرَ على تجاوز اللياقةِ في بعض الموضوعاتِ، وعلى نقضِ الصلحِ واختراقِ الحدودِ. وبعد مرورِ سنةٍ كاملةٍ على المفاوضاتِ. كان كلُّ فريق خلالها، يُعْلِمُ ملكَهُ بسيرِ المفاوضاتِ، كان كلا الطرفين يرغبان بالسلام،

١- ذكر يوحنا الآسيوي تفاصيل دقيقة حول هروب الملك الإيراني بجنده وتسلقه الجبال فزعاً من الجند البيزنطي.

الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص ٩٩ وما بعد.

ولكنْ كانا يُظهرانِ قُوَّتَهما لئلا يخضعَ أحدُهما للآخر ويستجيبَ لشروطِهِ.

أرسلَ الإمبراطورُ البيزنطيُّ لكسرى أنوشروان يخبرُهُ بأنه يريد السلامَ أكثرَ من الحربِ، وإذا أرادَ الفرس سلاماً لن ترفضَهُ بيزنطةُ، وأما إذا أراد حرباً فلن تضعفَ بيزنطةُ أمامَهُ. أما ملكُ الفرس فقد اعتقدَ أنه سيحصلُ على المزيدِ من قناطيرِ الذهبِ البيزنطيِّ عن كُلِّ سنةٍ إذا أبرمَ سلاماً مع البيزنطيين. لكنَّ إمبراطورَ البيزنطيين أخبرَهُ أنَّ بلادَهُ لن تعطيَهُ ذهباً مقابلَ السلامِ، وأوضحَ لهُ أنهم لن يشتروا السلامَ بالذهبِ كما فعلوا سابقاً، وسأله أن يعقدَ السلامَ على أساسِ الاحترامِ والمساواةِ وإلاَّ فالحرب.

إزاءَ ذلك وعندما عَلِمَ ملكُ الفرس أنه لن يحصلَ على الذهب، وأنه تقدَّمَ في السِّنِّ وغدا غيرَ قادرٍ على خوضِ الحروبِ أبرمَ السلامَ بلا ثمنٍ، بل ألغى الإتاوة السابقةَ التي كانت قد فُرِضَتْ على البيزنطيين، وأتمَّ بنودَ الاتفاقيةِ وأرسلها إلى المفاوضِيْنَ.

عندما وَجَدَ إمبراطورُ بيزنطةَ أنَّ ملكَ الفرس وافقَ على إلغاءِ الإتاوةِ، أرسلَ له طالباً أن يَرُدَّ دارا إلى الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ ليوقِّعَ اتفاقَ السلامِ. أثار هذا التصرفُ كسرى أنوشروان، وأخبره أنه استولى على دارا وفقاً لقانون الحرب، وأنه (الإمبراطورُ البيزنطيُّ) استولى على أرمينية، وطالبه أن يَرُدَّ أرمينيةَ ليردَّ له دارا. رفضَ الإمبراطورُ البيزنطيُّ طلبَ كسرى وتذرَّعَ بأنَّ الأرمنَ مسيحيون، الأمرُ الذي أثَّرَ على المفاوضينَ فتنازعوا وتوقفَ السلامُ[1].

ومن الطبيعيِّ أن يتوقف السلامُ بين الطرفين أمام الشروطِ الصعبةِ التي وضعها الإمبراطورُ البيزنطيُّ، ويبدو أنَّ ردَّ الملكِ الفارسي مساوٍ له. يُعْتَقدُ أنَّ ما دفع إمبراطورَ بيزنطةَ لمثلِ هذا الشرطِ هو اعتقادُهُ بكِبَرِ سِنِّ الملكِ الفارسي وعدمِ قدرتِهِ على قيادةِ الجيوشِ، أو أنه لمسَ في إمبراطوريتِهِ القوةَ التي تمكنَّه من إخضاعِ

١- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٠٢- ص١٠٣

رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص ٥٩٤.

الفرس لشروطِهِ ورغباتِهِ، ونسيَ كُلُّ ما تعاني منه إمبراطوريتُهُ. يكفي أن نذكرَ ضعفَهُ وجهلَهُ بالأمورِ السياسيةِ، لنؤكِّدَ أنه فوَّتَ على دولتِهِ صُلحاً مشرفاً، على الأقلِّ بدونِ ذهبٍ، أما ملكُ إيرانَ فقد أثبت أنه رجلُ المهماتِ الصعبةُ، وأنه لن يبيعَ هيبةَ بلادِهِ ولو على حسابِ السلامِ. ولكنه على ما يبدو قد تعبَ من كثرةِ الحروبِ وآثر أن يأخذَ فرصةَ راحةٍ قبلَ وفاتِهِ.

ـ تخريبُ الفرس للأراضي البيزنطيةِ وانتقامِ موريسَ منهم.

استاء الفرس من رفض البيزنطيين للصلح، فجمع آذرمهان جيشه وتوجه للمنطقة المحيطة بدارا فخربها وأحرق مدن تلا[١] وتل بشمايا[٢] ورأس العين، كما أحرق الكنائسَ والأديرةَ. وعندما وصل إلى تلا طلب من سكانها تسليم المدينة، لكن سكانها رفضوا ذلك لأنهم أُعلموا أن إمبراطورهم اتجه إليهم في ستين ألفاً من الجند، فانسحب الفرس بعد أن أحرقوا تمثالاً عظيماً للسيدة مريم كان خارج المدينة. ثم عادوا إلى دارا.

في هذه الآونةِ عادَ موريسُ قائداً للجند في الشرق، فنظَّمَ جيشَهُ وسلَّحَهُ، ثم استأجر جنوداً جدداً وعسكرَ بهم في قتريز[٣]. أدت أعمال موريس هذه إلى خوف الفرس الذين رأوا أن جند البيزنطيين أكثر منهم عدة وعتاداً. فقاموا بخداعهم إذ توجهوا إلى شطر أرمينية المواجهة لإيران، وأرسلوا لقادة البيزنطيين في

١- تلا، مدينة عرفت باسم تل موزن أوتل هوزن (موزن) تقع بين رأس العين وسروج الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة تل موزن، ص٥٢.

٢- تل بشمايا، عرفت بالعربية باسم تل بسمة، تقع شمال غرب ماردين. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة تل بسمة، ص٤٧.

٣- قتريز، كانت قتريز حصناً بأرمينية بناه جوستنيان ليكون مقراً له هناك، ويبعد مسافة أربعة أيام عن ثيودسيوبوليس. الأسيوي، المصدر السابق، ج٣، الكتاب السادس، حاشية رقم ٣٥، ص١٤٢.

ثيودسيوبوليس لكي يقبلوا الحرب بعد ثلاثين يوماً.

أرسل القادةُ إلى موريسَ يخبرونه بذلك فأمر الجند بالاستعداد للحرب والقتال.أما الفرس فقد احتالوا على البيزنطيين وجمعوا جيشهم وعادوا لبلادهم، ثم توجهوا سراً قرب ميافارقين وشرعوا يخربون في الإقليم البيزنطي، فحرقوا كل أراضي إقليم صوفنايا[١] خاصة الكنائس والأديرة، وفعلوا الشيء نفسه في آمد فحرقوا ضواحيها وسورها وكنائسها والأديرة العظيمة التي تحيط بها، وبعد أن حاصروها لثلاثة أيام ولم يستطيعوا فتحها، خافوا أن يدركهم جند البيزنطيين عندها، فانسحبوا بعد أن نهبوا إقليم ما بين النهرين وأضرموا النار فيه ثم عادوا لبلادهم[٢].

يبدو أن الفرس يستهينون بخبرة البيزنطيين العسكرية، فعندما يشعرون بأن البيزنطيين سينتصرون عليهم، يلجؤون للحيلة التي تخدع البيزنطيين وتكلل خططهم بالنجاح، ولكن ألم يشعر البيزنطيون بهذه الحالة؟!!. ألم يدركوا نهج الفرس التكتيكي في الفترات العصيبة؟!!.

تضايق موريس مما فعله الفارسيين، فجمع جيشه واتجه إلى أرزون[٣] فدخلها وخربها وسبى من الإيرانيين عدداً كبيراً عام ٥٧٦م[٤].

إن ردة فعل موريس متوقعة، ذلك أنَّ الحلَّ الأسهلَ هو أن يعامل البيزنطيون

١- صوفنايا: إقليم يقع جنوب غرب أرمينية، يحده من الشرق نهر الفرات، ومن الجنوب أرض الجزيرة، من الغرب قبادوقيا .الأسيوي، المصدر السابق، ج٣، الكتاب السادس، حاشية رقم ٣٧، ص١٤٢.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٠٤- ص١٠٥.
Jones- op. cit, Vole 1 – P.308.

٣- أرزون، مدينة قرب خلاط في أرمينية، على الضفة الغربية لنهر سربط.
الحموي، المصدر السابق، ج١،مادة أرزون، ص١٨٠. ليسترنج، المرجع السابق، ص١٤٤.

٤- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٠٥- ص١٠٦. مار ميخائيل السرياني، ج٢، ص١٩٥ — ص١٩٦.
Jones- op. cit.-Vole 1 – P.308.

العدوَّ كما يعاملهم، فاتبع خططهم وأغار على أراضيهم، والملفتُ للانتباه هنا أنَّ الفرس لم يردوا على غزوة البيزنطيين تلك بالرغم من أن دولتهم كانت مستقرة، ولكنْ يبدو أنَّ كسرى أنوشروان لم يجد لتلك الغزوة أهميةً تذكر، لذلك لم يكترث بنتائجها. أو أنَّ االبيزنطيين غَزَوْا إقليماً صغيراً فعظموه وكتب مؤرخوهم عنه، أو أنَّ كسرى أنوشروان أدرك قوةَ تيباريوس الثاني (٥٧٨- ٥٨٢م)، الذي وصل للعرش البيزنطي، وكان قائداً شجاعاً فآثر السلم على الحرب، ويعتقد أنَّ هذا هو الأقربُ للصواب.

ـ الحربُ في تلا عام ٥٨٠م.

بعد كل التخريب الذي حدث في كلا الإمبراطوريتين وتواتر حدة العداء بين الطرفين، قررا الدخول في مفاوضات لأجل السلام، لكن رسل الفرس تكبروا ووثقوا في جنودهم واستراتيجيتهم العسكرية والحربية، فأخبروا ملكهم ألا يكون ليناً مع البيزنطيين، وأنهم سيقاتلونهم وسيقضون الشتاء في أنطاكية. فاقتنع هرمزد (الذي وصل للحكم بعد كسرى أنوشروان عام ٥٧٩م)، وأهمل مفاوضات السلام، أما قائده فجمع الجند واتجه لمحاربة البيزنطيين في تلا حيث تتمركز الألوية البيزنطية وقادة الجيش[١].

خرج البيزنطيون لقتاله، فقبض أحد قادتهم على واحد من جواسيس الفرس وجعله يعترف على مكان قائده داخل الجيش وهيئته، ولما خرجوا للقتال اقتحم هذا القائدُ صفوفَ الفرس وقتل قائدَهُم. تمكن الفرس من قتل المهاجم ورغم ذلك دبت الفوضى فيهم، ووجدوا أنفسهم محاطين بالبيزنطيين فارتدوا على أعقابهم وتعقبهم البيزنطيون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً[٢].

إن هذه الحادثة تدل على وجود قادة بيزنطيين على قدر من المسؤولية والإخلاص للوطن. وتدل على تغيير في التكتيك العسكري البيزنطي، ومدى تطور

١- اليوسف، المرجع السابق، ص٦٢.

٢- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١١٥.

الخبرة العسكرية للقادة البيزنطيين، وسعيهم لرد هيبة دولتهم التي أصبحت مجال سخرية الفرس ومحط استهزائهم. كما تدل على أنَّ الانتصاراتِ التي حققها الفرس في عهد كسرى أنوشروان زادت ثقتهم بأنفسهم، حتى إنهم لم يَرَوْا إلاَّ النصرَ حليفاً لهم، ولم يكترثوا لتبدل الأوضاع في بيزنطة وفي بلادهم على حدٍّ سواء. صحيحٌ أن قائدهم هرمزد الرابع من القادةِ الأَكْفَاءِ، ولكنْ كان عليه أن يكونَ أكثرَ حِنْكَةً سياسيةً ويدركَ أبعادَ التغيراتِ في المنطقةِ، ومدى تطور التغيرات وتأثيرها على الإمبراطوريتين حتى لا يصل لنتيجة كهذه.

. احتلالُ حصنِ آقابا في أرض إيران ٥٨٢م.

أُقِيْمَ حصنُ آقابا على جبل وعر[1] عند نهايةِ نهر الكَلْت[2] الواقع على الحدودِ الفارسية المواجهةِ لمدينة ميافارقين. وقد فكر الفرس أن يبنوا عليه حصناً، وكان بين الفرس والبيزنطيين اتفاق ينص على عدم بناء أية تحصينات على مسافة عدة أميال من الحدود بينهما. وكثيراً ما بنى الفرس الحصن وهدمه البيزنطيون. لكن الفرس تمكنوا من بنائه وزودوه بحاميةٍ من الجند، وبعد عدة سنوات حاصره البيزنطيون حتى تملَّكَ الحاميةَ الجوعُ والعطشُ، فطلبوا من البيزنطيين عهدَ أمانٍ يحفظُ لهم حياتهم دون أن يسبوهم أو يقودوهم إلى أرض البيزنطيين كأسرى. وهكذا فتح الفرس بابَ الحصنِ فدخله البيزنطيون وهدَّموهُ[3].

يتساءلُ المرءُ هنا: أينَ دولةُ الفرس عن محاصرة حصن أقابا؟!!. وكيف تتركُ حاميتَها دون مساعدةٍ ونجدةٍ؟!!. ثم لماذا قَبِلَ البيزنطيونَ شروطَ الحاميةِ الفارسية هناك رغم أنه بإمكانهم احتلاله وسبيهم وأسرهم؟!!.

١- جبل وعر، المقصود به جبل ماردين، بين نصيبين وماردين. الإصطخري، المصدر السابق، ص٩٣. الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٤٤، حاشية رقم٧٣.

٢- الكلت، تقع مدينة الكلت شمال بحيرة وان. الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٤٤، حاشية رقم٧.

٣- الآسيوي، المصدر السابق، الكتاب الثالث، الجزء السادس، ص١٢٢.

يمكن أن نجد تعليلاً لتصرفِ البيزنطيين هذا ، وهو إن إمبراطوريتهم تستقبل إمبراطوراً جديداً هو موريس(٥٨٢- ٦٠٢م)، ولم يرغبوا بإثارةِ مشكلاتٍ جديدةٍ مع الفرس خاصةً، وأنَّ إمبراطورَهُم قائدٌ عسكريٌّ شجاعٌ سيلهبُ نارَ الحربِ من جديدٍ، كذلك لنا في ثورة بهرام جوبين تعليلٌ كافٍ عن إهمال إيرانَ لشؤونِ حاميتِها هناك، بالإضافة لانشغالها بصدِّ غزواتِ التركِ عن أراضيها.

ـ الحملاتُ الفارسية على أنطاكية في القرنِ السادسِ الميلاديِّ.

ـ أنطاكية: موقعُها وتسميتُها وأهميتُها:

تقع مدينة أنطاكية في شمالي غربي سورية قرب مصب نهر العاصي في وسط سهل العمق، وتبعد عن مدينة حلب بحدود ٩٥كم[١]. سُميِّتْ قديماً أنطاكية دفني وأنطاكية على العاصي، كما دُعيت تيترابوليس لكونها واحدة من المدن الأربع[٢] التي بناها سلوقس نيكاتور[٣] الذي أراد أن يُشَرِّفَها باسم والده أنطوخيوس، كما شَرَّفَ مُدُناً أخرى بأسماءِ أُسرتِهِ وأقاربِهِ فبنى سِتَّ عَشْرَةَ مدينةً وسمَّاها أنطاكية.

ومن الأسماءِ الأخرى لأنطاكية أنطاكية سورية، لكونها عاصمةَ سوريةَ، واسم أثينا سوريةَ، وأنطاكية الكبرى، والجميلة، ومدينة الله، ومدينة الله العظمى، ودُرَّة الشرق، ومدينة الملكِ، وأُمّ المدنِ.

١- الحموي: المصدر السابق، مادة أنطاكية،ج١، ص٣١٦. الدينَوري: الأخبار الطوال، ص٦٣، حاشية رقم (١).

٢- المدن الأربع التي بناها سلوقس هي (أنطاكية دفني، سلوقية، بيريس، (الإسكندرونة)، أفاميا، اللاذقية).

٣- سلوقس الأول أحد قادة الإسكندر المقدوني، حكم سورية وبابل، ولعب دوراً كبيراً في الحروب التي نشبت بين خلفاء الإسكندر، امتد نفوذه حتى السند، هزم أنتيجيوس في معركة أبسوس عام ٣٠١ ق.م وحصل بنتيجتها على كل سورية ومعظم آسية الصغرى، أنشأ الدولة السلوقية وحكمها حتى وفاته عام ٢٨٠ ق.م. غربال: المرجع السابق، ج١، ص٩٩٩.

تحتل أنطاكية مركزاً استيراتيجياً فريداً، وشكلت معبراً تجارياً هاماً ومركزَ تقاطعِ طُرُقِ القوافلِ التجاريةِ الذاهبةِ من الشرقِ إلى الغربِ، ومن الشمالِ إلى الجنوبِ. هذا وقد هيأتِ الطبيعةُ الجغرافيةُ أن يكونَ سهلُ العمقِ أحدَ المعابرِ الأساسيةَ في طُرُقِ المواصلاتِ الحربيةِ والاقتصاديةِ، في القسم الشمالي الغربي من ذلك الإقليم. فكان يجب أن تمرَّ من هذا السهل كل حركة التجارة والانتقال بين القسمين الجنوبي من الأناضول والساحلي أو الغربي من سورية وفلسطين، كذلك كل حركة التجارة والانتقال بين القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين والبحر المتوسط . وهكذا أصبحت أنطاكية ممراً فريداً للجيوش ومقراً هاماً للتجارة بين الشرق والغرب، ومركزاً للمواصلات البرية والبحرية. وأصبحت أنطاكية أهمَّ مدنِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ ومن بعدها البيزنطية، وأكثرها كثافةً بعد روما والإسكندرية.

تُعَدُّ أنطاكية حاضرةَ الولاياتِ الآسيويةِ قاطبةً. وقد بلغتْ من الفخامةِ والازدهارِ ما جعلها تتبوَّأُ أهميةً كُبرى في العهد المسيحيِّ في الشرقِ والغربِ، فهي قاعدةٌ لبلادِ المشرقِ ومقرٌّ كرسيٍّ بطريركيٍّ تخضعُ له أكثرُ من ١٥٤ أبرشيةٍ وأُسقفيةٍ[1]. كما أصبحتْ قاعدةً حربيةً غصَّتْ بالثكناتِ والأسلحةِ ودورِ الصناعةِ الحربيةِ، وفيها تمركزَ فيلقٌ كُلِّفَ بالدفاعِ عنها تُجاه الشعوبِ والدولِ المجاورةِ لها كالأرمنِ في الشمالِ، والفرس في الشرقِ، والعربِ في الباديةِ[2].

١- أثناسيو: المرجع السابق، ج١، ص٢٠٣ – ص٢٠٤.

٢- أثناسيو، المرجع السابق،ج١، ص٢١٧.

– الأوضاعُ العامةُ في أنطاكية.

في أواخرِ القرنِ الخامسِ الميلاديِّ، ازدادتْ ثروةُ أنطاكية بعد أن أصبحت مركزاً لإنتاجِ زيتِ الزيتونِ، وانعكس ذلك الثراءُ بازدهارِ حركةِ البناءِ والعمرانِ[١].

لكنَّ المدينةَ تأثرتْ فيما بَعْدُ بالإصلاحاتِ الماليةِ[٢] التي طبقَّها الإمبراطورُ أناستاسيوس (٤٩١- ٥١٨م) في بداية القرن السادسِ الميلاديِّ[٣].

ومنذ عام ٥٠٧م بدأتْ سلسلةٌ من حوادثِ الشَّغَبِ في المدينةِ واستمرَّ التنافسُ السياسيُّ بين مؤيدي حزبِ الخُضْرِ ومؤيدي حزبِ الزُّرْقِ، حتى ارتقاءِ جوستينَ الأولِ(٥١٨ – ٥٢٧م) العرشَ البيزنطيَّ. إذْ بدأَ عصرٌ جديدٌ تمخضتْ عنه تغييراتٌ كثيرةٌ في مُدُنِ الدولةِ[٤].

إلا أن ذلك لا يعني نهايةَ النكباتِ التي تعرضتْ لها المدينةُ، صحيحٌ أنها أصبحت أكثرَ أَمْناً لكنَّها شهدتْ حريقاً في تشرين الأول عام ٥٢٥م. وزلزالاً عام ٥٢٦م أنزل أضراراً فادحةً بالمدينةِ، خاصة أنه وقع في مساء ٢٩ أيار أي اليوم السابق لعيد صعود المسيح حينما كانت المدينةُ زاخرةً بالزائرينَ لها بمناسبةِ العيد[٥].

1-Schenk (A), De Romische Kaisergeschichte, Bei, Malalas, Stuttgart, 1931, ((Church Slavonic Version)),P.124.

Tchalenko (G) – Villages Antiques de la Syria du Nord La région Du Belus a L époque Romaine - 3Voles – Paris – 1953 – P. 58.

٢- إصلاحات أناستاسيوس: قام أناستاسيوس بتنظيم موارد الدولة، فخفف الضرائب عن التجارة، والصناعة في المدن، وزاد في ضرائب الأرياف، فقام سكانها بالاضطرابات، لكن رغم تلك الاضطرابات، أدت سياسته المالية إلى غنى الخزينة، حيث زاد دخلها بمقدار ٣٢٠ ألف قطعة ذهبية.عاقل المرجع السابق، ص٥٦-٥٧.

٣-Dvornik (F) – The Circus Parties in Byzantium ((Their Evolution And Their Suppression)) – Metabyzantina – 1946 – PP. 119 – 133.

٤-Vasiliev (A .A) – Justin The First – Cambridge – Mass – 1950– PP. 335 – 344.

٥- أثناسيو، المرجع السابق، ص٢١٩.

- PP. 345 – 350. -Vasiliev Justin The First.

وأعقبَ هذه الزلازلَ ولمدةِ سنةٍ ونصفٍ هزّاتٌ متتاليةٌ بلغتْ ذروتَها في كارثةِ يومِ ٢٩ تشرين الثاني عام ٥٢٨م[1]. حيث قتلت حوالي ٤٨٧٠ شخصاً وهدَّمَتْ أغلبَ مباني المدينةِ.

– الحملاتُ الفارسية على أنطاكية.

رغم أنَّ الظروفَ التي مرت بها أنطاكية كانت صعبة للغاية، كان لديها مصدرٌ أخرٌ للقلق وهو استئنافُ الحربِ مع الفارسيين. إذ أن المدينةَ كانت مقراً عسكرياً رئيسياً ومركزاً للمواصلات والإمدادات ذا أهميةٍ كبيرةٍ أثناءَ العملياتِ الحربيةِ على الحدودِ الشرقيةِ. وقد نشبَ القتالُ في عام ٥٢٨م. وفي أيار من العام التالي قامَ عربُ الحيرةِ (المناذرةُ) بغارةٍ سريعةٍ وصلوا فيها إلى منطقة أنطاكية، وأحرقوا الممتلكات وقتلوا عدداً كبيراً من الناس، ثم انسحبوا ومعهم أسراهُمْ وغنائِمُهم قبل أن يتسنَّى للفِرَقِ البيزنطيةِ اللَّحاقُ بهم[2].

في هذهِ الآونةِ عُيِّنَ بليزاريوس قائداً للجيش على أن يكون مقرُّهُ الرئيسيُّ في أنطاكية، وفي منتصفِ شهرِ أيارَ وصلَ لأنطاكية مبعوثٌ خاصٌّ من قِبَلِ الإمبراطورِ للتفاوضِ مع الفارسيين. ولكنَّ محاولتَهُ باءتْ بالفشل[3]. وكانتِ الحملاتُ الفارسية على شكلِ غاراتٍ سنويةٍ. وفي عام ٥٣١م وقعتْ جماعةٌ من المسيحيينَ أسرى بيدِ العربِ الذين أمهلوا سكانَ أنطاكية ستينَ يوماً لجمعِ المالِ لافتداءِ أسراهم، وبالفعلِ تمَّ افتداءُ الأسرى وأُطلِقَ سراحُهم[4].

وفي ربيع ٥٤٠م كان قد سُحِبَ قسمٌ كبيرٌ من القواتِ البيزنطية الموجودةِ في

١- داوني، المرجع السابق، ص٣١٣ – ٣١٥.

٢-Procopius – History Of Wars – vole 1 – P.103 ..

٣- سايكس، المرجع السابق،، ج١، ص٦١٢.

٤-Dawney (G) – Ancient Antioch – Copyright By Princeton – University Press New Jersey – 1963– P. 317

Procopius – History Of The Wars.– vole 1 – P.103

سوريةَ، وأُرسلوا إلى شمال إفريقيا التي كان بليزاريوس آخذاً في فتحها ذلك العام، لإعادتها إلى حظيرةِ الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ. استغلَّ الفرس ذلك واستخدموا في غزو سوريةَ جيشاً كبيراً أتاحَ لهم التغلُّبَ على ما استبقاه البيزنطيون من قواتِ الدفاعِ القليلةِ العددِ جداً، وكان واضحاً من تصرفاتِ الحملةِ الفارسية أنها لم تكن تهدف إلى احتلالِ سوريةَ ولا أيِّ جزءٍ منها بل إلى إنزالِ أقصى ما يمكنُ من الأضرارِ وجمعِ أقصى ما يمكنُ من الأسلابِ[1].

عندما عَلِمَ جوستنيانُ بأنباءِ الانتصاراتِ الفارسية الأولى وأدرك ما كان يتهدَّدُ أنطاكية مِنْ مخاطرَ، أوفدَ قريبَهُ جيرمانوسَ إلى أنطاكية ليتفقدَ التحصيناتِ ويستوثقَ من صلاحيتها، ووعدَهُ بإرسال جيشٍ وفيرِ العددِ.عندما وَصَلَ جيرمانوسُ وَجَدَ أنَّ التحصيناتِ بحاجةٍ إلى ترميمٍ لكنَّ المهندسينَ أقنعوه أنه لن يتسنى لهم أن يُكْمِلوا أعمالَ الترميمِ قبل وصولِ الفارسيين، وإنْ وصلَ الفرس ووجدوا أعمالَ الترميمِ قائمةً فإنهم سيقفونَ على مواقعِ الضعفِ، ولذلك لم يقُمْ جيرمانوسُ بأيَّةِ ترميماتٍ، وظلتِ الأنباءُ تتوالى عن تقدُّمِ الفرس نحو أنطاكية، دون أنْ تصلَ أيةُ إمداداتٍ بيزنطيةٌ[2]، ومن الواضح أنه كان يتعذَّرُ إيجادُها[3].

إنَّ تصرفَ جوستنيان هذا تصرُّفٌ وقائيٌّ لحمايةِ المدينةِ، وكأنَّ التحصيناتِ ستحميها من جحافلِ الجندِ الفارسي، فلربما تؤخرُ سيطرتَهم عليها، ولكنْ لن تحميَها منهم. من المتوقع أنَّ جوستنيان أراد أن يحصِّنَها خلالَ المدةِ التي سيرسلُ فيها الجندَ إليها، فيجدونها حصينةً ويكون بذلك استثمر الوقتَ، ولكنْ يبدو أنَّ

1-Dawney (G) – The Persian Campaign In Syria In 540 A .D – Speculum – 1953– PP. 340 – 348.

المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٦٨. كيرشمن، المرجع السابق، ص٣٦٥.

- Dawney (G) – Ancient Antioch –. – P.318

٢- سايكس، المرجع السابق، ج١، ص٦١٩.

٣- كانت بيزنطة في هذه الفترة منشغلة في حربها ضد الوندال في شمال إفريقيا هذه الحرب التي استمرت من سنة ٥٣٣ – إلى سنة ٥٤٨م وانتهت بالسيطرة على شمال إفريقيا وإعادتها إلى الحظيرة البيزنطية. العريني، الدولة البيزنطية، ص٧١.

المبعوثَ لم يكنْ على قُدْرَةٍ كافيةٍ ليجبرَ القادةَ فيها للعملِ على تحصينها، كما أنَّ جوستنيانَ أدركَ أنه لن يتمكن من إرسالِ الجنودِ لها، لذلك لم يكترثْ بنتائجِ عملِ مبعوثِهِ.

كانتْ بيزنطةُ مشغولةً في محاولتِها إعادةَ الوحدةِ للإمبراطوريةِ، لذلك كان يتعذَّرُ عليها إرسالُ الدعمِ والجنودِ للمنطقةِ، ومن هنا جاءتْ مبادرةُ الإمبراطورِ بإرسالِ المبعوثينَ للتفاوضِ مع الفرس على شراءِ سلامةِ المدينةِ بالذهبِ.

يعتقدُ أهلُ أنطاكية أنه في وُسْعِ الفرس الاستيلاءُ على المدينةِ لو حاولوا ذلك، فإنهم قرروا أن يحاولوا إنقاذَها بالمالِ وهذه وسيلةٌ من المتوقعِ أن تروقَ للساسانيين، لذلك أرسلوا ميجاسَ أُسْقُفَ بيروريه[1] الذي وجد كسرى أنوشروان في موقع لا يبعد كثيراً عن هيرابوليس[2]. وقد وافق كسرى أنوشروان على مبلغٍ كبيرٍ من المال ذهباً، وتوجه إلى بيروريه في حين توجه ميجاسُ إلى أنطاكية[3].

وعندما وصل ميجاسُ إليها كان الموقفُ قد تغيَّرَ إذ وصل إليها مبعوثا الإمبراطور (يوحنا ويوليانوس) للتفاوضِ مع الفارسيين.

السؤال الذي يطرحُ نفسَهُ الآنَ:

لماذا يرسل الإمبراطورُ مبعوثيه؟!!. وأين الجيشُ البيزنطيُّ؟!!

إنه لمن الحقيقة بمكان كما توضح الأحداثُ، أنَّ جوستنيانَ أدركَ تماماً أنه لن يتسنَّى له إرسالُ قواتٍ تدافعُ عن سوريةَ، وتقفُ في وجهِ الفرس في تلك المرحلةِ، لانشغالِ جيوشِهِ على الجبهاتِ الأخرى، ولأنه يعلم أنَّ وضعَ قواتِهِ في سورية لا يسرُّ صديقاً أو يردُّ كيدَ عدوٍّ، ذلك لأنَّ القادةَ الضباطَ، الذين كانوا على مقربةٍ من

١- بيروريه، هي مدينة حلب الحالية. بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١١٨. الحموي، المصدر السابق، مادة حلب.

٢- هيرابوليس، هي مدينة منبج، وهي مدينة الألهة هيرا. ليسترنج، المرجع السابق، ص١٣٩. **Dawney - (G) –A History Of Antioch in Syria From Selecucus to The Arab Conquest- New Jersey, 1961, PP.318- 319.**

٣- - الشاعر المرجع السابق، ص٢٠٠.

الملك، لم يكونوا على مستوى الكفايةِ أو الإقدامِ، كما أنَّ قواتِهم لم تكنْ كافيةً لمواجهةِ كسرى، ولذلك تقعُ المسؤوليةُ على قائدِ قواتِ الشرقِ بوز **Buzes**، الذي قبع في مدينة منبج دون أن يحرك ساكناً عندما بدأ كسرى بالهجوم على سوريةَ بدءاً من مدينة سورا.

وإن كان هذا القائد قد أحجم عن ملاقاة كسرى لضعف قواته، فإن هذا لا يُعْفيهِ من مسؤولية التقاعس عن ردِّ العدوِّ، لحماية البلاد في وقت الشدة. كما أن بوز **Buzes** لم يتصدَّ لكسرى عندما هاجم منبج، بل انسحب منها، وادعى أنه يريد تطويقَ العدو ولكنَّ شيئاً من هذا لم يحصل. تابع كسرى حملته نحو الغربِ بعد أن فرض إتاوة على حلبَ، وصبَّ جامَ غضبه على أنطاكية حيث دمَّرَها بشكلٍ لم يسبقْ له مثيلٌ.

كانت إيرانُ دائماً تسعى للوصول للبحر الأبيض المتوسط وللبحر الأسود أيضاً، وتعمل على إعادة أمجادِ الدولةِ الأخمينيةِ. وكان على جوستيانَ أن يُدركَ تماماً أنَّ الفرس لن يجلسوا مكتوفي الأيدي أمام نهوض بيزنطة وزيادة قوتها. ذلك أن الفرس يوقنون أنَّه في حال نجح جوستتيانُ في توحيدِ دولتِهِ سيتجهُ لمحاربتهم واحتلالِ أراضيهم. لذلك نرى أنَّ أهميةَ سوريةَ الاستراتيجيةَ قد أخذتْ مكانةً هامةً في تفكيرِ الفارسيين.

كان لدى المبعوثَيْنَ تعليماتٌ أن يحظرا على المدن أن تقوم منفردةً بالمفاوضةِ في أمرِ دفعِ المالِ، وذلك لتجنبِ أن تصبحَ إتاوةً فادحةً.

من المستغربِ كيفَ يُزوِّدُ الإمبراطورُ مبعوثَيْهِ بمثلِ تلك التعليماتِ، أليس من المفروض أن يكون على الأقلِّ قادراً على الدفاع عن أنطاكية، حيث يخشاه الفرس ويقبلونَ ديةً معقولةً؟!!.

كان اتجاهُ الفرس قد غدا واضحاً، وكان من السهل عليهم اقتطاعُ جزءٍ من القواتِ البيزنطيةِ الموضوعةِ على طولِ الشطرِ الجنوبيِّ من الحدودِ، لذلك أمر الإمبراطورُ باستدعاءِ ستةِ آلافِ جنديٍّ من منطقةِ لبنانَ لتعزيزِ حاميةِ أنطاكية، وتلك قوةٌ جسيمةٌ في تلك الأيام مما كان من المتوقع أن تُبدي مقاومةً ضاريةً وجِدِّيةً

في أنطاكية، لكنَّ تصرُّفَ الإمبراطورِ أحدث انقساماً في الرأي بين أهل المدينة الذين يمثلهم أفرايميوس بطريرك المدينة، ويرون أنه من الأفضل دفعُ المالِ بينما مبعوثَيْ الإمبراطور رفضا ذلك. وأمام إصرار أفرايميوس على دفعِ المالِ اتهمه يوليانوس بالخيانةِ فغادر المدينة.

كان يوليانوس يرى أنَّ دفعَ المالِ لن يؤدي إلا إلى تسليم المدينةِ للساسانيين، الذين سبق لهم في مناسباتٍ أخرى أنهم كانوا يقبلون إتاوةً من المدينة ثم يعمدون إلى نهبها وقتل سكانها واسترقاقهم. وخيرُ مثالٍ على ذلك غزوهُمْ لمدينةِ سورا[1].

وصل الفرس إلى نهر العاصي وضربوا خيامهم قُرْبَهُ وأوفدَ كسرى ترجمانَهُ إلى الأسوار ليعلنَ مطالبةَ الفرس بإتاوةٍ، ولكنَّ بلاغَهُ لم يُسفرْ عن أيةِ نتيجةٍ، وفي اليومِ نفسِهِ ذهبَ مبعوثا الإمبراطور إلى كسرى أنوشروان لمحاولةِ الاتفاق على الشروط، ولكن دون جدوى. وفي اليوم التالي بدأ القتال، في البداية واجه البيزنطيون الفرس بقوةٍ، وقامَ شبابُ المدينةِ بدورٍ فعّالٍ في القتال. ولكنْ شاءتِ الأقدارُ انهيارَ أحدِ أبراجِ السورِ، ذلك أنَّ الحبالَ عجزتْ عن حملِ الأخشابِ المصنوعِ منها البرجُ، وما أُثقلتْ به من جندٍ وعتادٍ، فدّوى دويٌّ هائلٌ أعقبه صراخُ جنودِ البرجِ، ولما كان جنودُ البيزنطيين الذين حال بُعْدُهُمْ عن الحادثِ دونَ مشاهدته، لم يعرفوا حقيقةَ ما حصل فظنوا أنَّ الفرس اخترقوا السور فانهارتِ الصفوفُ البيزنطيةُ، وفرَّ الجنودُ وعددٌ كبيرٌ من سكانِ المدينةِ عن طريق البوابةِ المؤديةِ إلى دفنا[2]، ذلك أن الفرس تركوا تلك البوابة طليقةً ووضعوا أيديهم على البوابات الأخرى. ثم نزل الفرس إلى المدينة فقتلوا كلَّ مَنْ صادفوه وعقب ذلك أمر كسرى

-1.Dawney – History Of Antioch . –P. 320
Dawney – History Of Antioch. PP. 320 – 321.

٣- دفنا، ضاحية ومصيف على سفح جبل سيلبيوس الغربي، تتبع ناحية الحربيات، قضاء أنطاكية، ويعني اسمهاأفروديت آلهة الجمال، بناها سلوقس عام ٣٠٠م. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، إشراف مصطفى طلاس، مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٩٢م، ج٣، مادة دفنا، ص٣٤.

P. 321 - 323. Dawney – History Of Antioch.

رجاله أن يجمعوا كل من بقي على قيد الحياة وأن يحتفظوا بهم أسرى ويعودوا بهم إلى إيران[1].

عندما بدأ نهب المدينة هبط كسرى أنوشروان إليها[2] وبصحبته مبعوثا الإمبراطور، واتخذ طريقه إلى الكنيسة الكبرى فوجد كنوزها لا تزال قائمة فنهبها، وأمر بحرق المدينة ما عدا الكنيسة نزولاً عند رغبة مبعوثيْ الإمبراطور، اللذَيْنِ نوَّها أن هذه الكنيسة قد أمدت الفرس بالكثير من الأسلاب. كما نجا من حرق المدينة الحيُّ الجنوبيُّ الذي تفصله عن المدينة منطقةٌ من الأرض، بالإضافة إلى هيكل القديس يوليانوس والمساكن الملحقة به حيث يقيم مبعوثا الإمبراطور[3].

إن ما يلفتُ الانتباه في هذه الأحداث، هو موقف مبعوثي الإمبراطور اللذين نزلا مع كسرى أنوشروان إلى المدينة وكأنهما يتجولان وسمحا له بنهبها مع كنيستها، والأكثر من ذلك نزل كسرى عند رغبتهما فلم يحرق الكنيسةَ ولا مكانَ إقامتهما. كان الأحرى بهما أن يعودا لإمبراطورهما ويقنعاه أنَّ الوضعَ في سورية مضطربٌ جداً وأنَّ البلادَ بحاجةٍ لحمايتهِ، وبحاجةٍ لحلٍ سريعٍ لا يقبلُ الانتظارَ. فهل كان هذانِ المبعوثانِ راضِيَيْنِ عمَّا يفعله كسرى؟!!. هل باعا بلادَهُما لإرضاءِ كسرى أنوشروان؟!!.هل أحبَّا العيشَ تحتَ السيطرةِ الفارسية ؟!!. هل كان لهما حصةٌ مما نهبه كسرى أنوشروان مقابلَ أن يَغُضَّا الطَّرْفَ عمَّا يفعله؟!!.

إنَّ الإجابةَ عن هذه الأسئلة غيرُ ممكنةٍ، فالمصادرُ لا تذكر أكثر من ذلك. ولا تقدمُ تفصيلاً عن أصولهما التي قد تلعب دوراً في سلوكهما، كما أنها لا تعطي لموقفهما أهميَّةً تُذْكَرُ.

كان لهذه الكارثةِ عواقبُ عدَّةٌ في أنطاكية، ففضلاً عن أنها من الضربات التي أصابتْ هيبةَ الدولةِ، زادتْ في قُوَّةِ العداءِ نحو الحكومةِ المركزيةِ، كما

١- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢،ص٩٢.

2-Dawney – History Of Antioch. –PP. 323 – 324.

3-Procopius History Of The Wars - Vole 2 – PP. 90-103.

Dawney,Procopius on Antioch, Astudy of Method In the Deaedificils, Byzantion, 1939,PP. 321 – 323.

كانتِ الخسـارةُ الماديةُ بالغـةً في فـداحتها، ففضـلاً عـن كُـلِّ الأمـوالِ الـتي أُنفقـتْ لإعـادة بنـاءِ المدينـةِ بعـد زلـزالِ ٥٢٦م و٥٢٨م وجـد جوسـتيانُ نفسَـهُ مضـطراً لإنفـاقِ مبلغٍ هائلٍ لإعادةِ بناءِ المدينةِ، وكانتِ المدينةُ الجديدةُ التي نهضتْ مـن بـين أنقـاضِ التدميرِ أقلَّ حجماً ممَّا كانتْ عليه.

انتهـتِ الحـربُ إثْـرَ معاهـدة في عـام ٥٦٢م الـتي تعهـدتْ بموجبهـا الإمبراطوريـةُ البيزنطيةُ بـدفعِ المالِ مقابلَ السـلامِ. ولكـن مع بدايةِ عهد جوستين الثاني، بـدأت حقبةٌ جديدةٌ قاتمةٌ من تاريخ أنطاكية. ففي سنة ٥٧٢م شبَّتْ نارُ الحـربِ مـع الفـرس مـن جديـدٍ، أمـام رفـضِ جوسـتين الثـاني دفـعَ الإتـاوةِ السـنويةَ الـتي تعهـدتِ الدولـةُ بـدفعها. وإزاءَ ذلك عـادتْ جميعُ ألـوانِ النشـاط العسـكري الـتي كانـت تتركـز في أنطاكية أثنـاء القتـال، وفي العـام التـالي ٥٧٣م قـام قائدُ الفـرس علـى رأسِ قـوةٍ مـن الفرسـان المـدرعين تعـاونهم قـوةٌ مـن العـربِ بشـنِّ حملـةٍ علـى سـورية، حيـث كانـت القـواتُ البيـزنطيـةُ قـي حالـةٍ مـن الضـعف بـدا معهـا أنَّ الفـرس كـان مـآلُهم الوصـولَ لأنطاكيـة، وأمـام وصـولِ أخبـارِ تقـدمِ الفـرس نحـو المدينـةِ ذاتِ الأسـوارِ المهدمـةِ والحاميـةِ الضـعيفةِ، فـرَّ الكـثيرُ مـن أهلـها كمـا فـرَّ بطريركُهـا حـاملاً معـه كنوزَهـا، ولمـا وصـل الفـرس لم يسـتولوا علـى المدينـة بـل أحرقوهـا وواصلوا سـيرَهُمْ للاستيلاءِ على سلوقية بيرية(١).

1-Evagrius, History of Church, Edition And Translated By John Childsm, London, -1854–,P9. Theophanes, Chronographia- ed Boor, 2Voles In 1 Vole, Leipzig, 1885, vole 1 , PP. 8-9.

العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٣.

سلوقية بيريـة، هـي المدينـة الـتي أنشـأها سـلوقس الثـاني، حـوالي ٣٠٠ق.م وسميـت باسـم سـلوقية بيرية لتمييزها عن المدن الأخرى التي تحمـل نفس الاسـم، أنشئت علـى سـاحل المتوسـط، قـرب مصب نهر العاصي، لتكون ميناء لأنطاكية، نقلت إليها رفاة سلوقس الأول، وأصبحت مقبرة لسـلالته، وفي العهـد الرومـاني كانـت قاعـدة لأسـطولهم. الحمـيري، الـروض المعطـار في خـبر الأقطـار، ص٣٢٠.المسـعودي، مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر، ج١، ص٢٤٨ – ص٢٤٩. سوسـة (أحمد): العرب واليهود في التاريخ، دمشق، ط٥، ص٨٤١، ص٨٤٢.

قُتِلَ الإمبراطورُ موريسُ وأولاده في سنة ٦٠٢م على أثر ثورة قامت ضده في الجيشِ[١]، وكانت الثماني سنوات التي قضاها فوكاسُ في الحكمِ (عام ٦٠٢ – ٦١٠م)، عهدَ إرهابٍ ازدادتْ فيه الإمبراطوريةُ ضعفاً باطِّرادٍ، فقد فقدت الحكومةُ كثيراً من قوتها العسكريةِ ومن سلطتِها في مدنها وفي الولاياتِ، وفضلاً عن ذلك النزاع الديني الذي كان قائماً في كل الولاياتِ البيزنطيةِ، وفي هذه الحقبة كانت أنطاكية واحدةً من العدد الكبير من المدن التي كانت تعاني ويلاتِ الاضطرابِ والفوضى، وزادَ الوضعَ سوءاً اجتياحُ الفرس للمنطقةِ واحتلالُهم لها، ومعروفةٌ هي الأوضاعُ التي كانتْ ترافقُ الاحتلالَ، من نقصٍ في الغذاءِ وقتلٍ وخوفٍ وأسرٍ.

أغضبَ مقتلُ موريسَ ملكَ الفرس كسرى أبرويز، فوجَّهَ ثلاثةَ جيوشٍ للانتقامِ. وكانتْ وِجْهَةُ كلِّ جيشٍ مختلفةً عن الأخرى، فالأولُ توجه نحو آسيةَ الصغرى ووصل إلى القسطنطينيةِ، والثاني توجه فاجتاح سوريةَ، أما الثالثُ فتوجه إلى مصرَ حيث وصل إلى الإسكندريةِ وفتحها. كان أهمَّ مكسبٍ للساسانيينَ هو الحصولُ على الصليبِ المقدَّسِ الذي يعتقدُ المسيحيونَ أن السيدَّ المسيحَ صُلِبَ عليه[٢].

اقتاد الفرس عدداً كبيراً من سكان أنطاكية أسرى إلى بلادهم. وقد نوه داوني إلى إشارة المؤرخ الأرمينيّ سوبيوس أنَّ سكانَ أنطاكية قد استسلموا للساسانيين عن طيبِ خاطرٍ خوفاً من بطشِ فوكاسَ الإمبراطورِ البيزنطيِّ، وأملاً في النجاةِ من ألوانِ القسوةِ على يده[٣].

يتَّضحُ مما سَبَقَ، الأهميةُ الكبيرةُ لمدينة أنطاكية التي كانت مركزاً للجنودِ البيزنطيين في ولايةِ سوريةَ، وعانتْ أنطاكية الكثيرَ من عتوّةِ هؤلاءِ الجنودِ، ومن

١- مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٤.

٢- الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٠٦. رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية، ص٤١٩- ٤٢٠.

٣- داوني(جلانفيل): أنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣٣٨+ حاشية رقم ٤١.

حالاتِ الاستعدادِ التي كانت كثيراً ما تسبب الاضطرابات، وتؤدي إلى نقصٍ كبيرٍ في المؤنِ والحاجاتِ الضروريةِ. بالإضافةِ لما كانت تعانيه المدينةُ من هجماتِ العدوِّ عليها، كونها تشكِّلُ الحصنَ الحصينَ الذي يتمركزُ فيه الجنودُ المسؤولونَ عن توفيرِ الأمْنِ والحمايةِ والاستقلالِ للمدينةِ. وكان استقلالُ أنطاكية يُمثِّلُ استقلالَ سوريةَ كُلَّها، لذلك عمل الفرس على مهاجمتِها واحتلالِها، لأنَّ أصداءَ سقوطِها كانتْ تُدَوِّي في جميعِ أنحاءِ الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ. ومن هنا يتسنَّى لنا أن نُدركَ الأهميَّةَ الكبرى التي كان الفرس يعقدونها على سقوطِ المدينةِ، ويزيدُ من اهتمامِ الفرس بها كونها العاصمةَ الدينيةَ للمسيحيينَ في الشرق، ولها مكانةٌ خاصَّةٌ في العالمِ المسيحيِّ والبيزنطيِّ.

٤ً- دور العرب في الصراع الفارسي البيزنطي على سورية.

- دور الحيرة في الصراع حتى وصول المنذر (الثالث) بن ماء السماء لحكمها.

شغلت الحيرة مكانة خاصة في تاريخ الشرق الأدنى القديمُ فقد أثبتت أنها تقوم بدور الدولة العازلة **Buffer State** بين الدولتين الكبيرتين، وكانت دعامة من دعائم الدولة الفارسية بوضعها لقواتها تحت تصرف ملوك آل ساسان[١]. ففي عام ٤٩٧م قامت قبيلة المناذرة يقودها النعمان الثاني بن الأسود بن المنذر[٢](٤٨٩ -٥٠٣م) بغارة على منطقة الفرات التابعة لبيزنطة، مستغلين هجوم البرابرة على أرض الجزيرة وفينيقية[٣] وفلسطين[٤].

١- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٨١.

٢- النعمان بن الأسود بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر. الحلي (هبة الله): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح موسى درادكه محمد عبد القادر خريسات، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص١٢٠.

٣- فينيقية، هي الولاية التي تشمل دمشق، حمص، تدمر، بعلبك. نولدكة، أمراء غسان ص١٦ + حاشية رقم ٤٧.

٤- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٩٣.

في عام ٥٠٢م طلب قباذ الأول من أمير الحيرة أن يشغل القوات البيزنطية عنه إزاء انشغاله بمحاصرة آمد، فقام هذا بمهاجمة مدينة حرّان[١] من الجنوب وعاث فيها خراباً وتقدم حتى وصل الرها، وإلى جانب ما قام به من نهب للماشية والأمتعة والغنائم من جميع الأنواع سبى حوالي ١٨،٥٠٠ ثمانية عشر ألفاً وخمسمائة شخصٍ، عدا مَنْ قتلوا وكان سبب وجود هذه الأعداد الغفيرة من الناس بالمناطق الريفية، أن صادف وقت الحملة وقت جني محصول العنب فلم يخرج القرويون لوحدهم لجنيه، بل خرج معهم عدد كبير من أهالي حرّان والرها فوقعوا في الأسر[٢].

لابد أن قباذ الأول أراد أن يستفيد من قوة المناذرة خلال حصاره آمد، وذلك ليخفف من وطأة القتال على جيشه، كما أنه يستطيع أن يربك الجنود البيزنطيين الذين أصبحوا يخشون على مؤخرة جيشهم من غارات المناذرة. بالإضافة لذلك قوة المناذرة التي تمكنت من الوصول لحرّان، هذا يعني أن العرب ليسوا خائفين من البيزنطيين حتى اخترقوا مناطقهم ووصلوا لهناك، وشكلوا قوة لا يستهان بها.

يعتقد إن هذا العدد من الناس مبالغ فيه، فمن أين جاء هذا العدد الكبير لجني العنب ؟!!. ثم هل كان هناك كروم عنب تكفي ليعمل بها هذا العدد ليوم واحد فقط؟!!. ما هو موقف البيزنطيين من هذه الاعتداءات؟!!.

١- حرّان، مدينة من مدن الجزيرة قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم. الاصطخري، المصدر السابق، ص٥٤. البكري، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٥. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة حرّان، ص٢٧١.

Joshua the Stylite, op cit, pp. 40-41.

٢- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٩٣.

Joshua the Stylite, op cit, pp.38-41.

لم يكن البيزنطيون يجهلون هذه السياسة لذا لجؤوا لأعداء المناذرة من آل كندة، فعقد أناستاسيوس معاهدة مع الحارث بن عمرو الكندي سنة ٥٠٢م، تم بمقتضاها إنهاء حالة الصراع بينهما والتحالف ضد إيران وحلفائها المناذرة [1]. ويؤيد هذه الروايات ما يرد عند المؤرخ يوشع العمودي، عن الحوادث في الحيرة في بداية القرن السادس الميلادي، بأن ملك الحيرة النعمان، اشترك مع الشاه الفارسي قباذ، في المعارك التي وقعت بين الفرس والبيزنطيين [2].

تقدم النعمان في عام ٥٠٢م بقواته من الجنوب إلى منطقة حران فنهب وسبى وخرب حتى حدود اذاسا (الرها)، وفي عام ٥٠٣م هاجم المناذرة منطقة الخابور(شمال سورية)[3]، فصدهم عنها قائد حامية مدينة قللينيقة (الرقة)، وفي هذه الأثناء وجه آل كندة ضرباتهم إلى حيرة النعمان، التي كانت ذات حراسة ضعيفة بسبب خروج الجيش في حملة عسكرية[4].

صحيح أن المعاهدة التي عقدها أناستاسيوس مع آل كندة كانت موجهة ضد الفرس والمناذرة معاً، ولكن لم يكن سببها هجوم المناذرة على أملاك البيزنطيين، إنما كان بسبب هجوم آل كندة على أملاك البيزنطيين وخاصة فلسطين التي

١- فرعون (محمود): دور مملكة كندة السياسي في شمال الجزيرة العربية (في القرنين الخامس والسادس الميلاديين)، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٥٥-٥٦، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢١.

Joshua the Stylite, op cit, pp.40-41.

2-Joshua the Stylite, op cit, pp.40-45.

أولندر (جانار): ملوك كندة من بني آكل المرار، ترجمة عبد الجبار المطلبي، المكتبة الوطنية ، بغداد، ١٩٧٢م، ص١٠٧.

٣- فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢١.

4-Joshua the Stylite, op cit, pp.45-46

أثناسيو، المرجع السابق،ج١، ص١٤١. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٢٥.

أغـاروا عليهـا مـرتين انتصـروا في الثانيـة علـى واليهـا البيزنطـي[1]، لـذلك قـرر الإمبراطور البيزنطي الاستفادة من قوة كندة للوقوف لجانبه ضد أعدائه، وحماية أملاكه من هجماتهم بالتحالف معهم[2].

مايثير التساؤل هنا أين كان الغساسنة عمال البيزنطيين عن هذه الأحداث؟!!. يبدو أن الغساسنة كانوا يعانون من الضعف في بداية عهد أبو شمر جبلة الذي حكم بين عامي (٥٠٠ – ٥٢٩م)[3]، ولم يكونوا بعد قد تعاونوا مع البيزنطيين، خاصة أن الدول الكبرى من مصلحتها التعاون مع من يتمكن من مساعدتها والوقوف إلى جانبها عند الشدائد، وكان الدور لآل كندة والمناذرة ولم يحن بعد دور آل غسان.

استمر المناذرة لجانب الفرس في معاركهم، فشارك النعمان الثاني في معركة قرقيسيا[4] حيث أصيب بجروح أودت بحياته، فاعتلى العرش أبو يعفر(٥٠٣-٥٠٥م)[5] من لخم[6].

١- خربوطلي(شكران)، زكار(سهيل): تاريخ الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية): جامعة دمشق، ٢٠٠٣م، ص٢١٥. هبو(أحمد رحيم): تاريخ العرب قبل الإسلام، حلب، ١٩٨٠م، ص١٣٦.

٢- فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢١.

٣- أثناسيو، المرجع السابق،ج١، ص١٤١. خربوطلي زكار، المرجع السابق، ص١٧٣.

٤- قرقيسيا، بلدة تقع عند التقاء نهر الخابور بالفرات. الإصطخري، المصدر السابق، ٥٤. البكري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٦٦. الحموي، المصدر السابق، ج٤، مادة قرقيسيا، ص٣٧٣.

٥- هو أبو يعفر بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن غارة بن لخم. علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢١٦.

٦- يعتقد جواد علي أن سبب حملة الكنديين على المناذرة هو ضعفهم نتيجة وصول أبو يعفر للحكم عندهم، وبرزو الحارث الكندي في العراق، الذي استطاع أن يبسط سيطرته على الجزء الأعظم من أملاك اللخميين خلال أعوام الاضطراب ما بين ٥٠٣و٥٠٦م أثناء الحرب بين بيزنطة وإيران.

علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢١٦. فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢١.

. المنذر الثالث بن امرىء القيس بن النعمان بن ماء السماء (٥٠٥ – ٥٥٤م).

بعد أن حكم أبو يعفر ثلاث سنين عاد عرش الحيرة للخميين حيث وصل المنذر الثالث بن أمرئ القيس[1] (ماء السماء) للحكم(٥٠٥ – ٥٥٤م). ولكن الوضع المضطرب لإيران التي تعاني من فتنة المزدكية أثر على سيادته، إذ فقد عرشه لصالح الحارث الكندي لعدة أعوام(٥٢٥- ٥٢٨م).

يبدو أن الحارث الكندي كان يتوق إلى اللقاء مع الفارسيين. بعد أن أفهم بيزنطة أنه ليس بالقوة الصغيرة في المنطقة العربية، وليس بالإمكان السيطرة عليه بسهولة، وربما كانت رغبته في التحالف مع الفرس وملكهم قباذ محصلة ظروف دولية كانت تخيم على شبه الجزيرة العربية، وافقت مصالح كل من الملك الكندي الذي كان يسعى للسيطرة على الحيرة، ورغبة الملك الفارسي بالتحالف مع بيزنطة عام ٥٠٦م[2]. أضف إلى ذلك رغبة الحارث الكندي في التحالف مع الفارسيين، ربما جاءت نتيجة تحرك قبيلتي بكر وتغلب باتجاه الشمال، تاركتين مناطقهما القديمة في اليمامة ونجد، لتستقرا في العراق على مقربة من الحدود الفارسية ، وأن هاتين القبيلتين كانتا تشكلان عماد قوته العسكرية وبدونهما كان لا يستطيع فرض شيء من رغباته السياسية، لذا وجب عليه أن يتلاءم مع الوضع الجديد، ويقبل بالتقارب مع الملك الفارسي، أما ما يتعلق بالجانب الفارسي

١- المنذر الثالث: هو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عدي بن نصر. الحلي، المصدر السابق، ج١، ص١٢١.

٢- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص٨٣. ابن حبيب(أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو): المحبر، تصحيح ايليزة شتيتر، دار الآفاق، بيروت، لبنانن ١٩٧٥م، ص٣٦٩. الحلي، المصدر السابق، ج١، ص٦٢. ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون، (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ج٢، ص٣١٧، ص٣٢٧. فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢١- ٢٢.

وملكه قباذ فقد رأت هذه الدولة لدى عاملها في الحيرة في تلك الأثناء المنذر بن ماء السماء، انحرافاً عن ولائه التقليدي للساسانيين وميلاً نحو بيزنطة.

وقد أيد قيام التقارب بين المنذر اللخمي وبيزنطة المفاوضات التي جرت بين الجانبين اثر الحملات العسكرية التي قام بها المنذر بن ماء السماء ضد ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية في سورية وآسية الصغرى، ففي عام ٥١٩م قام المنذر بغزو الحدود البيزنطية وأسر قائدين بيزنطيين،[١]، وأسفرت فيما بعد إلى عقد صلح وتحالف مع المنذر من خلال وفد أرسل للمفاوضة عام ٥٢٤م. فالتقارب بين المنذر وبيزنطة لم يرض الملك الفارسي وسياسته لذا سارع قباذ بطرده من الحيرة وتولية الحارث الكندي بن عمرو مكانه واتخذه حليفاً[٢].

تدل هذه الأحداث على مدى تحكم الفرس بشؤون حلفائهم العرب، فكأن المنطقة العربية الخاضعة للمناذرة عبارة عن ولاية ساسانية مع فارق بسيط، فبدل المرزبان الفارسي كان هناك أمير عربي.

ويظهر أن الظروف الدولية قد ساعدت في قيام التحالف بين كندة وإيران في هذه الآونة، لأن إيران كانت ترى في تحالفها مع كندة تحقيقاً لمصالحها الاقتصادية وطرق تجارتها المارة في الجزيرة العربية، بالإضافة إلى تأمين حدودها الجنوبية من هجمات القبائل العربية، لأن كندة هي المسيطرة على شرق الجزيرة ويمكن الافتراض أن التقارب مع كندة كان موجهاً ضد بيزنطة التي كانت تحث حليفتها الحبشة على غزو اليمن لحرمان الفرس من مد نفوذهم إلى هناك[٣].

تشير الدلائل على بقاء الحارث الكندي يحكم الحيرة حتى وصل كسرى أنوشروان لعرش إيران حيث نكل بالمزدكية، وبذلك تمكن المنذر الثالث من

١- مهران، تاريخ العرب القديم، ص٥٨٦.

٢- فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢٢.

٣- فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢٢، ٢٣.

العودة لعرشه وملاحقة عدوه الحارث[1]. هذا وقد أورد الطبري رؤية مخالفة لحادث انتصار الحارث الكندي على المنذر اللخمي، ذلك أن القبائل الخاضعة للكنديين قامت بغارة على السواد فاجتازت الحدود عند الفرات وأصرت على البقاء في المنطقة، مما جعل الحارث يطالب قباذ بجزء من هذه المنطقة[٢].

يلاحظ أن القبائل العربية كان لها أن تفرض رأيها على أي إمبراطور من أباطرة الدولتين الفارسية والبيزنطية على حد سواء، فلو لم يخف الفرس والبيزنطيون من انسياح العرب على أراضيهم ما عقدوا معهم المعاهدات وهادنوهم. ولكن يبقى السؤال من أين للعرب هذه القوة التي تفرض وجودها بين قوتين عظيمتين، لا تشكل جيوشهم شيئاً أمام جيوش البيزنطيين والفارسيين؟!!.

قام المناذرة في عام ٥١٨م بغارة على أملاك البيزنطيين. لنقف هنا عند هذه الغارة التي تشير وبالدليل القاطع إلى أن المنذر الثالث قد استعاد عرشه قبل وقت طويل من سقوط المزدكية٥٢٨م، والتي يرتبط بها مقتل الحارث بن عمرو الكندي الذي قتله المنذر، كما تبطل الادعاء بأن قبول الحارث للمزدكية ورفض المنذر الثالث لها كان السبب في عزل المنذر.

أغار المنذر الثالث عام ٥١٩م وبدرجة من العنف والقسوة على الأراضي البيزنطية، فغزا أرض الجزيرة وسورية وفلسطين، وخرب أراضي حمص وأفاميا[٣].

رد البيزنطيون على ذلك باقتحام منطقة أرزن[٤] التابعة للساسانيين ونهبوا نصيبين، بعد هذه الأحداث بعث كلا الإمبراطورين لعقد هدنة، لكن لم يتوصلا

١- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص٨٣. ابن حبيب، المصدر السابق، ص٣٦٩. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣١٨ — ٣١٩، ص٣٢٨. بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٩٥.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٩. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣١٧.
الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٥ — ص٩٦.

٣- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٠١. علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢١٦.

٤- أرزن، مدينة قرب خلاط في أرمينية، الحموي، المصدر السابق، ج١، مادة أرزن، ص١٨٠.

لحل وظل العداء مستحكماً وتجرأ المنذر الثالث عام ٥٢٨م[١] وغزا الأراضي البيزنطية ووصل إلى أنطاكية حيث سبى ٤٠٠ أربعمائة فتاة وقدمهن قرباناً للإلهة العزى[٢].

وبعد استعادة المنذر لزمام المبادرة بالقضاء على الحارث الكندي عام٥٢٨م. بدأ بنشاط عسكري مكثف وبهجمات متتالية على الحدود البيزنطية، فخرب وسبى وغنم الكثير. وكان يعود مع جنوده إلى قاعدته بعد أن يشبع نفسه من غنائم الحرب[٣]. إزاء هذا الهجوم قرر إمبراطور بيزنطة جوستنيان إرسال الجيوش لسورية ولكن هذه الجيوش لم تحضر لسورية ولم نسمع عنها شيء.

قام المنذر الثالث يرافقه جيش إيراني في عام ٥٣٠م بغارة عنيفة على أراضي الجزيرة وسورية، ولما كان بليزاريوس هو قائد الجيوش البيزنطية في الشرق فقد لحقت قواته بالمنذر وحلفائه الفرس عند الفرات، لم يكن بليزاريوس راغباً في الدخول في المعركة ولكنه اضطر على ذلك فالتحم الطرفان، وهنا في هذه المعركة وجد العرب أنفسهم وجهاً لوجه مع بعضهم البعض فكان الحارث الغساني لجانب البيزنطيين والمنذر الثالث لجانب الفرس فهجم جنود المنذر الثالث بضراوة على جند الحارث الغساني وأعملوا بهم السيف، وفي هذه المعركة قتل النعمان بن المنذر الثالث وقتل أحد قادة الغساسنة واسمه عمرو[٤].

١- مهران، تاريخ العرب القديم، ص٥٨٧.

٢-Michel Le Syrien, Chronique de Michel Le Syrien Patriarche Jaeobited d Antioche, édite la Première et traduite, Par J.B. Chabot, Paris – 1924.vole–II – PP. 270 – 271.

- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٠١. برو(توفيق): تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م، ص١٥٨. علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٢١.

الإله العزى كان عبارة عن شجرة نخيل. الأندلسي، المصدر السابق، ص٤٩١.

٣- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٠٦ -١٠٧.

4-Procopius – History Of The Wars – Vole 1 – P.171.

- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١١١- ١١٢. نولدكة، المرجع السابق، ص١٧.

السـؤال الـذي يطـرح نفسـه الآن هـو كيـف يعمـل العـرب سـيوفهم في رقـاب بعضهم؟!!. هل كانت السلطة سبباً في انعدام الرحمة على إخوانهم العرب بالرغم من أنهم على مذهبين مختلفين. أم هل كان حب الهيمنة والزعامة سبب ذلك؟!!. هل كانت المكاسب والمصالح هي السبب في وصول العرب لمثل هذه الحالة من انعدام الحمية؟!!.

إن السبب الأهم في وصول العرب لما هم فيه هو السيطرة على الأرض وطرق التجارة المارة بالأراضي العربية، والسلطة التي كان كل طرف منهما يعمل لكسبها على حساب الأخر وبدعم ومباركة من الدولة العظمى التي تدعمه، فكانت دماء أبنائهم رخيصة أمام الرغبة الجامحة للملك. وكأنهم سيصبحون دولة عظمى تناهض الفرس أو البيزنطيين في القوة والجبروت!!. وحتى إذا كان هذا هو الهدف فلماذا لم يتوحدوا لتحقيق ذلك؟!!. يبدو أن العرب لم يدركوا أهمية وحدتهم، أو أنهم كانوا غير معتادين على العيش في دولة واحدة أمام العادات التي تحكم حياتهم وطريقة عيشهم. وبقي هناك سؤال واحد هل كان للساسانيين والبيزنطيين دور في تزكية العداء بين العرب خشية وحدتهم؟!!. لأنه أصبح معروفاً لدينا أنهم يغذون الأحقاد ليكسبوا ولاء العرب لهم ولحماية حدودهم من غاراتهم.

شارك المنذر في أغلب حملات الفرس على الأراضي البيزنطية وخاصة منطقة الجزيرة وسورية، وقدم لهم خدمات كبيرة وكان حليفاً مخلصاً لهم. ولم تنقطع غاراته على الأراضي البيزنطية حتى في حالات السلم بين إيران وبيزنطة. وبثت غاراته الذعر في نفوس سكان مدن الحدود وتركت قواتهم العسكرية في حالة من التوتر المستديم[1]. وكان بحق كما وصفه بروكوبيوس بأنه أذل البيزنطيين

١- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، لينينغراد، ١٩٩٠م، ص ٩٢.

٥٠ عاماً[١].

عقد كسرى أنوشروان صلحاً مع البيزنطيين مباشرة بعد توليه العرش٥٣٢م، فكان ذلك مدة راحة لجميع الأطراف حتى يتخلصوا من مشكلاتهم الداخلية. وفي أواخر الثلاثينيات تهيأت الظروف والأحوال لتجدد الحرب بين الغساسنة والمناذرة، بتحريض من ملك الفرس كسرى أنوشروان لنقض المعاهدة، خاصة بعد شعوره بخطر البيزنطيين أمام النجاحات التي يحققونها على الجبهة الغربية. فبدأ المناذرة بالشكوى من اجتياز الغساسنة لحدودهم، ثم بدأوا بتخريب أراضي البيزنطيين، وأكثر من ذلك فقد ادعوا إن الاتفاقية لا تشملهم، إذ إنها لم تذكر لحالتهم أية شروط[٢].

بدأ النزاع حول الطريق التجاري المسمى (الاستراتا) **STRATA** الذي يتجه إلى الجنوب من تدمر باتجاه جنوب سورية، ويربط عدة نقاط هامة. وكان الغساسنة يحرسون هذه الطريق. وقد أكد الحارث بأن هذه الأرض تخص الإمبراطورية البيزنطية منذ زمن بعيد كما يتبين من اسمها اللاتيني، ومن جهة ثانية دلل المنذر الثالث أنه لا يختلف معه على الاسم، لكن الأعراب الذين يرعون بقطعانهم حوله يدفعون له الإتاوة، وبالتالي أراد أن يمتلك المنطقة. لحل النزاع أرسل جوستنيان مبعوثين للنظر فيه، كان هؤلاء المبعوثون صاحب الخزانة الإمبراطورية وقائد جيش فلسطين السابق[٣]. أما كسرى أنوشروان، فقد ادعى أن جوستنيان خرق الاتفاق باتصاله مع المنذر ومحاولته التأثير عليه واستمالته إليه، عندما أرسل القائد سوم إلى المنذر مع كتاب من القيصر يمنيه فيه بالوعود وبمبالغ طائلة من المال إذا انحاز إلى جانب البيزنطيين، فاطلع كسرى أنوشروان على رسالة جوستنيان للمنذر. وكذلك اتهم كسرى أنوشروان جوستنيان بأنه كتب إلى الهون يغريهم

١- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص٩٧.

٢- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١١٥. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص٩٢- ٩٣.

٣- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م) ص ٩٥-٩٦.

لمهاجمة أرض الفارسيين[1] . في هذه الأونة كان كسرى أنوشروان قد تمكن من السيطرة على شؤونه الداخلية، حيث قضى على المزدكية وأصلح نظام الضرائب، بالإضافة إلى إصلاحاته العسكرية على فرق الجند والأسلحة[2]. فاجتاحت جيوشه سورية، ووصلت حتى أنطاكية حيث سبى أهلها وبنى لهم مدينة مشابهة لها في السواد قرب طيسفون وأسكنهم فيها، وهي المسماة بالرومية[3].

بقي المنذر على ولائه وإخلاصه لحلفائه الفارسيين، وشارك في حملتهم على سورية عام ٥٤٢م، ووصل حتى فلسطين[4]. كما شارك بعد عامين في الأعمال العسكرية لإيران عند الرها، وكانت مهمته مع جنوده إلقاء القبض على الفارين من البيزنطيين. ولكن الفرس لم يتمكنوا من المدينة وانسحبوا مقابل المال الذي قدر بعشرين قنطاراً من الذهب، وتم عقد صلحٍ لمدة خمس سنوات[5].

تبين المراسلات التي تمت بين جوستنيان وكسرى أنوشروان على أهمية مملكة الحيرة ودورها السياسي والعسكري في أحداث الشرق الأدنى. فالقوة العسكرية التي امتلكها اللخميون وغاراتهم المستمرة على حدود الإمبراطورية البيزنطية، بث الرعب في نفوس سكانها وتركت قواتها العسكرية في حالة من التوتر الدائم[6].

تجددتِ الحربُ بين العرب عندما قام المنذر عام ٥٤٦ م بأسر أحد أبناء الحارث

1- Michel le Syrien – op. cit.– PP. 287
Procopius – History Of The Wars. Vole 2 – PP.261-263-
بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١١٧ – ١١٨. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص١٠٠-١٠١. نولدكه، المرجع السابق، ص١٨.

٢- مزيداً من التفاصيل عن الإصلاحات التي قام بها كسرى أنوشروان في الفصل الأول.

٣- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص٩٣-٩٧.

٤- Michel le Syrien – op. cit.– P. 296.

٥- Procopius – History Of The Wars.– Vole 2 – P.280.
بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٢٦.

٦- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)،ص٩٦-٩٧.

الغساني وتقديمه قرباناً للإله العزى[1]، وذلك عندما خرج إلى المراعي بقطيع من الإبل. كما قام المنذر الثالث بحرق ٤٠٠ فتاة عندما قدمهن قرابين للإله العزى[2]. وقد كان ثمن هذه الانتصارات التي حققها المنذر الثالث عمره، إذ تمكن الغساسنة من قتله في اليوم المشهور لدى العرب بيوم حليمة عام ٥٥٤م في منطقة قنسرين أو(الحيار)[3].

. دورُ العربِ في الصراعِ بعد مصرعِ المنذرِ الثالثِ.

خلف المنذر الثالث على حكم الحيرة ابنه عمرو[4] (٥٥٤ – ٥٧٠م)، وفي عهده وقَّع الفرس والبيزنطيون معاهدة عام ٥٦٢م، وقد ورد فيها مواد تتعلق بالعرب، فقد نصت المادة الثانية على بقاء الحلفاء العرب لكل من الدولتين، فلا يهاجم عرب البيزنطيين (الغساسنة) أراضي الفارسيين، ولا يهاجم عرب الفرس (المناذرة) أراضي البيزنطيين. كما تناولت المادة الخامسة التجار العرب وحظرت عليهم أن يسلكوا طريقاً غير الطريق المعتاد، وألا ينقلوا البضائع خارج نطاق مراكز المكوس. أما المادة التاسعة فقد حظرت شن الغارات على أملاك الآخرين سواء من العرب أو غير العرب[5].

١- Procopius – History Of The Wars.– Vole 2 – PP. 517-527

٢- Procopius – History Of The Wars. Vole 2 –P.519.

برو، المرجع السابق، ص١٦٠. بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٢٧.

٣- ابن قتيبة، المصدر السابق، ص٦٤٨. بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٢٧. جاد المولى بك(محمد أحمد): البجاوي(علي محمد) وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، دار االفكر،١٩٦١م، ص٥٥. علي، المرجع السابق،ج٣، ص٢٢٧.

٤- عمرو بن المنذر: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر، أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي آكل المرار، لذلك يلقب بعمرو بن هند. الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص٨٤. الحلي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٧. - مار ميخائيل الكبير، المصدر السابق، ج٢، ١٥٨.

٥- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٣٤- ١٣٧.

تبدي بنود المعاهدة المتعلقة بالعرب الأهمية الكبيرة التي شكلها هؤلاء وضرورة الحفاظ على قوتهم كل لصالح دولته، وتشير المادة الثانية لعدم إمكانية الدولتين الكبيرتين الاستغناء عن خدمات العرب، لذلك وجدوا أنه من الضرورة الحفاظ على ولائهم شريطة ألا يغيروا على الأراضي المجاورة لهم. كما بينت المادة الخامسة أن العرب كان لهم تجارة وكانوا يتاجرون مع الفرس والبيزنطيين على حد سواء، كما أنهم كانوا يرتادون طرقاً فرعية غير معروفة ليتخلصوا من المكوس. ويبدو أن تجارتهم هامة وإلا لماذا يفرضون عليهم المرور عبر مراكز المكوس؟!!. أما بالنسبة للمادة التاسعة فعلى ما يعتقد أن كلا الدولتين كانتا تخشيان من تأثير المنازعات بين العرب أنفسهم، أو مع جيرانهم على السلام والهدوء، لذلك وجدوا أن من الحكمة إلزام هؤلاء بضرورة عدم الاعتداء لئلا تنشب الحرب بين الدولتين الكبيرتين جرّاء هذه الغارات.

ومما يلفت الانتباه خلال مفاوضات السلم، مطالبة المناذرة لبيزنطة بدفع المبلغ الذي كانت تدفعه لهم من قبل (حوالي ١٠٠ رطل من الذهب). وقد ردت بيزنطة على هذا الطلب أن الذهب الذي كانت تدفعه إنما كان مجرد هدية وغير قائم على أسس قانونية[1].

خلف جوستين الثاني جوستنيان على العرش البيزنطي، فأرسل المناذرة سفارة لتهنئته ومطالبته بالمال. وفي الوقت نفسه وصلت سفارة كسرى أنوشروان لهناك للغرض نفسه، وحاول المبعوث الفارسي التوسط لهم عند الإمبراطور البيزنطي كي يستمع لمطالبهم، مما حدا بالإمبراطور أن يسأل "ما الذي يبغيه أعرابكم بالتحديد" ؟!!. ثم أذن لواحد فقط بمقابلته، غير أن ممثل اللخميين رأى أنه ليس من اللياقة أن يمثل أمام الإمبراطور بمفرده دون الوفد فامتنع. وتدخل السفير الفارسي للتوسط لهم لكن الإمبراطور البيزنطي رفض استقبالهم وتحدث عنهم بشكل سيء.

ويظهر من إلحاح السفير الفارسي على مطالب العرب خشية الفرس من

١- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص١٠١.

إغضاب اللخميين الذين كانوا يتمتعون بقوة عسكرية يعتمد عليها، وخوفاً من تطلعاتهم الاستقلالية[1]. لم يغفر العرب سلوك الإمبراطور تجاههم، لذلك أمر عمرو بن المنذر الثالث أخاه قابوس بمهاجمة الأراضي الغسانية. ولكن النتائج كانت عكسية إذ انتصر الغساسنة عليهم في المعركة، وهي المعركة المعروفة لدى العرب بيوم أباغ[2].

توفي عمرو بن المنذر وخلفه أخوه قابوس[3] (٥٧٠ – ٥٧٧م)، فجدد الإغارة على الأراضي البيزنطية بين عامي ٥٥٦ – ٥٥٧م[4]، واستغل هو والفرس النزاع الذي نشب بين البيزنطيين وعاملهم الغساني الذي ابتعد داخل الصحراء، وأقلع عن الدفاع عن الحدود البيزنطية. فهاجموا سورية ووصلوا حتى أنطاكية. وبعد ثلاثة أعوام تجددت العلاقات الحسنة بين البيزنطيين وعاملهم الغساني، الذي غزا الحيرة وغنم منها غنائم كثيرة.

خلف المنذر بن المنذر عمه (٥٧٧ – ٥٨٠م) على الحكم في الحيرة، واتسم عهده بالقسوة والجبروت، وبعد أربع سنوات وصل النعمان بن المنذر[5](٥٨٠ – ٦٠٢م) للحكم، واتسم عهده بسوء العلاقة مع حلفائه الفارسيين. كما تميزت مدة حكمه بازدياد قوة القبائل العربية في وسط الجزيرة وشمالها. وتقلص نفوذ الحيرة عن كثير من القبائل، وفقدوا سلطتهم على طرق التجارة المارة بالجزيرة العربية، وأخذت قبائل العرب بالتحرش بقوافل تجار الحيرة والفارسيين، وتذكر المصادر عدة وقائع بين اللخميين والقبائل المناوئة لهم.

١- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)،ص١٠١-١٠٤.

٢- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٤٢ - ١٤٣. جاد المولى بك، المرجع السابق، ص٥٢. علي، المرجع السابق،ج٣، ص٢٥٨. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص١٠٤.

٣- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك أارض والأنبياء، ص٨٥. الحلي، المصدر السابق، ج١، ص١٤١

٤- مهران، تاريخ العرب القديم، ص٥٠٩.

٥- الحلي، المصدر السابق، ج١، ص١٤٢.

ويبدو أن الصراع الداخلي في إيران على السلطة، وانشغالهم بالحروب المستمرة مع الترك والبيزنطيين، هو الذي دفع القبائل العربية إلى الاستهانة بالفارسيين. ويذكر الطبري وابن مسكويه أن انشغال هرمز بن كسرى أنوشروان في حروبه مع الترك والبيزنطيين دفع بعض قبائل العرب بالتقدم نحو شواطئ الفرات، وهاجموا أرض السواد[1]. فإن صحت هذه الروايات يمكن الاستنتاج أن اللخميين تواطؤوا بالفعل مع هذه القبائل وسمحوا لها بمهاجمة الحدود الفارسية ، وإلا لما استطاعت هذه القبائل مهاجمة الأراضي الفارسية . وربما كان اللخميون يهدفون من وراء ذلك الضغط على إيران المنشغلة بالأحداث الداخلية، والتقرب من القبائل العربية، وإعطاء صورة عن اللخميين بأنهم ليسوا كما يُظَنُّ عمالاً للساسانين فقط، بل لهم استقلاليتهم وعلاقاتهم الخاصة مع القبائل العربية[2].

ويؤيد هذا الاستنتاج خطاب النعمان بن المنذر ملك الحيرة لوفدٍ من القبائل العربية جاء إليه. " إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانتكم، وليس شيءٌ أحبَّ إلي ما سدد الله أمركم وأصلح به شأنكم، وأدام به عزكم، والرأي أن تسيروا أيها الرهط ...... وليعلم كسرى أن العرب على غير ما ظن أو حدَّثَ نفسه"[3].

من هذا النص تبدو نزعة النعمان إلى الاستقلال وميله إلى التقرب من القبائل العربية. وقد كشف النعمان عن استقلاله في علاقاته مع الملك الفارسي وخاصة أثناء الصراع على السلطة في إيران ومحنة كسرى أبرويز حين فر من وجه بهرام جوبين، فالنعمان لم يقدم له العون ولم يذهب معه، حتى أنه يقال إن النعمان رفض أن يعطي كسرى أبرويز جواداً عربياً كان قد طلبه، كما رفض أن يزوجه

١- ابن مسكويه، المصدر السابق، ج١، ص١١٩.

٢- الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص١٠٥ - ١٠٦.

٣- فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، ص١٠٦.

ابنته[1]. فلكل هذا حقد كسرى أبرويز عليه، وعندما انتهى من مقاتلة أعدائه، أراد تسوية حسابه مع خصومه ومن بينهم النعمان، وفيما بين سنتي ٥٩٥و٦٠٤م نتيجة خلافه مع كسرى أبرويز سجنه الأخير ثم قتله، وانتزع حينئذ مملكة الحيرة من أسرة اللخميين ليعهد بها إلى إياس بن قبيصة[2] من قبيلة طيء، وعينوا لجانبه حاكماً إيرانياً لإدارة شؤونها[3].

وتورد المصادر العربية روايات مختلفة حول الطريقة التي قتل فيها النعمان، فبعضها يؤكد أنه مات في السجن مسموماً، وبعضها الآخر يقول بأنه مات تحت أقدام الفيلة[4].

ويبدو أن تطلعات اللخميين نحو الاستقلال، وإتباعهم سياسة التقرب من قبائل وسط وشمال الجزيرة العربية. لم تكن ترضي الفارسيين، وأثارت مخاوفهم ودفعتهم إلى إقصاء الأسرة اللخمية الحاكمة، ويتجلى ذلك بوضوح من قول كسرى أبرويز في تبريره لقتل النعمان بن المنذر " وأما ما زعمت من قتلي النعمان بن المنذر وإزالةِ الملك عن آل عمرو بن عدي إلى إياس بن قبيصة. فإن النعمان وأهل بيته واطؤوا العرب، وأعلموهم وتوكّفَهم خروج المُلك عنا إليهم وقد وقعت إليهم في ذلك

١- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٤٤- ١٤٥. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ — ٧م)، ص١٠٦ -١٠٧.

٢- إياس بن قبيصة، هو إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن حية بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن منقذ بن هبى بن عمرو بن الغوث بن طي. الحلي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٠.

٣- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص٨٦. ابن حبيب، المصدر السابق، ص٣٦٠. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣٢٠. بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص١٤٥- ١٤٦. علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٩١. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ — ٧م)،ص١٠٧.

٤- علي، المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٨ وما بعدها.

كتبٌ فقتلته، ووليت الأمر أعرابياً لا يفعل من ذلك شيئاً"[1]. وبمقتل النعمان وإبعاد الأسرة اللخمية عن الحكم، كانت البداية لسقوط دولة الحيرة وانهيارها فيما بعد.

١- فرعون السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن (٣-٧) ، ص١٠٧.

الفصل الرابع

الصراع الفارسي البيزنطي على شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي

١ـ موقع شبه الجزيرة العربية.

٢– السياسة البيزنطية تجاه شبه الجزيرة العربية.

- أهمية شبه الجزيرة العربية بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية.
- علاقة الإمبراطورية البيزنطية مع القبائل العربية .
- التواجد الفارسي في المياه العربية وشبه الجزيرة العربية.

٣ـ الصراع الديني أحد مظاهر التنافس الفارسي البيزنطي.

٤ ـ السياسة الفارسية تجاه شبه الجزيرة العربية.

- أهمية اليمن بالنسبة للدولة الفارسية.
- النشاط السياسي الفارسي في شبه الجزيرة العربية
- اليمن في ظل حكم الأحباش.
- اليمن في ظل السيادة الوطنية والفارسية.

١- موقع شبه الجزيرة العربية:

تقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غربي آسية، وتعد جسراً للعبور من آسية إلى أفريقيا، ومن آسية إلى أوروبة. يحدها من الشرق الخليج العربي وبحر عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي، ونهر الفرات شمالاً. وتختلف التضاريس في شبه الجزيرة باختلاف أجزائها إذ يغطي بعضها كثبان رملية والبعض الآخر صخور. وتمتد على طول ساحل البحر الأحمر سلسة جبال السراة[١] وفي وسطها سلسلتا سلمى وأجأ جبلي شمر[٢] كما تحوي الحرات وصحراء الدهناء والنفوذ[٣]. وقد قسمها مؤرخو الرومان إلى ثلاثة أقسام: العربية الصخرية والعربية الصحراوية والعربية السعيدة. كما قسمها العرب إلى خمسة أقسام هي الحجاز، تهامة، اليمن، العروض ونجد[٤].

الحجاز يقع شمالي اليمن وشرقي تهامة ويتكون من عدة أودية تتخلل سلسلة جبال السراة[٥]. تهامة وهي الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر، وسميت بذلك لشدة حرها وركود ريحها[٦]. نجد النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف وجمعها نجاد[٧]. العروض وهو الشيء المعترض والعرض الجانب(٨)،

١- السراة: أعلى كل شيء، إنما سمي السراة لعلوه. الحموي، المصدر السابق،ج٢، مادة سراة، ص٢٣٠.

٢- الحموي، المصدر السابق، ج١، مادة أجأ وسلمى، ص١١٩وما بعد، ج٣، مادة سلمى، ص٢٧٠.

٣- حتي(فيليب) وآخرون: تاريخ العرب، دار غندور، ط٨، ١٩٩٠م، ص٤٢- ٤٣.

٤- البكري، المصدر السابق،ج١، ص٣٤٤. الحموي، المصدر السابق، مادة جزيرة،ج٢، ص ١٥٩- ص١٦٠، مادة حجاز، ج٢، ص٢٥٢- ص٢٥٥. الهمذاني(حسن بن أحمد بن يعقوب): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركزالدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،ط٣، ١٩٨٣م، ص٥٨.

٥- الحموي، المصدر السابق، ج٣، مادة سراة، ص٢٣٠وما بعد.

٦- الاصطخري، المصدر السابق، ص٢٦. البكري، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٢. الحموي، المصدر السابق، ج٢، مادة تهامة، ص٧٤- ص٧٥. ناصر خسرو، المصدر السابق، ص١٤٢.

٧- الحموي، المصدر السابق،ج٥، مادة نجد، ص٣٠٣. البكري، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٩٨.

٨- الحموي، المصدر السابق، ج٤، مادة عروض، ص١٢٦.

وسميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق. أما اليمن فهو القسم الجنوبي من الجزيرة العربية، وهي منطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض[1].

٢ً- السياسة البيزنطية تجاه شبه الجزيرة العربية.

شغلت الجزيرة العربية دوراً هاماً في العالم القديم، بسبب موقعها الاستراتيجي الهام الذي شكل حلقة اتصال في التجارة الدولية بين الشرق والغرب. بالإضافة إلى المنتجات الهامة المتوفرة في شبه الجزيرة العربية كاللبان[٢] والسدر والمر[٣] والصمغ[٤] وغيرها، التي كانت تستخدم في المعابد والكنائس وتحنيط الموتى، يضاف إلى ذلك العمل التجاري ونقل البضائع ومنتجات الشرق الأقصى.

كما شغل البحر الأحمر دوراً هاماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وعرَّضها لقوى خارجية ضغطت عليها، وحاولت التأثير عليها سياسياً واقتصادياً، ذلك أن البحر الأحمر كان موضع اهتمام الدول الكبرى آنذاك. لذلك تأثرت شبه الجزيرة العربية بصراع الدول الكبرى في السيطرة على هذا البحر؛ الذي زاد من أهميته كونه يشكّل مع الخليج العربي وحدة ملاحية متكاملة ومترابطة تحيط

١- عوض الله(أحمد أبو الفضل): مكة في عصر ما قبل الإسلام، مطبوعات دار الملك عبد العزيز،المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨١، ص٢٢- ص٢٧.

٢- اللبان، نوع من مادة صمغية لها رائحة عطرة يتم الحصول عليها من قلب أشجار معينة تنمو في آسية وإفريقيا تستخدم بخوراً في المراسم الدينية. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٢١، ص٦١.

٣- المر، صمغ زكي الرائحة يستخرج من أشجار وشجيرات معينة توجد شمال شرق إفريقيا والشرق الأوسط، يجمع صمغه ويستعمل في الأدوية والبخور والعطور. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج٢٣، ص٦٥.

٤- حتي، المرجع السابق، ص٧٧ – ص٧٨. خربوطلي، زكار، المرجع السابق، ص٦١.

بالجزيرة العربية [1] ؛ مما جعل بلاد العرب معبراً سهلاً وقصيراً للتجارة بين الشرق والغرب، وملتقىً للطرق بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، ومن هنا عملت الدول المهتمة بالتجارة على فرض نفوذها على السواحل العربية، رغبةً منها في التحكم بمنافذ البحار المحيطة بها[2].

وكانت الحركة التجارية تروح وتغدو بين مناطق البحر المتوسط والشرق الأقصى، عبر الطرق التجارية التي تتخلل شبه الجزيرة العربية والمحطات التجارية الهامة فيها، فالقوافل المتجهة جنوباً لا بد لها من المرور عبر محطاتها، وكذلك السفن المتجهة شمالاً (عبر البحر الأحمر أو عبر الخليج العربي) ستمر بدون شك عبر موانئها. ولذا كانت الجزيرة العربية ميداناً للصراع بين الدول الكبرى المهتمة بعالم التجارة كالإمبراطورية البيزنطية، ومن دار في فلكها كدولة الأحباش، وبين الدولة الفارسية . فكل منهم كانت ترغب في السيطرة على هذا الجزء من العالم .لأن السيطرة عليه تعني التحكم بطرق التجارة التي تمر فيه، وبالتالي التحكم في تجارة الشرق الأقصى [3].

و تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه القوافل التجارية بحاجة إلى من يحميها، ويحافظ عليها من غارات الأعداء واللصوص، فاشتدت حاجة الفرس والبيزنطيين للقبائل العربية في المنطقة للعمل على حمايتها.

لأجل ذلك حاولت هذه الدول التحكم في مسالك البحار المحيطة بالجزيرة العربية من الشرق والغرب والجنوب، وفي طرق القوافل الممتدة في أرجائها الوعرة

١- الناصري (سيد أحمد علي): الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني. ص ٤٠١.

٢- شهاب (حسن صالح): فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٣٩.

٣ - دلو (برهان الدين): جزيرة العرب قبل الإسلام، الفارابي، بيروت،١٩٨٩م، ج٢، ص٢٢٢.

القاحلة [1] . ومن هنا لم يتمكن البحارة العرب من مواجهة السفن البيزنطية التي اخترقت عباب البحر الأحمر والخليج العربي، وحتى المحيط الهندي. وذلك بسبب ضعفهم وبدائية سفنهم التي لم يتمكنوا من تحسينها أمام انعدام الأخشاب الصالحة لذلك، وقلة الأيدي العاملة الماهرة [2].

ويتساءل المرء هنا لماذا لم يكن العرب على مهارة كافية في صنع السفن؟!!. ألم يكن هؤلاء يدركون أهمية منطقتهم التجارية؟!!. ألم يقتنعوا بضرورة سيطرتهم على الطرق التجارية على الأقل الطرق التي تخترق عباب بلادهم؟!!.

يعتقد أنَّ العرب كانوا على دراية تامة بأهمية بلادهم التجارية، خاصة وأنهم يقومون بحماية القوافل التي تسلك طرقهم التجارية. ولكن على ما يبدو أن الأخشاب التي تشكل المادة الأساسية في صنع السفن كانت قليلةً في بلادهم، وذلك بسبب تعاقب الحضارات واستهلاك الأخشاب على مر الأحقاب والأيام، خاصة وأن الخشب لم يقتصر استخدامه على صناعة السفن فقط، بل كان مادة أساسية في صناعة أشياء كثيرة كأثاث المنازل والتدفئة وغيرها.

وعلى اعتبار أنَّ الإمبراطورية البيزنطية إحدى هذه الدول، فقد اعتمدت على اتخاذ البحار والأراضي التي لا يمكن اختراقها حدوداً طبيعية تقف عندها أعمال توسعهم . في حين أن الحدود التي لا تتمتع بحصانة طبيعية، فقد دأبوا على حمايتها بالتحالف مع الجيران المطلين عليها[3] ، وذلك ضماناً لمصالحهم التجارية آنذاك .

أما موقف العرب فقد كان من مصلحتهم التعامل المستمر مع القوى الخارجية الطامعة في التحكم بمسالك التجارة عبر هذا الجزء أو ذاك من بلادهم، التي

---

١ - ابن خرداذابة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله): المسالك والممالك، دار المدينة، مطبعة بريك، ١٨٨٩م، ص ١٣٤ . شهاب، المرجع السابق، ص ٣٩.

2-Moscati(Sabatino), History et Civilization,des Peuples Semitiques, Paris, 1954, PP. 212-213-214 .

٣- عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م ، ج١، ص٥٧.

تعتمد وبشكل أساسي على التجارة [1]، فقد اهتم البيزنطيون بأمر التجارة، فالتجارة مورد رزق كبير ولا سيما مع الأقطار الشرقية، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوروبة ، تجني منها الحكومات أرباحاً كثيرة ويأتي على رأس هذه البضائع النفيسة الحرير الصيني، والتوابل والعطور وغير ذلك من مواد ترفيهية ازداد الطلب عليها بازدياد التقدم الحضاري في أوروبة، الذي كان يرد إلى الإمبراطورية من الصين والهند، وقد ازداد الإقبال عليه بصورة مضطردة مع زيادة أسباب الترف، إذ كان يلاقي إقبالا كبيراً من أثرياء الإمبراطورية وأثرياء روما وبقية أوروبة .

وبناء على ذلك كان على الإمبراطورية البيزنطية أن تتصل بالدولة الفارسية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار وتعيين الضرائب، وذلك بسبب ورود هذه البضائع عبر هذه الدولة. إذ كانت سلعة التجارة الأساسية الحرير الصيني، فكان التجار يأتون بالحرير من أسواق الصين عبر أراضي الدولة الفارسية لتسلمها إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية ومنها إلى العاصمة [2].

وبالإضافة إلى الحرير الصيني لاقت التوابل والعطور والقطن والأحجار الكريمة و سلع أخرى رواجاً واسعاً في بيزنطة [3]. هذا ولم تقتصر سيطرة الدولة الفارسية على الطريق الشمالي فقط، بل امتدت سيطرتها إلى الطرق الأخرى كطريق الخليج العربي الذي كانت تشغله السفن الفارسية ، وتسيطر على حركته التجارية ذهاباً وإياباً. وحتى طريق البحر الأحمر الذي حاولت بيزنطة من خلاله كسر طوق الاحتكار الفارسي للتجارة عن طريق احتلالها اليمن، كان

١- حتي، المرجع السابق، ص٩٦- ص١٠٢. سالم (عبد العزيز): تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص١٨٨ حتى ص٢٠٣.

٢ - بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م، ص٦٧- ص٢٧٧. علي، المرجع السابق، ج ٤، ص١٦٩.

3-Vasiliev (A.A)- Histoire de L Empire Byzantum – Tranduit D.U Russate – Brodin et A.Bourguing – Préface de M. Ch Diehi de Dinstitut – Tom 1 -324 – 1081 –Paris Editions A Picard- 1932.– P. 214.

يتأثر وبشكل مباشر بسبب سيطرة التجار الفرس السائدة على الأسواق في الشرق الأقصى إذ لم تكن الإمبراطورية البيزنطية ذات علاقة تجارية مباشرة مع بلدان الشرق الأقصى، وكانت الدولة الفارسية آنذاك تقوم بدور الوسيط محققة بذلك أرباحاً خيالية نتيجة التعامل التجاري الذي كانت تقوم به مع الإمبراطورية البيزنطية.

لكن هذا لا يعني أنَّ الإمبراطوريةَ البيزنطيةَ استسلمت للسيطرة الفارسية ، بل حاولت أكثر من مرة تأمين حاجتها من مواد الشرق الأقصى الضرورية بعيداً عن النفوذ الفارسي، فهذا جوستين الثاني يعقد حلفاً مع الترك لتأمين سلع التجارة عن طريق البحرالأسود دون المرور في الأراضي الفارسية [1].

يتم بلوغ بلدان الشرق الأقصى عبر طريقين تجاريين أحدهما بري والآخر بحري. كان الأول متصلاً بقوافل تبدأ من الحدود الغربية للصين مروراً ببلاد الصغد (بخارى الحالية)، وصولاً إلى الحدود الفارسية حيث تنتقل البضائع من أيدي تجار الهند والصين إلى أيدي التجار الفارسيين، الذين يقومون بدورهم بنقلها بعيداً إلى مراكز الجمارك البيزنطية. أما الطريق البحري فيتبع الخطوات التالية: يقوم التجار الصينيون بنقل بضائعهم بواسطة مراكب وبواخر إلى جزيرة سيلان، ومن ثم تنقل البضائع بواسطة سفن إيرانية عبر المحيط الهندي والخليج العربي، وصولاً إلى مصب نهري دجلة والفرات ومنه إلى مراكز الجمارك البيزنطية المتوضعة على نهر الفرات[2].

وقد شغل العرب دوراً كبيراً في هذا الطريق الذي يحاذي حدود بلادهم الشرقية، وقاموا بحماية القوافل مما تتعرض له من طوارئ في الطريق، كقطاع الطرق وعمليات السلب التي كان يقوم بها الأعراب.

---

١ - فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص.١١٤

2-P.214. Vasiliev- Histoire de L Empire Byzantum.tom 1,

ـ أهميـة شـبه الجزيـرة العربيـة بالنسـبة للإمبراطوريـة البيزنطية.

بما أن العلاقات البيزنطية- الفارسية كانت في توتر دائم في وقت زادت فيه الحاجة إلى منتجات الشرق الأقصى، فقد اضطرت الإمبراطورية البيزنطية للتفكير في الحصول على ذلك عن طريق البحر الأحمر[1]، الذي يضمن لها وصول ما تحتاج إليه من الهند والصين إلى البحر الأحمر، ومنه إلى بيزنطة ولضمان ذلك وضع جوستنيان خطة مفادها الاتصال المباشر بالأسواق الرئيسية المصدرة، ونقل المشتريات إلى الإمبراطورية عبر البحر الأحمر[2].

من الواضح أن أوضاع مصر التابعة للإمبراطورية البيزنطية قد تأثرت بالوضع العام لبيزنطة، ويعتقد أنها نالت من الإهمال ما نالته سورية وآسية الصغرى وغيرها من الولايات البيزنطية الأخرى، إزاء اهتمام بيزنطة بالوضع في إيطاليا لطرد الغزاة منها، من المؤكد أن بيزنطة كانت على معرفة تامة بالوضع هناك، لأن مصر واحدة من أهم ولاياتها ويعنيها استقرار الوضع فيها، ولكنها لم تعر ذلك اهتماماً يذكر ربما لأن مصر كانت بعيدة عن أطماع أعدائها.

والواضح أن السلطة المركزية استفادت من النشاط التجاري بالبلاد، بما فرضته على المتاجر من مكوس جمركية ففي زمن جوستنيان كانت هذه المكوس باهظة جداً، يبرهن هذا أن (جوستنيان) قرر في المرسوم الثالث عشر الصادر سنة ٥٣٨م، تخفيض مقدار الضريبة المقررة على المتاجر المصدرة من الإسكندرية، وقرر أيضاً فرض رسوم على السلع التي تصدر من الموانئ المصرية

١- بينز، المرجع السابق، ص٢٧٥. عثمان، المرجع السابق، ج١، ص١٢٠. علي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٠. فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص١٣٠- ص ١٣١.

٢- درازكة (صالح): مقالة بعنوان لمحات من تاريخ أيلة، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٥-١٦، جامعة دمشق، ١٩٨٣م، ص٧١. علي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٠.

الأخرى، وعلى السلع التي ترد إليها[١].

كان من غير الممكن تحقيق السيطرة على هذا البحر وتأمين المواد المطلوبة إلا بعملين: الأول عسكري يعتمد على القوة. والثاني سياسي يتم بالتقرب من الحبشة التي تدين بالنصرانية مثلها، فيمكن التودد لها باسم الأخوة في الدين، وإرسال مبشرين إلى الجزيرة العربية لتنصير سادتها[٢].

هكذا تلحق ضرراً كبيراً بالفرس وتضمن نقل التجارة نحو الغرب بكل حرية وأمان[٣]. وقد نجحت الدبلوماسية البيزنطية في هذا المجال نجاحاً أدى إلى غزو الحبشة لليمن بتحريض منها [٤].

الواقع أن الدبلوماسية البيزنطية تجاه الحبشة منذ القرن الرابع وحتى عهد جوستنيان، دار محورها حول المحافظة على المصالح الاقتصادية للإمبراطورية البيزنطية، على ضوء حرمان الفرس للسفن البيزنطية من الوصول إلى السواحل الغربية للهند وجزيرة سيلان من ناحية، وعلى ضوء تحكم الفرس الاقتصادي في تجارة بيزنطة البرية مع الشرق من ناحية ثانية. بالإضافة إلى نجاح الحبشة في القيام بدور الوسيط التجاري في ميدان الملاحة مع الهند، ونقلهم السلع التجارية الشرقية والأفريقية من ناحية ثالثة[٥].

كل ذلك دفع الإمبراطور جوستنيان لإرسال رسول لنجاشي الحبشة وتودد له باسم الدين، ليكون وسيطاً لتسهيل عملية شراء الحرير من جزيرة سيلان وبيعه للبيزنطيين، وذلك لتفادي انقطاع هذه المادة خلال الحروب مع الفارسيين، ولتقليل

١- العريني(السيد الباز): مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص١٨١.

٢- علي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧١.

٣- علي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٠- ١٧١.

٤- أرياني (مظهر): نقوش مسندية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، ١٩٩٠م، ص٣٢٩.

شريف (أحمد إبراهيم): مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ص ١٦١.

٥- الشاعر، المرجع السابق، ص١٧٣- ص١٧٤.

تحكم الفرس بأسعارها وللحد من ورود أموالهم إلى الخزينة الفارسية . لكن جهوده باءت بالفشل لأن الأحباش لم يتمكنوا من منافسة الفرس في سيلان، ولا حتى في الهند التي كانت تتاجر في هذه المواد الثمينة، وذلك لضعف القوة الاقتصادية الحبشية أمام القوة الفارسية[1].

وعلى ضوء تطور العلاقات الدبلوماسية بين بيزنطة والحبشة، بذل جوستنيان جهوداً كبيرة لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ضد عدوه في الشرق (إيران). وكان هدف هذه الدبلوماسية توحيد قوى الأكسوميين والحميريين وبدو وسط الجزيرة العربية وشمالها، لخلق تهديد لقوات الفرس وحلفائهم اللخميين [2].

إلا أن هذه الدبلوماسية أخفقت في تحقيق الأهداف الاقتصادية المشتركة، ومرد ذلك يعود إلى التنافس بين التجار الفرس والأحباش، إذ كان التجار الفرس على استعداد تام لشراء كل الحمولات وبأسعار عالية من ناحية، ولرفض أصحاب السفن التجارية لطلب الحبشة من ناحية ثانية [3].

كانت خطة جوستنيان لفتة سياسية ذكية لكسر الاحتكار الفارسي للتجارة، ولكن كان عليه أن يضمن سوق الشراء في الشرق الأقصى، بمعنى أن يجعلهم يشترون البضائع بسعر يفوق الأسعار الفارسية ليضمن نجاح خطته.

إضافة لذلك ما واجهته الدبلوماسية البيزنطية في اليمن التي استولى عليها أبرهة، وأصبح من الضروري الزج به في حلبة الصراع الفارسي – البيزنطي، فباءت جهودها بالفشل رغم الوعود العديدة التي قطعها أبرهة على نفسه للإمبراطور

١- حوراني (جورج فضلو): العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٠٣. رستم، الروم، ج١، ص١٧٧.

٢ - كوبيشانوف (يوري ميخايلوفتش): الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلادي، ترجمة صلاح هاشم، عمان،١٩٨٨م ، ص.٩٦

٣ - الشاعر، المرجع السابق، ص١٧٩.

جوستنيان [1]. الذي عمل على استمالته للمحافظة على أمن طريق التجارة بين اليمن والشام وسلامته، في وقت اشتدت فيه الصراعات السياسية والاقتصادية بين الفرس والبيزنطيين .

استغل أهل مكة الوضع السيئ الذي طرأ على اليمن بدخول الأحباش إليها ، وتردي الأوضاع السياسية فيها ، والاضطرابات المستمرة التي وقعت بتصادم الوطنيين والغزاة الأحباش وتخلصوا من السيطرة اليمنية على طريق التجارة الغربي. فوجدت قريش نفسها في وضع يمكنها من ممارسة التجارة فقامت بدور الوسيط (أي أخذت مكان اليمن في السيطرة على الطريق الداخلي للتجارة)، وحصلت على أرباح طائلة جعلتها من أغنى العرب إذ أصبحت جسراً ربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، هو كيف تعاملت الإمبراطورية البيزنطية مع القبائل العربية ؟!!.

. علاقة الإمبراطورية البيزنطية مع القبائل العربية .

شغلت القبائل العربية وضعاً متميزاً على الحدود البيزنطية الفارسية ، واقتصرت مشاركة هذه القبائل في الحروب الدائرة بين هاتين الدولتين، على مد يد العون أو رفضه لهذا الطرف أو ذاك، مما ساعد على خلق ضرب من التعاون، لم تلبث أن ظهرت أبعاده بصورة متكاملة عندما تبوأت إمارتا الغساسنة والمناذرة مكانتهما ، التي تجلت بوضوح في القرن السادس.

ففي الوقت الذي قرر فيه جوستنيان استرداد الأجزاء الغربية من الإمبراطورية، نجد أنه عمل جاهداً على المحافظة على مناطق النفوذ عبر الحدود، متبعاً في ذلك أساليب متعددة : كان أولها تقديم الأموال إلى تلك القبائل على شكل إعانات

١- الشاعر، المرجع السابق، ص١٧٩. علي، المرجع السابق، ج٣، ص ٤٩٢. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٣٦.

٢- دلو، المرجع السابق، ج١، ص١٣٠. سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص٣٤١.

سنوية، مقابل ضبط الحدود وحمايتها وأن تمد الإمبراطورية بعدد من الجنود[1]. وقد قدم العرب الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب مثل تقديم الجمال والماء وكل ما يحتاج إليه الجيش في عبوره البوادي [2]. ومن الأساليب الأخرى إنعام جوستنيان على رؤساء هذه القبائل بالألقاب والرتب والمرتبات الخاصة بكل رتبة.

وعلى سبيل المثال قامت بيزنطة بعد إخراج الفرس للأحباش من اليمن، بمحاولة سياسية كان هدفها تنصيب أحد زعماء العرب الموالين لها على مكة، ووقع اختيارها على عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي[3]. ولكن باءت جهودها بالفشل فلم يتمكن عثمان من تحقيق حلمها بالسيطرة على مكة لصالحها[4]. كان هدف بيزنطة من ذلك تحقيق توازن بين نفوذها ونفوذ الفرس في الجنوب، فقد كان الفرس يسيطرون على صنعاء فوجدت أنَّ سيطرتها على مكة تعادل لا بل تفوق النفوذ الفارسي هناك. إلا أن سياستها فشلت وذرت الرياح حلم عثمان بالسيادة على مكة وقريش[5].

لهذا السبب اتخذت بيزنطة صداقات متعددة في بلاد العرب، لتقيم توازناً مع إمارة الحيرة الموالية للساسانيين من جهة، ولتأمن من شر هذه القبائل من جهة أخرى. وتعد صداقتها للملوك الغساسنة غنية عن التعريف[6].

---

١ - الشاعر، المرجع السابق، ص١٦٢.

٢ - علي، المرجع السابق،ج٢، ص٦٠٣.

٣- الحلي، المصدر السابق، ج١، ص٦٤ – ص٦٥.

٤- بكار(أبي عبد الله الزبير): جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، ١٩٧٠م، ص٤٢٥ – ص٤٣١. الزبيري، المصدر السابق، ص٢٠٩ – ص٢١٠. علي، المرجع السابق، ج٤، ٩٢.

٥- عوض الله، المرجع السابق، ص١٣٣. شريف، المرجع السابق، ص ١٦١.

ابن حبيب: المصدر السابق، ص١٧١. المصعب الزبيري، المصدر السابق، ص٢٠٩ – ٢١٠. علي، المرجع السابق، ج٤، ص٣٩.

٦- نولدكه، المرجع السابق، ص١١، ص١٢.

و من الممكن هنا أن نطرح الأسئلة التالية :

- ألم يشكل البحر الأحمر أهمية بالنسبة للدولة الفارسية ؟!!.

- ماذا فعلت الدولة الفارسية تجاه التحركات البيزنطية فيه ؟!!.

ـ التواجد الفارسي في المياه العربية وشبه الجزيرة العربية.

لم يعثر على معلومات تثبت وجود قوة بحرية ساسانية أو نشاط بحري في البحر الأحمر، وذلك لاقتصار نشاطهم على الخليج العربي والمحيط الهندي، إذ كان الخليج العربي ميداناً واسعاً للملاحة بين جنوب غرب آسية والشرق الأقصى، ولاسيما أنه كان مدرسة قديمة للملاحة بسبب وجود مصائد اللؤلؤ واعتماد أهله على البحر[1] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يمكنها التغلغل في البحر الأحمر بسبب السيطرة البيزنطية شمالاً، وفي مصر وسورية ولتحالف بيزنطة في الجنوب مع الأحباش، وبذلك فبيزنطة تسيطر على البحر الأحمر من الشمال والجنوب وبناءً عليه أصبح هناك قوتان متوازيتان في السيطرة على المياه العربية. إلا أن الفرس تمكنوا من التغلغل في بلاد العرب وكان لها معهم تجارة رابحة، وكان للنفوذ البحري الذي اكتسبه الفرس أثرٌ كبيرٌ في تراجع النشاط البحري البيزنطي وتدهوره في البحار الشرقية [2].

فعندما كانت تضطرب أوضاع الإمبراطورية البيزنطية كانت إيران تستغل هذه الظروف الحرجة، وتزيد من نشاطها في البحر. وفي الوقت نفسه تمعن في مطاردة التجارالبيزنطيين في البحر العربي والخليج العربي، وحتى في سيلان والهند. وكان من جرّاء ذلك أن قل عدد السفن البيزنطية في المحيط، وبالتالي اكتفت

١- غلاب (محمد السيد): التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ص١٩٦.

٢- كريستنسن، المرجع السابق، ١٩٥٧م، ص ١١٦.

بالوصول إلى باب المندب عند اشتداد الأزمات ونشوب الاضطرابات الداخلية[1].

كانت علاقة الفرس بالعرب غير ثابتة تتبدل باستمرار وتتغير بحسب الظروف والأحوال، إذ تعرض بنو تميم لقافلة كسرى التي كانت قادمة من اليمن وفي طريقها للمدائن وانتهبوها وسلبوا رسل كسرى وأساورته، فأوقع بهم كسرى حتى وهنوا، ويقال لهذا اليوم يوم الصفقة[2].

و بلغ من رغبة الفرس في مد نفوذهم في الجزيرة العربية، أن حاولوا فرض سيطرتهم على مكة، وذلك زمن قباذ الذي اتبع مذهب مزدك وعزل بني نصر الذين رفضوا اعتناق مذهبه وقبول دينه، ووافقه الحارث الكندي[3] الذي أمره قباذ أن يجبر العرب من أهل تهامة ونجد على اعتناق دينه، وحين بلغ هذا التيار مكة اعتنق بعض الناس المزدكية فمنهم مَنْ تزندقَ ومنهم من جمع قواته وأخبرهم أنه لن يتخلى عن دين إسماعيل وإبراهيم ويتبع ديناً يفرض بالقوة كعبد مناف.

أخبر الحارث قباذ بذلك فأمره الأخير بهدم البيت، وبقتل عبد مناف فثارت داخل الحارث حمية العرب فدرأ عنهم وشُغل قباذ بغيرهم [4].

وقد تمكن الحارث الكندي من الإغارة على المناطق البيزنطية، والملفت للانتباه أن (الحارث الكندي) كان موالياً للبيزنطيين، ولكن خلافه مع قائد قواتهم في فلسطين دفعه لمعاداتهم والهجوم على ممتلكاتهم، وسمحت له قوته من انتزاع عرش الحيرة من العرب اللخميين وتوسع في مناطق واسعة من شبه الجزيرة

١- غلاب، المرجع السابق، الكتاب الثاني، ص١٩٦.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٥٥٥. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٥. جاد المولى،المرجع السابق، ص١ وما بعد. الحوفي (أحمد محمد): تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١١٦.

٣- الحارث الكندي، هو الحارث بن عمرو بن حجر بن الحارث بن عمرو، ساد قبيلة كندة أربعين عاماً بداً من عام٤٩٠ م. خربوطلي، زكار، المرجع السابق ص٢١٢- ص٢١٣.

٤- علي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٣٤. كستر(ج. م): الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، طبع على نفقة جامعة بغداد،١٩٧٦م، ص١٠ — ص١١.

العربية[1] كما سلف ذكره.

إن دعوة كالمزدكية لابد أن تجلب إليها الفئات الضعيفة، خاصة وأن الملك قباذ نفسه قد اعتنقها، وهذا الاختلاط الكبير الذي أصاب الدولة الفارسية قد انعكس على المناطق التابعة لها فأوقعها في اضطراب شديد[2].

هكذا أصبح الحارث الكندي[3] أمير كندة تقريباً(٤٩٠ – ٥٢٨م) حليفاً للساسانيين بعد أن استغل فرصة ضعف دولتهم، وهاجم حليفهم المنذر بن ماء السماء واستولى على بلاده.

ويظهر أن الظروف الدولية قد ساعدت في قيام التحالف بين كندة وإيران في هذه الآونة، لأن إيران كانت ترى في تحالفها مع كندة تحقيقاً لمصالحها الاقتصادية وطرق تجارتها المارة في الجزيرة العربية، بالإضافة إلى تأمين حدودها الجنوبية من هجمات القبائل العربية، لأن كندة هي المسيطرة على شرق الجزيرة، ويمكن الافتراض أن التقارب مع كندة كان موجهاً ضد بيزنطة التي كانت تحث حليفتها الحبشة على غزو اليمن لحرمان الفرس من مد نفوذهم إلى هناك[4].

نستنتج من ذلك أن الصراع بين البيزنطيين والفرس كان على أشده في الجزيرة العربية التي تمتعت بأهمية تجارية عظيمة في تلك الحقبة، وكانت التجارة وبسط النفوذ السياسي من أهم ميادين الصراع، التي تجلت في الصراع بين الدولتين للسيطرة على المنافذ البحرية والخطوط التجارية الداخلية.

١- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٩٥، ص١٧٢.

٢- النفراوي (محمد ناصر): فارس بيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلادي، دار الجنوب، تونس، ص٧٨- ص٧٩.

٣- مزيداً من التفاصيل حول وصول الحارث الكندي للحكم في الحيرة في الفصل السابق.

٤- فرعون، دور مملكة كندة السياسي، ص٢٢، ٢٣.

٣- الصراعُ الدينيُّ أحدُ مظاهر التنافس الفارسي البيزنطي على شبه الجزيرة العربية.

سارت العلاقات الخارجية العربية بتدخل العامل الديني في نسيجها، وقد ظهر هذا الأمر في الصراع الثنائي بين الفرس والبيزنطيين، للسيطرة على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية. وفي هذا الصراع تدخل الحبشة كقوة من الدرجة الثانية، تساند الحكومة البيزنطية وتعمل على تنفيذ سياستها بالرغم من أن الأمور لا تثبت ذلك دائماً، إذ تتخذ الحبشة مواقف تبدو فيها وكأنها تعمل لصالحها، وعلى اعتبار أن كُلاً من بيزنطة والحبشة لها أطماع في الجنوب العربي، فاتخذتا العامل الديني وسيلة لكسب نصارى اليمن حلفاء لهما. إلا أن الحميريين ردوا على ذلك بأن بدؤوا يعملون على نشر اليهودية في بلادهم.

السؤال المطروح الآن لماذا أصبحتِ اليهوديةُ عقيدةَ أعيانِ حِمْيرَ ؟!!. ولماذا الكثير من الحميريين اعتنقوا اليهودية ولم يعتنقوا غيرها؟!!. ما هو سبب ذلك؟!![1].

أدى موقف العداء من بيزنطة وأكسوم، والمنافسة الحادة التي كانت بين الطوائف النصرانية إلى ضعف النصرانية والحط من قدرها في أعين الصفوة المحلية الحميرية، فأصبحت اليهودية في نظرهم أكثر أصالة. بالإضافة لقربها من عدد كبير من العبادات التقليدية لقبائل العرب في الجنوب . وبالرغم من ذلك فإننا نجد عدد النصارى أكثر من اليهود، ربما يعود ذلك نتيجة تدفق اللاجئين من إيران بعد الاضطهادات الكبرى لأتباع النصرانية في أعقاب عام ٥٠٢م[2].

١- الحميري(نشوان بن سعيد): ملوك اليمن وأقيال حمير، تحقيق اسماعيل بن أحمد الجرافي، علي بن إسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.، ص١٤٧، ص١٤٨. خربوطلي(شكران): شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، إشراف سهيل زكار، رسالة دكتوراه، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٤١- ص ٢٤٢. عوض الله، المرجع السابق، ص٨٩. فخري (أحمد): اليمن ماضيها وحاضرها، جامعة الدول العربية، ١٩٥٧م، ص٧١.

٢- كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٣٠.

إن تدقيق هذه الرواية تدفعنا إلى معارضة هذا الرأي، فعلى اعتبار وجود اضطهادات ضد المسيحيين في إيران، فهل هذا يدل على زيادة عدد المسيحيين في الجنوب ليفوق عدد اليهود، ثم من أين جاء هذا العدد الكبير للمسيحيين في إيران المجوسية – الزرادشتية، أضف لذلك لماذا يتجه هؤلاء إلى الجنوب ويتحملون مشاق السفر إلى هناك، ألم تكن الإمبراطورية البيزنطية أقرب، وأكثر أماناً لهؤلاء من أن يذهبوا ليعيشوا في وسط يشكل فيه المسيحيون فئةً سكانيةً ليس أكثر؟!!.

تمكَّنَ النصارى بحمير من السيطرة على السلطة العليا، وساعدهم على ذلك الأحوال السياسية بين الدولتين العظميين، فقد قيد من يد إيران المشاكل الداخلية التي تعاني منها كارتفاع شأن المزدكية[1] من جديد [2]. وفي شمال الجزيرة العربية فقد تجدد النزاع بين دولتي كندة واللخميين. وفي حمير حدث أن تغيرت الأسرة الحاكمة والاتجاه السياسي في وقتٍ واحدٍ إذ دَفَعَ الأكسوميون بمساندة النصارى المحليين والقبائل النصرانية النازلة حول حمير إلى العرش معد يكربَ يعفر الذي لم يكن أبوه ملكاً [3]. لذا عد مغتصباً للعرش وفقاً للتقاليد المتبعة في وراثة العرش[4].

كانت علاقة هذا الملك بالعرب النصارى من أهل نجران، أنهم أعانوه مالياً فقد أقرضته سيدة نصرانية من أعيان نجران اثني عَشَرَ ألفَ قطعة نقدية، ومن المرجح أنه على عهد معد يكرب بالذات أرسل أناستاسيوس إمبراطور بيزنطة (٤٩١- ٥١٩م) أسقفاً إلى الحميريين. ومنذ ذلك الحين تواجد بنجران أسقف يعقوبي

١- تنسب إلى مزدك، مصلح اجتماعي، هاجم نظام التملك الشخصي ودعا إلى إعادة توزيع الثروة بالتساوي بين الناس ومنح المرأة حقوقها، لكن آراء مزدك اتخذت طابعاً مشاعياً أثناء التطبيق، فاعتبرها المؤرخون حركة زندقة. فرعون، دور مملكة كندة في الصراع السياسي في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ص٢٨ + حاشية رقم ٣١. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٤٨.

٢- كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٣٠.

٣- كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٣٠.

٤- خربوطلي، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

من أهل البلاد يدعى بولس الأول[١].

وهكذا تنصر أهل اليمن من الحميريين على مذهب اليعاقبة المناسب لمذهب الأحباش، الذين فرضوا حمايتهم على اليمن، وهذا ما نجد صداه في رسالة أرسل بها ملك حمير اليهوديُّ ذو نواس[٢] إلى المنذر الثالث ملك الحيرة والذي يقول فيها : ((لتعلم أن الملك الذي نصبه الأكسوميون ببلادنا قد مات، وجاء وقت الشتاء فلم يعد بمقدور الأكسوميين العبور إلى بلادنا لتتصيب ملك نصراني كما جرت العادة))[٣].

هكذا ازداد ارتباط البلاد بكلٍّ من بيزنطةَ وأكسومَ، مما أثار ثائرة ملك اللخميين فاتخذ موقفاً معادياً منه بوصفه مغتصباً للعرش، وعدواً لحلفائه الفرس واليهود. وجاءت حملة اللخميين إلى الجنوب بطبيعة الحال في مصلحة المجموعة المناصرة لليهودية بحمير، غير أن اتفاقية الصلح التي عقدها معد يكرب مع المنذر أعادت الحال إلى ما كانت عليه وحرمت أكسوم من التدخل في شؤون البلدان العربية [٤].

مع وصول ذو نواس (يوسف) وانتزاعِهِ العرشَ من معد يكرب٥١٧م، أصبحت اليهوديةُ الديانةَ الرسميةَ لحمير ووفقاً لأسس العقيدة اليهودية فقد عد نفسه

١- بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٩٨. خربوطلي، المرجع السابق، ص٢٤٣. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٣١.

٢- ذو نواس، هوزرعة بن عمرو بن زرعة الأوسط بن حسان الأصغر ابن عمرو بن زرعة الأكبر ابن عمرو بن تبع الأصغر ابن حسان بن أسعد بن تبع، وسمي يوسف لما تهود.الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٧.

٣- مار ميخائيل الكبير ، المصدر السابق، ج٢، ص٦٩. يعقوب الثالث (أغناطيوس): الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق، ١٩٦٦م، ص٤٣، ص١١٣.

٤- بيوتروفسكي (م. ب): اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة (القرن الرابع حتى العاشر الميلادي)، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، ط١، ١٩٨٧م، ص٧٥. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٣٣.

يهودياً ، مما يعني قطع العلاقات السياسية مع الحبشة[1].

فلماذا توترت العلاقة بين ذي نواس والحبشة ؟!!. هل كان ميل يوسف للساسانيين؟!!. أم حادثة انتزاع العرش والدعوة لليهودية؟!!. ولماذا اضطهدت نجران بقسوة فاقت غيرها؟!!.

لا حادث انتزاع العرش ولا الدعوة لليهودية كانا السبب الرئيسي في توتر العلاقات بين يوسف ذي نواس والنصارى، سواء من رعاياه أومن الأجانب. غير أن العملية في حد ذاتها أدت إلى تغير حاد في الاتجاه السياسي لمملكة حمير. إنه لمن الحقيقة بمكان، أن اليهودية المضطهدة في بيزنطة والتي تمتعت بالتسامح في إيران، ربطت الملك الجديد بالاتجاه الفارسي لإحلال التوازن مع النفوذ البيزنطي. أما داخل البلاد فقد كانت سياسةُ يوسفَ موجهةً ضد فئة أعيان الجنوب العربي، التي جمعت ثروة كبيرة من المتاجرة مع إثيوبيا وبيزنطة واعتنقت النصرانية[2].

والجدير بالذكر أن أساس هذه الفئة مناطق الأطراف التي تقطنها جماعات غير حميرية فقد ظهر هذا النزاع في نظر القبائل العربية على أنه نزاع عنصري بين الحميريين واليهود من ناحية، وعرب نجران وسكان تهامة وأهل حضرموت من ناحية أخرى. أما في أعين الأكسوميين فقد كان يعني مجرد اعتداء من طرف الحميريين على النصارى العرب[3].

إلى جانب ذلك شهدت تلك الحقبةُ ركوداً في التجارة نتيجة تعرض التجار للنهب والفتك بحياتهم على يد ملك حمير[4]. مما أثر على الوضع الاقتصادي تأثيراً

١- كوبشانوف، المرجع السابق، ص٣٣.

٢- كوبشانوف، المرجع السابق، ص٣٤.

٣- كوبشانوف، المرجع السابق، ص٣٤. برصوم (أغناطيوس أفرام الأول): اللؤلؤ المنثور، تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم، متروبوليت حلب، ط٥، ١٩٨٧م، ص٢٥٦.

٤- خربوطلي، المرجع السابق، ص٢٤٥.

سلبياً ، خاصة بعد أن عطل ذو نواس تجارة ميناء عدول[1] ومكوسها ، وقطع شريان التجارة بين الحبشة والبيزنطيين عن طريق قتل التجار المسيحيين والاستيلاء على بضائعهم، ومنعه للقوافل التجارية العبورعبر أراضي بلاده (اليمن)[2]. لكل ذلك لجأ النصارى إلى طلب العون من مملكة أكسوم للتدخل ضد ذي نواس، فاستجابت أكسوم لذلك إلا أن الرياح الموسمية أعاقت سفنها من الوصول إلى بلاد العرب، فتحول الوضع لمصلحة ذي نواس الذي جمع قواته واتجه إلى ظفار، لكنه لم يقتحمها بل وجه إلى أهلها رسالة عرض فيها عليهم الأمان ((فوثق الأحباش بأيمانه إلا أنه حنث في ذلك وفتك بهم ثم دخل ظفار وحرق كنيستها والأحباش الباقين فيها))[3]. ثم أرسل رسلاً لقتل المسيحيين أينما وجدوا ، وبعدها أرسل قواده إلى نجران التي فعل بها كما فعل بظفار وشق لهم أخدوداً وأحرقهم فيه[4].

رفض ياقوت أن يُنْسبَ الأخدودَ إلى ذي نواس لأن ذلك يعني أن يكون القاتل والمقتول من أهل التوحيد. والله قد ذم المحرق والقاتل لأصحاب الأخدود ، أما خبر الترمذي أن الملك كان كافراً وأصحاب الأخدود مؤمنونَ[5]. فقد يكون ذو نواس وثنياً وبذلك يكون قد انتقم من المؤمنين بالله وهو غير مؤمن ((وما نقموا منهم إلا

١- عدول، ميناء الحبشة الرئيسي، قرب زيلع. انظر موقع عدول على الخارطة رقم (٢).

2-Michel Le Syrien – op. cit. vole II ,p.183.

٣- الجرو(أسمهان سعيد): موجز التاريخ السياسي القديم لشبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، ١٩٩٦م، ص ٢٧٩- ص٢٨٠.
عابدين (عبد المجيد): بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٤٥.

٤- أبن الأثير، المصدر السابق، ج١، ٣٩٠ – ص٣٩٢. الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص١٠٥ – ص١٠٦. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٩-ص٧٨. اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٥. يعقوب الثالث، المرجع السابق، ص١٠١-١١٣.
Philby -(H.J.B.) – The Background of Islam- Alexandria – 1947 – p. 119.

٥- الحموي، المصدر السابق، مادة نجران، ج٥،٢٦٨. الحوالي(محمد الأكوع): اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٧١م، ص٤١٣.

أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد))[1].

قد يكون وراء تصرف ذي نواس هذا، أنه رأى في انتشار المسيحية شبح النفوذ الأجنبي، بمعنى أنه وجد انتشار النصرانية امتدادَ النفوذِ البيزنطي. وكانت نجران أحد مراكز هذا النفوذ[2]، فقد كانت مركزاً استراتيجياً هاماً في جنوب شبه الجزيرة العربية بالنسبة للطريق التجاري البري.

هكذا أعلن ذو نواس التحدي للعالم المسيحي وكان بوسعه أن يحصل على المؤازرة من القبائل العربية، ولكن لم يكن لدى هؤلاء إمكانيات عسكرية، لذا حاول ذو نواس أن يجد سنداً من الفرس وعُمَّالِهم اللخميين، وفي الوقت نفسه يستطيع أيضاً أن يحصل على النفوذ والمكانة بين القبائل العربية [3].

لكنَّ ذا نواس لم يتلقَ أيةَ مساعدةٍ أو معونةٍ لا من الفرس ولا من اللخميين، وذلك لأن ملك الفرس (قباذ ٤٨٨-٥٣١م) كان يهيئ نفسه لمواجهة نهائية مع المزدكية [4]. وليس بإمكانه الدخول في مغامرةٍ عسكريةٍ في الجنوب العربي في وقتٍ أدت فيه الأحداثُ إلى تقلصٍ في حجم التجارة الدولية على سواحل بلاد العرب الجنوبية.

أما أكسوم فقد كانت على الأغلب تعاني من حرب أهلية، فلم تتمكن من التدخل في شؤون البلاد العربية [5] بالرغم من وجود حامية لها في اليمن، قام ذو نواس بإبادتها[6]. ولكن بحلول عام ٥٢٤م أصبح الجو السياسي والعسكري ملائماً بعد أن تمكن ملك أكسوم من السيطرة على الوضع الداخلي، وتجدد ودعم

١- القرآن الكريم، سورة البروج، آية ٨.

٢ - بيوتروفسكي، المرجع السابق، ص٧٦.

٣- عابدين، المرجع السابق، ص ٤٣. علي،المرجع السابق، ج٢، ص ٥٩٤.

٤- كريستنسين، المرجع السابق، ص٣٤٥ وما بعد.

٥- كوبيشانوف، المرجع السابق، ص٦٠.

6-p.189 -Procopius- History Of The Wars. – Vole –I

الحلف العسكري والسياسي مع بيزنطة وأكسوم ونصارى العرب ضد ذي نواس.

وهكذا وجهت أكسوم حملتين ضد حمير تمكنت من خلالهما من قتل الملك وأعوانه[١]، وتنصيب السميفع أشوع ملكاً مكانه مقابل إتاوة[٢]. مما ساهم وبشكل منقطع النظير في تقوية العلاقات الحبشية البيزنطية، إذ نجد الحبشة ترسل وفداً مهماً لبيزنطة لتبادل التهاني وتعزيز التعاون التجاري والديني[٣]. ودخل هذا في اتصال وثيق مع بيزنطة لتهديد قوات الفرس وحلفائهم اللخميين وجهد لإرضاء سياستها.

وعندما دب النزاع بين المسيحيين أنفسِهم وانتهى بتمليك أبرهة على اليمن[٤] الذي كان أهله محايدين فلم نسمع أن اليمنيين تقاتلوا مع الأحباش[٥]، الذين دخلوا كمنقذين للمسيحيين لكنهم بقوا كمستعمرين لمدة نصف قرن حتى عام ٥٧٥م.

الأمر الذي دفع بأهلها أن يطلبوا النجدة من الفرس الذين لبوا الدعوة. وعملوا على الاستفادة من الدين لزيادة أتباعهم هناك، فعملوا على نشرالمذهب المخالف لمذهب البيزنطيين. في حين كانت إيران لا يهودية ولا نصرانية (مجوسية - زرادشتية)، وهكذا جاء الفرس ليحلوا محل الأحباش، وباستثناء الأطراف الشمالية والغربية وقعت الجزيرة العربية تحت سيطرة الفرس حتى الفتح الإسلامي

١- علي، المرجع السابق، ج٣، ص٤٥٩ – ص٤٦٠.

٢- بيتروفسكي، المرجع السابق، ص٧٨

3-Michel Le Syrien – op. cit.-p. 184.
Procopius – H op. cit. – Vole –I- p. 189.

كوبيشانوف، المرجع السابق، ص ٨٣ حتى ص ٨٨. يعقوب الثالث، المرجع السابق، ص ٧٧ حتى ص١٢١.

٤- بيتروفسكي، المرجع السابق، ص٧٩.

٥- بيغوليفسكيا (نينافكتورفنا): ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ص١٠٤-ص١٠٥. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص ١١٤.

لها[1].

٤ـ السياسةُ الفارسية تجاه شبه الجزيرة العربية.

ـ أهمية اليمن بالنسبة للدولةِ الفارسية.

شكلت اليمن بصفة خاصة أكبر سوق تجارية في شبه الجزيرة العربية، فكانت تتاجر في حاصلاتها الإقليمية كاللبان والعطور والبخور [2]، كما كانت تتاجر أيضاً فيما يرد إليها عبرالخليج العربي من بضائع الهند والصين كاللؤلؤ، والعاج، والذهب والحرير . مما يدل على أنها كانت حلقة الاتصال بين الهند والحبشة من ناحية وشمال إفريقيا من ناحية ثانية، والبحر المتوسط من ناحية ثالثة.

ولما كان الفرس يسيطرون على تجارة الهند المارة عبر الخليج العربي ونهر الفرات[3]، قررت الإمبراطورية البيزنطية وحليفتها مملكة أكسوم أن تدعما سياستهما وسيادتهما على طريق الغرب أي طريق البحر الأحمر[4]، الذي يعد أكثر المناطق أهمية للتجارة العالمية عامة ولبيزنطة خاصة[5]. فقد كانت مملكة أكسوم ترى في هذه المنطقة امتداداً طبيعياً لمملكتها المزدهرة وبوابة تغلق في وجه إيران، تحول دون التغلغل في شبه الجزيرة العربية. وما دامت مملكة حمير غير قادرة على إدارة هذا الإقليم الحيوي بسبب ضعفها وتفككها، فقد رغبت أكسوم بالسيطرة عليه مدعية انتقامها لضحايا نجران[6]، ويدعمها ويعضد من رغبتها إدارة القسطنطينية، إذ طلب إمبراطورها جوستين إلى أسقف الإسكندرية أن يستخدم

١- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٧٤-ص٧٩. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٨٨.

٢ - علي، المرجع السابق، ج٢ ص٦٦.

٣- هيكل (محمد حسنين): حياة محمد، دار الكتب المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٨٩.

٤ - هايد، المرجع السابق، ج١، ص٢٢.

5-Bury, op. cit, Vole II, pp. 317-318.
Vasiliev- Histoire de L Empire Byzantum , tome 1,. pp. 361-363.

عابدين، المرجع السابق، ص٥ – ص٧.

٦- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٣ – ص٣٩٤.

نفوذه لدى ملك أكسوم لدعم وسرعة إنجاز الحملة العسكرية، وذلك لأن القسطنطينية ترى أن سيادة الأحباش هناك تدعيمٌ لسيادتها في البحر الأحمر وعلى جانبيه، معتبرة ذلك جزءاً أساسياً من صراعها مع الدولة الفارسية [1].

أما سفن الفرس فلم تقف عند سيلان والخليج العربي والشواطئ الجنوبية الشرقية، بل كان لهم سفن في عدول وربما زارت حمير. إضافة لذلك فقد كانوا يرسلون قوافلهم التجارية إلى اليمن ويختارون من بين الزعماء العرب من يحميها ويحرسها [2].

ومع إدراك الفرس أن الإمبراطورية البيزنطية وعن طريق حلفائها الأحباش قد كسبوا أرضاً جديدة في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية، وإيقانهم أنهم يمثلون خطراً فادحاً فقد أقدموا على احتلال أيبيرية ولازيكا سنة ٥٢٦- ٥٢٧م[3] متذرعين بسبب واهٍ، وهو رفض ملكها مبادئ الزرادشتية وتعاليمها [4].

وكما تذرعت القسطنطينية بحماية المسيحيين في حمير، فقد أعلنت إيران أنها احتلت هاتين المنطقتين لحماية معتنقي الزرادشتية هناك [5].

إنها مسألة لا تحتاج إلى تعليق حول السيطرة على مناطق النفوذ سواء في الشمال عند البحر الأسود، أوفي الجنوب في شبه الجزيرة العربية والتي كان كل من الدولتين العظميين تسعى للسيطرة عليها في إطار التوازن الدولي .

كانت الإمبراطورية البيزنطية تعلم أن جهودها لحرمان الفرس من أرباح طريق الحرير التجاري ستبوء بالفشل، ولكنها سعت للضغط على الدولة الفارسية ، ولتأمين طريق آخر يصلها مباشرة مع مراكز بيع الحرير، لذلك أيدت الغزو الحبشي عسكرياً ومعنوياً في الجنوب الغربي للجزيرة العربية، ذلك أن سيادة

١- عبد الحميد (رأفت): بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط١، ١٩٩٧م، ص١٥٧، ص ١٥٨.

٢- حوراني، المرجع السابق، ص٩٨.

٣- عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص١٦٧.

4-Procopius, History Of The Wars,Vole I, p. 93.
Bury, op. cit., Vole II, p. 80.
٥-Bury, op. cit, Vole II, P. 80.

الأحباش على طريق البحر الأحمر تضمن لهم طريقاً بحرياً آمناً بعيداً عن السيادةِ الفارسية .

ولم تكن كل الجهود البيزنطية خافيةً عن أعين الفارسيين، الذين قدروا تماماً مدى خطورة امتداد النفوذ البيزنطي على المنطقة حتى تكتمل حلقة الحصارالاقتصادي لأهم سلعة بالنسبة لبيزنطة عدوتهم التقليدية .

. النشاط السياسي الفارسي في شبه الجزيرة العربية .

ومن هنا استغل الفرس فرصة الاحتفال بإتمام ترميم سد مأرب حوالي عام ٥٤٢-٥٤٣م، فسارعوا بإرسال وفود التهنئة إلى أبرهةَ، الذي غدا الآن حاكماً فعلياً مستقلاً بحكم اليمن ضمن سيادة واهية لملك أكسوم [١]. وحَثَّ الفرس حليفَهم ملكَ الحيرةِ أن يحذو حذوهم. لم تكن بيزنطةُ غافلةً أيضاً عما يفعله الفرس في منطقة تعدها من مناطق نفوذها. فقدم وفد الإمبراطور البيزنطي لليمن ترافقه وفود حلفائه كالحارث الغساني وأخيه أبي كرب[٢] وشيخِ عربِ فلسطينَ وغيرِهم [٣].

إزاء كل تلك الوفود التي أرسلتها أقوى دولتين في ذلك الزمان . ما هو موقف أبرهة الذي كان يفكر بكل جدية أنه ما كان ليخرج من سلطة ملك أكسوم ليقع تحت سيطرة إحدى الدولتين الفارسية أو البيزنطية ؟. تعلل الأحداث التالية موقفه بوضوح.

. اليمن في ظل حكم الأحباش.

أدرك أبرهة تماماً أن الدخول في لعبة صراع الدول والقوى العظمى ستفقده مكانته المستقلة، ومركزه الذي يتمتع به في هذه المنطقة الحيوية لكل من

1-.Procopius, op. cit; Vole 1, PP.191-193.

٢- أبو كرب، هو أبو كرب بن جبلة بن الحارث الجفني، شقيق الحارث بن جبلة.

سالم (عبد العزيز): دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٧م، ص١٩٩. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص ١٣٤.

٣ - كوبيشانوف، المرجع السابق، ص ١٣٤.

القوتين، وبالرغم من أن هواه كان مع البيزنطيين بحكم العقيدة إلا أنه لم يغامر بإظهار العداء السافر تجاه الفرس تحسباً لقوتهم العسكرية التي يعلم أبرهة قدرها[1].

أمام إدراكه الأهمية الاستراتيجية التي تحتلها منطقته ووعيه التام للمكانة التجارية التي تمثلها اليمن في عالم الاقتصاد الدولي آنذاك، والصراع السياسي الكبير بين القوى العظمى في زمانه، ولكي يفلت من الدوران في فلك أي منها وجد: إذا كانت بيزنطة تسيطر بأسطولها على البحر الأحمر، وتتحكم إيران بسفنها في تجارة الخليج العربي والمحيط الهندي وبموقعها على الطريق البري عبر وسط آسية، فلِمَ لا يُقْدِمُ هو على البحث عن طريقٍ يخضعُهُ لسلطانه وهو الطريق الذي يبدأ من صنعاء ويمر بالطائف ومكة ويثرب إلى دمشق والبحر المتوسط . مما يدر عليه أرباحاً قتصادية كبيرة [2]. ولذلك كان لابد من تقويض نفوذ مكة الاقتصادي ومن هنا جاءت حملته الفاشلة على مكة التي قصد منها أبرهة السيطرة على أهم شريان تجاري في بلاد العرب وبالتالي يسيطر براً وبحراً على الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية، أو أنها كانت خطة سياسية عسكرية من خطط البيزنطيين ترمي للاستيلاء على الجنوب العربي، مما يمكنها من وصل أملاكها في الشمال مع الجنوب.

خضعت اليمن لحكم الأحباش القاسي الذي أذل أهلها، فبعد وفاة أبرهة

---

١ - عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص١٨٠-١٨١ .

٢- العمادي(محمد حسن عبد الكريم): التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص٩٣-١٠٠. مهران (محمد بيومي): تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، ص٥٦٤.

And Fiction, Byzantion, 1974, P.147 Selassie, Ancient

الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص١٠٧. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٧٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦٣. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٩. ابن كثير(إسماعيل): البداية والنهاية، دار الفجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ٢٠٧. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج٢، ص٨٥.

نتيجة الجراح التي أصابته خلال حملته على مكة، انتقل الحكم لابنه يكسوم [1]. ولما توفي خلفه أخوه مسروق الذي كان أكثر تعسفاً من سابقيه وأخبث سيرة [2]، أدت أعماله إلى استياء أهالي اليمن، وازدياد الرغبة للتخلص من الأحباش واستبدادهم. هكذا ظهر أبو مرة (سيف بن ذي يزن)[3]، الذي قرر التخلص من حكم الأحباش وتحرير بلاده، لكن أوضاع اليمن لا تسمح بذلك إزاء التحالف بين بيزنطة وأكسوم ؟!!.

من الصحة بمكان التحالف بين بيزنطة وأكسوم ولكن في الوقت نفسه كان سيف يطمع في مساعدتها على أن يكون اليمن تحت سلطته تابعا لهاً[4]، وهذا ما جعله يتوجه إليها ولكنه فشل[5]، لعدم إمكانية بيزنطة من تقديم المساعدة نظراً لإخفاقها في الاحتفاظ بسورية من جهة، ومن جهة ثانية علاقة التحالف الوثيقة الاقتصادية والدينية والسياسية مع أكسوم، ولن تفيدها مناصرة اليمنيين شيئاً خاصة أنها تتمتع بامتيازاتٍ عظيمة هناك. لذا أجابَ إمبراطورُ بيزنطةَ سيفاً بقوله: ((أنتم يهود والحبشة نصارى وليس في الديانة أن ننصر المخالف على الموافق)). إن كلامه هذا لا يدل على أن اليهودية والنصرانية هما الديانتان

١- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٣. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٨٥.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٧. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٩. ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٨. سيف بن ذي يزن، هو سيف بن النعمان بن عفير الأوسط ابن زرعة بن عفير الأكبر ابن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن عامر ذي يزن.- الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٩.

٣ - الطبري، المصدر سابق، ج٢، ص١٣٩.

٤- الطبري، المصدر السابق،ج٢، ص١٣٩. المقدسي (المطهر بن طاهر): البدء والتاريخ، اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ج٣، ص١٨٩.

اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٥. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٨٦.

٥- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٧. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٨٥. سالم المرجع السابق، ص١٧٢.

الوحيدتان في المنطقة، بل كان هناك عباداتٌ عديدةٌ وعباداتٌ كثيرةٌ كعبادة الأصنامِ مثلاً.

ويستدل من ذلك أن بيزنطة الضعيفة آنذاك، والتي كانت تُحْكَمُ من قبل الإمبراطور جوستين الثاني الذي خلف جوستنيان في الحكم. كان عليها أن تواجه المشكلات العويصة والمسؤوليات الجسام التي لا حول لها ولا قوة في مواجهتها، فالخزينة فارغة، والطامعون في أملاكها كثر كالآفار والسلاف في البلقان، واللومبارديون في إيطاليا، والقوطِ الغربيونَ في أسبانيا، والأهم من كل هؤلاء الفرس في الشرق الذين أخذوا يحتلون الأراضي البيزنطية[1]. ومن هنا كانت بيزنطة في غنىً عن مشاكل جديدة في الجنوب العربي، لذا ولكي لا تخسر مكانتها هناك كانت بحاجة ماسة إلى حليف قوي (الحبشة).

يعتقد أنَّ عدمَ مساعدة الإمبراطور لسيف كانت حماقةً سياسيةً إزاء الوضعِ الاقتصاديِّ الهام للجنوب العربي، خاصة وأن بيزنطة تسعى لتحرير طرق التجارة من السيطرة الفارسية، ولكن على ما يبدو أن بيزنطة كانت مشغولةً بمهمة أصعب، وأكثر أهمية من السيطرة على الجنوب العربي، وهي محاولة الحفاظ على وحدة الإمبراطورية الرومانية.

المهم في الأمر هو أنَّ سيفاً بعد فشله في الحصول على مساعدة بيزنطة التجأ إلى كسرى أنوشروان على أمل أن يقوم هذا بنجدته، أو بالأحرى للتحالف معه ليحل سيف محل الأحباش بالتحالف مع الفرس ، فيعود لهذا الجزء الهام من الجزيرة العربية مكانته. ومن باب الحذر وجد سيف أن يفعل ذلك عن طريق ملك اللخميين النعمان بن المنذر ملك الحيرة، الذي تربطه مع كسرى روابط صداقة وولاء وتبعية، وحتى يقدمه بنفسه أمام كسرى، وبالفعل استضاف النعمانُ سيفاً

١- العريني، الدولة البيزنطية، ص١٠٣، ص١٠٥، ص١٠٦. فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٨٧ – ص٨٨.

ووعده أن يقدمه إلى كسرى [1].

ولما كان اللخميون أتباعاً لملك الفرس فقد كانوا ملزمين بالوفادة على بلاطه كل عام، فخرج ملك اللخميين ومعه سيف وقدمه إلى أنوشروان، فأخبره سيف عن الوضع في اليمن وما يتعرض له أهلها من بلاء وويلات على يد الأحباش والتمس من الملك نصرته بعون عسكري[2].

تردد كسرى في التدخل بأمور اليمن، وذلك لبعدها عن مملكته سواء عن طريق البر عبر أملاك اللخميين أو عن طريق البحر عبر سواحل الجزيرة العربية.

إن تردد كسرى يثير الانتباه فكيف يقف مكتوف الأيدي وينتظر الدعوة من الخارج ليصل إلى أهم نقطة في التجارة العالمية ؟!! وكان فيما سلف يلهث لوطء قدمٍ هناك. ربما كانت أعماله على الجبهات الأخرى قد شغلته عن أوضاع اليمن، ولكن ذلك لا يسوغ فعلته إذا أدركنا أن أهم عدوٍ له هو بيزنطة التي كانت انتصاراتها تشغله وتقض مضجعه.

كان كسرى أنوشروان قد وعد والد سيف معد يكرب بالنصرة ضد الأحباش، ولكن يبدو أنه انشغل بحروبه مع البيزنطيين فيما بعد، ومات معد يكرب دون أن يقدم له كسرى شيئاً، ومن هنا تدخل سيف وذكّر كسرى بالوعد وطالبه بالوفاء [3].

استجاب كسرى لطلب سيف ووعده أن يستشير أعوانه وعقد مجلساً مؤلفاً من

١- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٣. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٩- ١٤٠.الحوالي، المرجع السابق، ص٤١٩. كحالة (عمر رضا): العرب قبل الإسلام، مطبعة الهاشمية، دمشق، ط٢، ١٩٥٨م، ص٣٤. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٨٧.

٢ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٧. الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦١٦. المقدسي، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٠. بافقيه(محمد عبد القادر): تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٧١ – ص١٧٢. الحوالي، المرجع السابق، ص٤٢٠.

٣- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٨٦. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٨٧.

وزرائه وقال : ((ما ترون في أمر هذا الرجل))، فقال رجل منهم :((أيها الملك إن في سجونك رجالاً حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكاً زاده الملك إلى ملكه)) [1].

الملفت للانتباه هنا هو وضع هؤلاء السجناء. أيرسل ملك ككسرى أنوشروان سجناء ليحققوا له نصراً في منطقة كاليمن؟!!. أم كان هؤلاء من الجنود المعاقبين بالسجن نتيجة تهم مختلفة؟!!. ثم إذا كان هؤلاء سجناء من أين لهم الخبرة العسكرية حتى يقاتلوا ويحرزوا الانتصارات؟!! لنتابع الرواية.

استجاب كسرى لهذا الرأي فبعث ممن كان في سجونه مع سيف[2]، وعين عليهم رجلاً يدعى وهرز بن الكامجار الذي كان ذا تجربةٍ وخبرةٍ[3].

أبحر هؤلاء على ثماني سفن وبعد رحلة طويلة في نهر دجلة والخليج العربي وبحر العرب بلغ الأسطول سواحل حضرموت بعد غرق سفينتين بمن فيهما [4]. ورسوا في موقع يقال له مثوب[5].

هكذا نظم كسرى أنوشروان حملة عسكرية إلى الجزيرة العربية واضعاً

١- الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٥٠. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٠. ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ٤٠٧. كريستنسن، المرجع السابق، ص٣٥٥.

٣- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٨. الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن): تاريخ الخميس في أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، ١٨٦٤م، ص١٩٣. الطبري، المصدر السابق،ج٢، ص١٤١. ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩.

٤- الطبري، المصدر السابق،ج٢، ص١٤١. المقدسي، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٠.

٥ - الدينوري الأخبار الطوال، ص٦٤. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٨٦. بافقيه، المرجع السابق، ص١٧٢.

مثوب، موقع باليمن قرب حضرموت، وردت لدى البكري باسم منوب،البكري، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٧٣. الحموي، المصدر السابق، ج٥، مادة مثوب، ص٦٥ + حاشية رقم (٢). الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مادة مثوب، ص٥٢٣.

نصب عينيه الأهداف العظيمة لما سيحققه هناك، هذا وتختلف المصادر نسبياً حول عدد المشاركين في هذه الحملة.

أنزلتِ السفنُ الجنودَ البالغ عددهم ٧٥٠٠ سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل أكثرهم من الديلم[١]، على الساحل الجنوبي لليمن[٢].

إن نظرةً دقيقةً لهذه الرواية توضح ما قام به سيف، واستجابة كسرى لطلبه تدل على المنافسة الحامية التي كانت بين الفرس والبيزنطيين للسيطرة على الجزيرة العربية، وللتحكم بطرق التجارة الموصلة إلى الشرق الأقصى . كما تدل على أن سيفاً حاول الاستنصار بأعظم قوتين في العالم آنذاك. لكن من غير المعقول أن يكون كسرى جاهلاً بخيرات اليمن وأهميتها ليرسل جيشاً من السجناء ويستهين بفتح اليمن، وهو يحرص كل الحرص على نجاح الحملة، لأن احتلال اليمن كما يعتقد فرصة لا تعوض للتغلغل وللدخول إلى وسط شبه الجزيرة العربية.

إضافة لذلك، إن وهرز كان قائداً ومما يدل على خبرته وتجربته خطته العسكرية التي رسمها قبل وبعد المعركة، مما يؤكد أنه صاحبُ حنكةٍ سياسيةٍ. ولكن ما مقدار الدعم الداخلي الذي تلقاه الإيرانيون من القبائل العربية؟!!.

سعت العديد من القبائل العربية للانضمام إلى سيف وحلفائه، وشاركوا في العمليات الحربية، وساهموا في طرد الأحباش من اليمن، ووضع نهاية للحكم الحبشي الجائر في اليمن[٣].

نزل وهرز على الساحل وأمر بحرق السفن، ليُعلِمَ الجندَ أنه الموت أو

١- الدينوري، المعارف، ص٦٣٨. الجرو، المرجع السابق، ص٣١٥. أشارت بعض المصادر إلى أن عدد الجنود هو ٦٠٠ شخص. ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٨ . الطبري، المصدر السابق،ج٢ ، ص١٤١. ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩ .

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٧ -٤٠٨. الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص٤٦. الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٤، ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٨ - ٢٠٩. اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٦.

٣-. فرعون، السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن (٣-٧م)، ص١١٢.

الانتصار[1]، وفي هذا الوقت سارع السكان المحليون إلى مساعدة الأميرِ اليزني (سيفٍ) ضدَّ الأحباشِ.

نجحتِ الحملةُ نجاحاً تجاوز كل التوقعات، وانهزم مسروقُ بنُ أبرهةَ وقُتِلَ في المعركة. دخل وهرزُ صنعاءَ وضبط اليمن ثم كتب إلى كسرى بالنصر. فما كان من كسرى إلا أن نصبه حاكماً في اليمن إلى جانب سيفٍ الذي أصبح ملكاً عليها، وفرض عليه إتاوةً يدفعها كُلَّ عامٍ[2].

. اليمنُ في ظلِّ السيادةِ الوطنيةِ والفارسية .

إن تمليك سيف على اليمن أمر عادي وطبيعي جداً، ذلك أن كسرى أقام حكماً وطنياً في اليمن ولكن ربطه برابط التبعية له بفرض الإتاوة. كل ذلك لكي لا يؤلب اليمنيين عليه فيتخلصوا من حكم أجنبي ليعودوا لآخرَ. في وقتٍ كان مشغولاً في حربِ البيزنطيين[3].

ووفدت الوفود إلى سيف تهنئه بالفوز [4]، وأصبح اللخميون حلفاءَ حِمْير وبذلك أصبحتْ شبهُ الجزيرةِ العربية، باستثناءِ الأطرافِ الشماليةِ الغربيةِ منها، متحدةً تحت هيمنةِ الفارسيين. وفي بعض المصادر أنَّ وهرزَ بقي إلى جانب سيف [5]. ربما بقي ليتابع الأحداث التي كانت تجري في اليمن، ويعمل على إيصال المعلومات إلى

---

١ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦. الثعالبي، غرر ملوك الفرس وسيرهم، ص٦١٧. الطبري، المصدر السابق،ج٢، ص١٤٥. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٥٦.المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٩١. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٨٨.

٢- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٩. - الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٥١. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٧٤. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٥٣. بيوتروفسكي، المرجع السابق، ص٨٠. حوفي، المرجع السابق، ص١٨.

٣- خربوطلي، المرجع السابق، ص١٣٩.

٤- ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٠. الطبري، المصدر السابق،ج٢، ص١٤٢.

٥- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص١٠٨. الديار بكري، المصدر السابق، ص١٩٣.

الفارسيين، أو لإقامة حكومة مشتركة يتولى رئاستَها سيفٌ[1]، علماً بأن كسرى اشترط على سيفٍ نظيرَ مساعدته له عدةَ شروطٍ منها أن يتزوجَ الإيرانيون من نساءٍ يمنياتٍ ولا يتزوج اليمنيونَ من نساءِ الفارسيين، وأن يحمل سيفٌ لكسرى الإتاوة[2].

شروط كسرى نقطة توجب التوقف عندها ذلك أنها عملية استيطان بالنسبة للساسانيين خاصة أننا نجدهم يخلفون الأبناء[3] فيما بعد، والذين بقوا في اليمن حتى بعد دخول الإسلام إليها، على كل حال تعقب سيف الأحباش وأمعن في إذلالهم [4]، على أن نهايته كانت على أيديهم عندما انهالوا عليه ضرباً بالحراب وهربوا إلى رؤوس الجبال[5]. ولكن أين كانت بيزنطةُ وأكسومُ أمامَ كلِّ هذه الأحداثِ ؟!!.

لقد جرت تلك الأحداثُ ولم تحركْ بيزنطةُ أو أكسومُ ساكناً، وذلك لانشغالها بعدة كوارثَ طبيعيةٍ جلبت لها ضرباتٍ اقتصاديةً وسياسيةً قويةً، أكثَرَ بكثيرٍ من ضرباتِ وتدميرِ الحروبِ. فقد أُصيبتِ الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ بزلزالٍ عنيفٍ، حوَّلَ عدداً من مدنها إلى أكوامٍ من الترابِ، كما أصابها الطاعون الأسودُ الذي انتشر في الولاياتِ الآسيويةِ[6]. وهكذا تحول الجنوبُ العربيُّ إلى ولايةٍ ساسانيةٍ وبدأتْ سياسةٌ جديدةٌ حمل بموجبها حاكمُ اليمنِ الفارسي لقبَ مرزبان[7]، وبقي الفرس هناك حتى ظهورِ الإسلامِ مسيطرينَ على طرقِ التجارةِ

١- خربوطلي، المرجع السابق، ص١٤٠.

٢- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج٢، ص٨٧.

٣- الأبناء اليوم من نتيجة هذا الزواج. ابن حبيب، المصدر السابق، ص٢٦٦.

٤- الطبري المصدر السابق، ج٢، ص١٤٨.

٥- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٤. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م، ج١، ص٦٨- ص٦٩.

٦- كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٩٢.

٧- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٦٤. الطبري المصدر السابق، ج٢، ص١٤٨. كوبيشانوف، المرجع السابق، ص١٩٣.

الرئيسيةِ.

بالرغم من وقوع اليمنِ تحتِ السيطرةِ الفارسية المباشرةِ، إلا أن وجودهم اقتصر على بعض المدن الرئيسية كصنعاءَ وعدنَ، والمراكز التجارية الهامة. وكان الغرض من تواجدهم فيها جباية الرسوم الجمركية. وهكذا تحقق للساسانيين حُلُمُهم بالسيطرةِ على مخارجِ التجارةِ البريةِ والبحريةِ من وإلى بلادِ اليمن[1].

١- الجرو، المرجع السابق، ص ٣٢١. عبد العزيز (صالح): تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنكلو – مصرية، القاهرة،١٩٨٨م، ص ١٣٤.

الخاتمة

. النتائجُ السياسيةُ:

يُلاحَضُ من خلالِ البحثِ سعيُ كلٍ من الدولتين للحصول على مكاسب سياسية، كل منهما على حساب الأخرى، ولم تكن هذه المكاسب في مناطق عادية بل كانت في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية. ولتحقيق هذه المكاسب قامت الحروب التي أنهكت الطرفين ودفعتهما لعقد العديد من المعاهدات، التي غالباً ما كانت تنص على حصول إيران على الذهب البيزنطي لضمان الحدود، ووقف الحرب بين الطرفين. وقد كانت هذه المعاهدات تحد من أهمية المكاسب السياسية لإيران، وذلك من خلال دفعها للحدود لما كانت عليه قبل بدء الحرب، أما بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية فنجد أن انتصاراتها السياسية لم تكن قرب حدودها مع إيران، بل سعى جوستنيان ومن بعده من الأباطرة للحفاظ على الحدود في الشرق، أمام النجاحات في الجبهة الغربية حيث تمكن جوستنيان من إعادة بناء الإمبراطورية الرومانية القديمة، وهذا بحد ذاته نجاح سياسي.

أما نجاحات الفرس فلا تقل أهمية عما حققه البيزنطيون، فقد جعل الفرس الإمبراطورية البيزنطية في قلق دائم استمر طوال القرن السادس، ذلك أن كل نصر للبيزنطيين في الغرب يقابله خرق من قبل الفرس للاتفاقات المعقودة، وبالتالي كان على بيزنطة أن ترضي الفرس بالذهب لتضمن هدوء الحدود، ورغم ذلك شهد القرن السادس حروباً عديدةً مع الفارسيين.

وبالنتيجة نجد أن النتائج السياسية بالنسبة لسياسة الفرس كانت أكثر أهمية من النجاحات البيزنطية، لأن الفرس استطاعوا أن يهددوا الأراضي البيزنطية ويجتاحوها أكثر من مرة فوصلوا إلى أنطاكية، وهذا يعني سيطرة الفرس على سورية ووصولهم إلى البحر المتوسط الذي كثيراً ما حاولوا الوصول إليه، سواء من الشمال أو من خلال سورية. أما النشاط البيزنطي فقد انحسر في

صد الهجوم الفارسي عن الأراضي البيزنطية، نظراً لانشغال جيوشهم في الحرب على الجبهات الأخرى.

كما يُلاْحَظُ من الناحية السياسية، اعتماد كل دولة منهما على إحدى القبائل العربية. هذا يعني بروز دور العرب بشكل فاعل في الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة في القرن السادس. وقد بلغ من ازدياد النشاط السياسي العربي في تلك المرحلة أن قاموا بمواجهة الدول الكبيرة دون عون خارجي.

. النتائجُ الاقتصاديةُ:

شهد القرنُ السادسُ الميلاديُّ تطوراً اقتصادياً كبيراً تمثَّلتْ فيه العديدُ من الإصلاحاتِ التي قام بها الملوك الفرس أو الأباطرةُ البيزنطيونَ على حدٍّ سواءٍ. وهذا يدل على إدراك الحكام لأهمية العامل الاقتصادي في التأثير على النواحي الأخرى سواء الاجتماعية أو السياسية.

ومن أبرز النتائج الاقتصادية التي شهدتها هذه المرحلة، التخفيفُ من عبءِ الالتزاماتِ الاقتصاديةِ للسكانِ، والعمل على تحقيق مصالحهم. وهذا ما أقدم على فعله كسرى أنوشروان وجوستنيان، فكلاهما عملا على التخفيف من سوء الأوضاع الاقتصادية لرعاياهم. ومن النتائج الاقتصادية نجد الوعيَ لدى السكانِ ومحاولتَهم الحصولَ على حقوقِهم، والمطالبةَ برفعِ الظلمِ عنهم من خلالِ الثوراتِ التي قاموا بها.

بالإضافة إلى هذه النتائج، التطور الذي شهدتهُ أركانُ الاقتصادِ الأساسيةُ من زراعةٍ وصناعةٍ وتجارةٍ، فزراعياً شهدَ القرنُ السادسُ ولادةَ زراعاتٍ جديدة، واهتماماً كبيراً في مشاريع الريِّ، كما ازداد الاهتمامُ بالأرضِ وحدودِها حيث حفظت الإصلاحاتُ الاقتصاديةُ للفلاحين ملكيتَهم للأرضِ ورفعَ يدِ الظلمِ عنهم، مما انعكس ايجابياً على تطور الزراعة. وبالنسبة للحرف نجد تطوراً كبيراً فيها خاصة تلك التي تلزم عند الحرب، أعني صناعة الأسلحة التي شهدت اهتماماً فريداً من الملوك. بالإضافة لذلك ساعد تطور الزراعة على ظهور صناعات جديدة. أما

التجارة فقد شهدت بعض التراجع خلال الحروب والاضطرابات وحالات الفوضى، ولكن رغم ذلك كان الاهتمام بها واضحاً نظراً لأهميتها في الدخل العام لكل من الدولتين، والأهمية الاستراتيجية للمنطقة، حيث اقتصر وجود الطرق التجارية عليها سواء في الشمال أو الغرب أو الجنوب. وهذا ما كان يساعد على ازدهارها خلال حالات السلم. وأيضاً ما كان يدعو للبحث عن طرق جديدة في حال تعثر المرور عبر الطرق المعتادة.

. النتائجُ الاجتماعيةُ:

إن الجانبَ الاجتماعيَّ كان أكثر الجوانب تأثراً بالأوضاع العامة التي شهدها القرن السادس الميلادي، وذلك لعدة أسباب منها : الحروب العديدة التي شهدتها المنطقة، والتي تؤدي بالضرورة لخلق تفاوت اجتماعي بين الفئات العمرية للسكان، فالحرب تقتل الشباب والعمال والرجال الذين يقوم عليهم المجتمع، وتترك الشيوخ والنساء غير القادرين على حَمْلِ ركْبِ التطورِ والسيرِ به.

من ناحيةٍ ثانيةٍ ينعكسُ ذلك سلباً على الأوضاع الاقتصادية، نتيجةَ خسارةِ اليدِ العاملةِ النشيطةِ، التي تستطيعُ العملَ للنهوض بالبلاد. بالإضافة لذلك الخراب والدمار الذي تتركه الحروب خلفها، فتصبح الأراضي بحاجة للاستثمار من جديد وكم يحتاج ما يخرب في يوم واحد لإعادة بنائِهِ من جديدٍ. إنَّ كل هذا يؤثر على النواحي الأخرى للحياة في الدولة.

أضف لكل ما تقدم نجد عدم التوازن بين فئات الشعب إذ قام المجتمع على أساس الطبقات، واستحالة الانتقال بين طبقة وأخرى مما أثر على تجانس السكان في إيرانَ. كما نستنتج في هذا الإطار قيامَ الثوراتِ للمطالبةِ بالعدلِ والمساواةِ.

انتهى القرن السادس، ولم تتمكن أيٌّ من الدولتين تحقيقَ أهدافِها، لكن كانت النتائج الأكثر إيجابية لصالح بيزنطة، فقد تمكنت بيزنطة من تحقيق هدف سياسي بارز، وهو إعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة. حيث أعاد جوستنيان تحرير جميع المناطق التي فقدتها الإمبراطورية البيزنطية. أما الدولة

الفارسية، فقد كانت نداً للإمبراطورية البيزنطية لكنها لم تعمل على ضم أي جزء جديد من الأراضي التي كانت تحتلها، والتي كانت أراضيَ بيزنطيةً، فلو قام الفرس ببسطِ سيطرتِهم على الأراضي التي احتلوها لكانت حدودهم وصلت للبحرين المتوسط والأسود، إلا أن الجيوش الفارسية سرعان ما كانت تنسحب من الأراضي التي احتلتها مقابل المال الذي أرضى جميع الملوك الفرس وفضلوه على الأرض.

كذلك شهدتِ الدولةُ الفارسية إصلاحاتٍ مشابهةً لما حدث في بيزنطةَ، وهذا يعني أن التطور الداخلي لكلا البلدين كان مترافقاً مع العديد من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. خاصة عندما تعرَّضَ البلدانِ للثوراتِ الداخليةِ التي تطالبُ بتحسينِ الأوضاعِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ للسكانِ. ويعكس لنا ذلك مدى التطور الفكري لدى عامة الشعب الذي أدرك حقوقه وأخذ يطالب بها ويسعى لتحقيقها بشتَّى السُّبُلِ.

إنَّ كلَّ هذه الأحداث التي شهدتها الدولتانِ العظميانِ آنذاك، لم تمكن أيَّاً منهما من تحقيقِ هدفِها السياسيِّ، وذهبت كل الجهود المبذولة لتحقيق الأهداف السياسية أدراج الرياح، فخلفاء جوستنيان لم يستطيعوا الحفاظ على الوحدة التي بذل لها جوستنيان كل جهده لتحقيقها، إذ سرعان ما بدا الضعف على جسد الإمبراطورية البيزنطية، وكان عليها أن تنتظر وصول إمبراطور قوي لإعادة أمجادها. أما الدولة الفارسية فلم تتمكن من الوصول لهدفها السياسي بالرغم من كل الجهود والانتصارات العديدة التي منت بها الإمبراطورية البيزنطية، لأن السياسة الحكيمة للإمبراطورية البيزنطية الرامية لإبعادها عن حدودها كانت دائماً ملبية للطموحات، إذ كان المال أرخص لديهم من الأرض كثيراً. أي أنهم أفرغوا الخزينة مراتٍ عديدةً للحيلولةِ دون وصول الفرس للبحر الأسودِ أو المتوسطِ.

كان للقرن السادس أثرٌ كبيرٌ في تطور الحضارة، فبالرغم من كل الحروب التي قامت خلاله، وكل الإصلاحات والثورات، والانتصارات والهزائم، تطورت أساليب الحياة وتمت اكتشافات عديدة، وظهرتِ الأهميةُ الكبيرةُ لمناطقَ كانت

تحت الظلِّ. كما ظهر الوعيُ القوميُّ بأبهى صوره عندما ضحَّى سكانُ المناطقِ مجال التنافس في سبيل تحريرِ بلادِهم سواء من البيزنطيين أم من الفارسيين.

وتظهر لنا علاقةُ العربِ بالفرس والبيزنطيينِ، والتي تحدد صورةَ العلاقاتِ الدوليةَ كما كان ينظر لها العربُ. وإن كان هناك الكثيرُ من المبالغة في حقيقةِ الألقابِ التي يطلقها عليهم الفرس أو البيزنطيون، أمراً هاماً وهو نظرةُ العربِ لهم على أنهم ساسانيون وبيزنطيون. وأن العربَ ليسوا أقلَّ منهم مما جعلهم يتطلعون لمحاكاةِ كُلِّ شيءٍ لدى هؤلاءِ.

المصادر والمراجع

المصادر العربية.

١- ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد الشيباني): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢- الآسيوي (يوحنا): تاريخ الكنيسة، ترجمها عن السريانية صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، مراجعة وتدقيق محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

٣- الإصطخري (ابن اسحق إبراهيم بن محمد): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،القاهرة، ١٩٦١م.

٤- الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف عبد الستار أحمد الفراج، دار الثقافة، بيروت،لبنان، ط٨، ١٩٩٠م.

٥- الأصفهاني (حمزة بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٦- برصوم (أغناطيوس أفرام الأول): اللؤلؤ المنثور، تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب، ط٥، ١٩٨٧م.

٧- بروكوبيوس: التاريخ السري، ترجمة علي زيتون، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

٨- بكار (أبو عبد الله الزبير): جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، ١٩٧٠م.

٩- البكري (أبو عبيد): معجم ما استعجم، تحقيق وضبط مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٧م.

١٠- البلاذري (أحمد بن يحيى): أنساب الأشراف، تحقيق محمد فردوس العظم، قراءة صبحي نديم المارديني، دار اليقظة العربية، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.

١١-ابن البلخي: فارس نامة، تحقيق يوسف الهادي،الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

١٢- البيروني (أبو ريحان محمد بن أحمد): الآثار الباقية عن القرون الخالية، لايبزيك، ١٨٧٨م.

١٣- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل): تحفة الوزراء، تحقيق ودراسة سعد أبو دية، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م.

١٤- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل): غرر ملوك الفرس وسيرهم، زوتن بريدج، باريس،.

١٥- الجاحظ (عمرو بن بحر): التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م.

١٦- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

١٧-ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو): المحبر، تصحيح ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

١٨- ابن حجر(أحمد بن علي): لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧١م.

١٩- ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

٢٠- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م.

٢١- الحلي (هبة الله): المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح موسى درادكه محمد عبد القادر خريسات، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٤م.

٢٢ - الحموي (ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٣- الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، دار السراج، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٤- الحميري (نشوان بن سعيد): ملوك اليمن وأقيال حمير،تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافي،علي بن اسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٢٥- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٢٦- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله): المسالك والممالك، دار المدينة، مطبعة بريك، ١٨٨٩م.

٢٧- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٨م

٢٨- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، ضبط المتن خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٩- الخوارزمي (محمد بن أحمد): مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت،١٩٨٤م.

٣٠- الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن): تاريخ الخميس في أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، ١٨٦٤م.

٣١- الدينَوري (أبو حنيفة أحمد بن داود): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٢- الدينوري (ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم): عيون الأخبار كتاب السلطان الحرب السؤدد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م.

٣٣-الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٣٤- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م.

٣٥- الطباطبائي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٦- الطوسي (نظام الملك): سياست نامة(سير الملوك)، ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت.

٣٧- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد): تاريخ الرسل والملوك،، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٦٧م.

٣٨- ابـن العـبري (غريغوريـوس بـن أهـرون الملطـي): تـاريخ مختصـر الـدول،دار الأفـاق العربيـة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٣٩ - عوض الله (أحمد أبو الفضل): مكة في عصر ما قبل الإسلام، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط٢، ١٩٨١.

٤٠- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر، دار المتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

٤١- الفردوسي (أبو القاسم): الشاهنامة، ترجمة الفتح بن علي البنداري، قارنها وأكمل ترجمتها عبد الوهاب عزام، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٢- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٤٣- القرآن الكريم.

٤٤- ابـن الكلبي (هشـام بـن محمـد بـن السـائب): جمهـرة النسـب، تحقيـق محمـد فـردوس العظـم، مراجعة محمود فاخوري، قدم له د. سهيل زكار، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٨٣م.

٤٥- مـار ميخائيـل الكبير: تـاريخ مـار ميخائيـل السـرياني الكبير، ترجمـة مـار غريغوريـوس صـليبا شمعون، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ط١، حلب، ١٩٩٦م.

٤٦- المسـعودي (أبـو الحسـن علـي بـن الحسـين): التنبيـه والإشـراف، مكتبـة خيـاط، بـيروت، لبنان،١٩٦٥م.

٤٧- المسـعودي (أبـو الحسـن علـي بـن الحسـين): مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر، تحقيـق قاسـم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

٤٨- ابـن مسـكويه(أحمـد بـن محمـد): تجـارب الأمـم، تحقيـق أبـو القاسـم إمـامي، دار سـردش للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧م، .

٤٩ – المقدسي (محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٥٠- المقدسي (المطهر بن طاهر): البدء والتاريخ، اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٥١- ابن كثير(إسماعيل): البداية والنهاية، دار الفجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٥٢- ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري): لسان الميزان، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، دار الكتب المصرية، ١٩٧١م.

٥٣- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة.

٥٤- الهمذاني (حسن بن أحمد بن يعقوب): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركزالدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٣، ١٩٨٣م.

٥٥- يعقوب الثالث (أغناطيوس): الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، بطر كية السريان دمشق، ١٩٦٦م.

٥٦- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

المراجع العربية والمعربة.

١- أحمد(محمود عبد الحميد): دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٩٩٦م.

٢- أربري(أ- ج): تراث فارس، كتب فصوله مجموعة مؤلفين، نقله للعربية محمد كفافي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، أحمد عيسى، اشترك في كتابته وراجع ترجمته يحيى الخشاب، وزارة التربية والتعليم قسم الترجمة والألف كتاب، إدارة العلاقات الثقافية، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

٣- أرملة(إسحق): تاريخ الكنيسة السريانية، نشر وتقديم بهنان هندو، منشورات بيت زابداي، لبنان، ١٩٩١م.

٤- أرياني : (مظهر): نقوش مسندية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، ١٩٩٠م .

٥- إسماعيل(أحمد علي): تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٦- أسود(عبد الرزاق): المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

٧- آمبل (بول): تاريخ أرمينية، ترجمة شكري علاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٨- أولندر(جانار): ملوك كندة من بني آكل المرار، ترجمة عبد الجبار المطلبي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٢م.

٩- بافقيه(محمد عبد القادر): تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

١٠- باقر(طه): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (حضارة وادي النيل، جزيرة العرب، بلاد الشام وبلاد إيران، الإسكندر، السلوقيون، اليونان،الرومان) دار المعلمين العالمية للطباعة، ط٢، ١٩٥٥م.

١١- بدوي(أمين عبد المجيد): جولة في شاهنامة الفردوسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٢- برصوم : (أغناطيوس أفرام الأول): اللؤلؤ المنثور، تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم، متروبوليت حلب، ط٥، ١٩٨٧م.

١٣- برو(توفيق): تاريخ العرب القديم، ، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م، .

١٤- بروي(إدوارد) وآخرون: تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد داغر، ط٢، بيروت، ١٩٨٦ م.

١٥- البستاني (بطرس): دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م.

١٦- بلاد الشام عبر التاريخ من كتاب الطريق إلى بيت المقدس، القضية الفلسطينية، بواسطة الإنترنت تاريخ /١٣/٩/٢٠٠١م.

١٧- بهنسي(عفيف): موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، دار الرائد العربي، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

١٨- بيرنيا(حسن): تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الفارسي، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، دار الثقافة، الفجالة، مصر، ط٢، ١٩٩٢م.

١٩- بيغوليفسكيا (نينافكتورفنا): ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

٢٠- بيغوليفسكيا (نينا فكتورفنا): العرب على حدود بيزنطة وإيران، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، قسم التراث العربي، الكويت، ١٩٨٥م.

٢١- بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

٢٢- بيوتروفسكي (م . ب): اليمن قبل الإسلام، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، ط١، ١٩٨٧م.

٢٢- التونجي (محمد): المعجم الذهبي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، طبعة مزيدة ومنقحة، دمشق، ١٩٩٣م.

٢٣- جاد المولى بك (محمد أحمد) وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٢م.

٢٤- أبو الجدايل (عائشة سعيد شحاتة): الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي، الأول الهجري، المفردات للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٥م.

٢٥- الجرو (أسمهان سعيد): موجز التاريخ السياسي القديم لشبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، ١٩٩٦م.

٢٦- جمعة (بديع محمد): من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٧- جيبون (إدوارد): اضمحلال الإمبراطوية البيزنطية وسقوطها، ترجمة لويس إسكندر مراجعة أحمد نجيب هاشم، دار الكتاب العربي،١٩٦٥م.

٢٨- حاطوم، (نور الدين) وآخرون، مدخل إلى التاريخ، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٤م.

٢٩- حاطوم (نور الدين) وأخرون، موجز تاريخ الحضارة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٣م.

٣٠- حافظ(فؤاد): تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣١- حتي (فيليب): تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار غندور، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م.

٣٢- حسنين(محمد عبد المنعم): قاموس الفارسية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

٣٣- الحلو(عبد الله): سورية القديمة، مطبعة ألف – باء- الأديب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٤- حمادة (محمد ماهر): وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥- الحنفي (عبد المنعم): المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

٣٦- حنا(نهى) وأخرون: موسوعة كنوز المعرفة، اشراف أميل بديع يعقوب، دار نظير عبود، جونية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٣٧- الحوالي (محمد الأكوع): اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٧١م.

٣٨- حوراني (جورج فضلو): العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.

٣٩- الحوفي (أحمد محمد): تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٠- الحيمي (الحسن بن أحمد): سيرة الحبشة، تحقيق مراد كامل، القاهرة.

٤١- خربوطلي (شكران)، زكار(سهيل): تاريخ الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية)، منشورات جامعة دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٢- خربوطلي (شكران): شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، إشراف سهيل زكار، رسالة دكتوراه، دمشق، ١٩٩٢م.

٤٣- خريسات (محمد عبد القادر) وأخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن.

٤٤- خطاب (محمود): أرمينية بلاد الروم، دار قتيبة، دمشق، ط٤، ١٩٩٠م

٤٥- الخشاب (يحيى): التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م.

٤٦- الخضري بك (محمد): الدولة العباسية، اعتنى به درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٧- داوني (جلانفيل): أنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤٨- الدسوقي (أحمد): أحوال اليهود في عهد الفارسيين، مقال نشر على شبكة الإنترنت.

٤٩- دراركة (صالح): مقالة بعنوان لمحات من تاريخ أيلة، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٥-١٦، جامعة دمشق، ١٩٨٣م.

٥٠- دلو (برهان الدين): جزيرة العرب قبل الإسلام، الفارابي، ١٩٨٩م.

٥١- ربيع (حسنين محمد): دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٥، ١٩٩٥م.

٥٢- رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.

٥٣- رستم (أسد): كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، منشورات النور، بيروت، ١٩٥٨م.

٥٤- رنسيمان (ستفن): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨١م.

٥٥- زكار(سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

٥٦- سالم (عبد العزيز): تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م .

٥٧- سالم (عبد العزيز): دراسات في تاريخ العرب، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٧م.

٥٨- سعفان (كامل): معتقدات آسيوية، العراق، فارس، الهند، دار الندى، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٩- سلسلة التاريخ، السلالات والفن، منشورات أكاديمية العلوم الجورجية، تبليسي، العدد ٢، ١٩٩١م، باللغة الروسية.

٦٠- سيبل (إلكسندر): أخبار امم المجوس من الأرمن وورنك والروس، طبع مدينة أوسلو، ١٩٢٨م.

٦١- السيد (أديب): أرمينية في التاريخ العربي، ط١، ١٩٧٢م.

٦٢. الشاعر (محمد فتحي): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستنيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٦٣- شتا(إبراهيم الدسوقي): المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٦٤- شترك وآخرون: الأرمن في دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ط٢،١٩٦٩م.

٦٥- شريف (أحمد إبراهيم): مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي.

٦٦- الشنتاوي (أحمد) وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علاّم ، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

٦٧- شهاب (حسن صالح): فن الملاحة عند العرب، مركز البحوث، صنعاء، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٦٨- الشيخ (محمد موسى): الممالك الجرمانية في أوروبة في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٧٥م.

٦٩- العابد (مفيد رائف): حول مصادر تاريخ العرب القديم، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، ١٩٨١م.

٧٠ - عابدين (عبد المجيد): بين الحبشة والعرب، القاهرة، ١٩٤٧م .

٧١- عاشور(سميرة عبد السلام): تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي، مركز الدلتا،الإسكندرية،١٩٩٣م.

٧٢. عباس (إحسان): تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي ٦٠٠-٦٦١م، مطبعة الجامعة الأردنية،عمان، ١٩٩٠م.

٧٣ - عبد الحميد (رأفت): بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ط١، ١٩٩٧م.

٧٤- عبد الحميد (رأفت): الدولة والكنيسة، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧٥- عبد الرحمن (محمود): تاريخ القوقاز، دار النفائس، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٧٦-عبد العزيز (صالح): تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنكلو – مصرية، القاهرة،١٩٨٨م.

٧٧- عبد العزيز(وسام): دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، جامعة المنصورة، ١٩٨٢م.

٧٨ - عبد الغني (عارف): تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام، دار كنان، دمشق،ط١، ١٩٩٣م.

٧٩- العبد الغني (عبد الرحمن): أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.

٨٠- عبد القادر(حامد): زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٥٦م.

٨١ - عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨٢- عدة مؤلفين: أطلس تاريخ إيران، الطبعة الأولى، شيراز، ١٣٧٨هـ .

٨٣- العدوي (إبراهيم): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١م.

٨٤ - عربش (سمير): أرمينية أرض وشعب، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

٨٥- العريني (السيد الباز): الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.

٨٦- العريني (السيد الباز): مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

٨٧- عكاشة(ثروت): الفن الفارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

٨٨- علي (جواد): المفصل في تاريخ العرب فبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط٣ ،١٩٨٠م.

٨٩- العلي (صالح أحمد): محاضرات في تاريخ العرب، ط١، الموصل، ١٩٨١م.

٩٠- العمادي (محمد حسن عبد الكريم): التجارة وطرقها في الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.

٩١- غربال (محمد شفيق): الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، بيروت، ١٩٥٩م.

٩٢- غلاب (محمد السيد): التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني.

٩٣- فخري (أحمد): اليمن ماضيها وحاضرها، جامعة الدول العربية، ١٩٥٧م.

٩٤- فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٨م.

٩٥- فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة السياسي، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٢م.

٩٦- فرزات (محمد حرب): تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة دمشق، ط٦، ١٩٩٥م.

٩٧- فرعون (محمود): التنافس بين الفرس وبيزنطة، وثائق الآثار السورية، وقائع المؤتمر الدولي، دير الزور، ١٩٩٦م، تحريرميشيل مقدسي، مأمون عبد الكريم، عمر العظم،موسى ديب الخوري، إصدار وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢م.

٩٨- فرعون (محمود): دور مملكة كندة السياسي في شمال الجزيرة العربية (في القرنين الخامس والسادس الميلاديين)، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٥٥-٥٦، دمشق، ١٩٩٦م.

٩٩- فرعون (محمود): السياسة الفارسية في شبه الجزيرة العربية من القرن(٣ – ٧م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، لينينغراد،١٩٩٠م.

١٠٠- الفضة الفارسية : مجموعة متحف الأرمتاج، أعدها تروفير ولوكونين، نشر موسكو، ١٩٨٧م، باللغة الروسية.

١٠١- كانتور (نورمان، ف): التاريخ الوسيط، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

١٠٢- كحالة (عمر رضا): العرب قبل الإسلام، مطبعة الهاشمية، دمشق، ط٢، ١٩٥٨م .

١٠٣- كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.

١٠٤- كريسنتسن (آرثر): إيران في عهد الفارسيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٠٥- كستر(ج . م): الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، طبع على نفقة جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

١٠٦- كوبيشانوف (يوري ميخايلوفتش): الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلادي، ترجمة صلاح هاشم، عمان، ١٩٨٨م.

١٠٧- لومبارد(لويس): الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٧٩م.

١٠٨- ليسترنج (كي): بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

١٠٩- مجموعة مؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

١١٠- مجموعة مؤلفين: موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١١١- مجموعة مؤلفين: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩٠م.

١١٢- مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٦م.

١١٣- مدني (صلاح): تاريخ الدولة العباسية سياسياً وحضارياً(١٣٢- ٦٥٦هـ / ٧٥٠- ١٢٥٨م)، جامعة محمد الخامس، دار المعارف، الرباط، ١٩٧٧م.

١١٤- مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

١١٥- مظهر(سليمان): قصة الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

١١٦- المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، إشراف مصطفى طلاس، مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٩٢م.

١١٧- الموحى (عبد الرزاق رحيم صلال): العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.

١١٨- الموسوعة الفلسفية العربية: إشراف معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت،ط١، ١٩٨٦م.

١١٩- مهران (محمد بيومي): تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية.

١٢٠- مهران (محمد بيومي): مصر والشرق الأدنى القديم (بلاد الشام)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

١٢١- الناصري (سيد أحمد علي): الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني .

١٢٢- النجار(سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.

١٢٣- النفراوي (محمد ناصر): فارس بيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلادي، دار الجنوب، تونس.

١٢٤- نوري (إسماعيل): الديانة الزرادشتية، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

١٢٥- نولدكه (ثيودور): أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م.

١٢٦- هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عزالدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٢٧- هبو (أحمد رحيم): تاريخ العرب قبل الإسلام، حلب، ١٩٨٠م.

١٢٨- هسي (ج): العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

١٢٩- هيرمان (جورجينا): الانبعاث الفارسي، نشر لوسان، ١٩٧٧م، باللغة الروسية.

١٣٠- هيكل (محمد حسنين): حياة محمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٣٩م.

١٣١- وايدنغرين (جيو): ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٣٢- وجدي (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

١٣٣- ويلز(هـ . ج): معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، عبد الحميد يونس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٠م.

١٣٤- اليوسف (عبد القادر): الدولة البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٦م.

المصادر الأجنبية

1- Agathias, Historiarum, ed Dindof In (C.S.H.B), Bonn , 1828.

2- Chronicle Of John Malalas, Translated From The Church Slavonic By Matlew Spinka in Collaboration With Glanville Downey, Chicago, 1940.

3- Evagrius, History of Church, Edition And Translated By John Childsm, London, 1854.

4- Joshua the Stylite, the Chronicle, Translation in to English by Wright L L D, Cambridge at the University Press, 1988.

5- Michel Le Syrien, Chronique de Michel Le Syrien Patriarche Jaeobite Antioche, édite la Première et traduite, Par J.B. Chabot, Paris – 1924.

6- Ostrogorsky (G)- History of The Byzantine State, English Translated By J M Hussey – Oxford – 1968 .

7- Pasdermadjian (H) – Histoire De L Arménie – Deuxième Edition Revue – Librairie Oriental- Paris- 1964.

8- Procopius, History Of The Wars, William Helnemann, New York, G.P., Punams .

9- Procopius – The Building- Translated By H.B. Dewing - 1954.

10- Procopius, The Secret History, Translated By A. Williamson Penyuin Books,1966 .
11- Schenk (A), De Romische Kaisergeschichte, Bei, Malalas, Stuttgart, 1931,
((Church Slavonic Version)),.
12- Theophanes Chronographia- ed Boor, 2Voles In 1 Vole, Leipzig, 1885.

المراجع الأجنبية

1-Brosset (M) – Notice Sur L Historian Armenian – Mélanges – 1862 .
2-Burry : (J. B)- History Of The Later Roman Empire – London- 1923 .
3-Cambridge Medieval History .Ed. Jaon. M. Hussey Cambridge 1966-1967. –
4-Cameron – (A) – Histories And Fiction – Byzantion – 1974.
5-Charanis (P) –Church And State In The Later Roman Empire –Madison Wisconsin – 1930 .
-6- Dawney - (G) –A History Of Antioch in Syria From Selecucus to The Arab Conquest- New Jersey 1961- P 43.
7-Dawney (G) – Ancient Antioch – Copyright By Princeton – University Press – New Jersey – 1963.
8- Dawney – Procopius on Antioch – A study Of Method In The Deaedificils – Byzantion – 1939 .
9- Dawney (G) – The Persian Campaign In Syria In 540 A .D – Speculum – 1953.

10-Dvornik (F) – The Circus Parties in Byzantium ((Their Evolution And Their Suppression)) – Metabyzantina – 1946 .

11- Diehl (C. H) – Histoire du Moyen Ages – Paris – 1944 .

-12- Encyclopedia Of World Art – Printed In Italy – McGraw Revised Printing – Hill Book Company – London– 1972.

13 - Frend (W. H. C) – The Rise Of The Monophysit Movement –Cambridge – 1979.

14- Gardesh Gary Persia Tourism, Magazin, Central stor, Mashhad Khosravi Intersection, no 13, vole 4, Septmber, 2002.

15-Gibbon (E) – The Decline And Fall Of The Roman Empire – London – 1962 .

16-Grof (G) – Geschichte de Christlicl – Arabischon Literature – Roma – 1944 .

Grousset (R) – Histoire de L Arménie – Paris – 1947. 17-

18- Historian – History Of The World – Edited By Henry Smith - Williams L. L. D – Logos Press- New Delhi – First Published 1907 – reprinted In India 1987.

19-Jones (A.H.M)- The Later Roman Empire – 284 – 602 – Asocial Economic And Administrative -Survey –Oxford – 1964 .

20-Malcolm (John) – History Of Persia From The Early Period to The Present Time –London .

21-Moscati (Sabatino), History et Civilization,des Peuples Semitiques, Paris, 1954.

Moss (H) – The Birth of the Middle Ages – Oxford – 1935.-22

23-Philby -(H.J.B.) – The Background of Islam- Alexandria – 1947 .

And Fiction – Byzantion – 1974 . 24-Selassie – Ancient

25-Toumanoff (C) – Armenia And Georgia –Cambridge Medieval History –1966.

26-Trimingham (J Spencer) – Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic Times – First Published – Longman – London – New York – 1979 .

27-Tchalenko (G) – Villages Antiques de la Syria du Nord La région Du Belus a L époque Romaine - 3Voles – Paris – 1953 .

Ure (N) – Justinian and His Age – Middlesex-1951.-28

29-Vasiliev (A.A)- Histoire de L Empire Byzantum – Tranduit D.U Russate –Brodin et A.Bourguing – Préface de M. Ch Diehi de Dinstitut – Tom 1 -324 – 1081 –Paris Editions A Picard- 1932.

30- Vasiliev (A . A) – History of The Byzantine Empire 324 – 1453 – The University Of Wisconsin –Press - 1957 .

31-Vasiliev (A .A) – Justin The First – Cambridge – Mass – 1950.

. Vasiliev (A-A) – The Byzantine Empire – Madison- 1952

المصادر والمراجع الفارسية.

١- جشنسف، نامة تنسر، ترجمة ابن اسفنديار، تحقيق مجتبي مينوي، مطبعة مجلس، تهران،١٣١١هـ .

٢٧- دانش بزوة (محمد تقي): نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي،جاب أول، ١٣٧٥هـ.

٢- دهخدا، لغة نامه، مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه، تهران، ١٣٣٥هـ.

٣- رضائي (عبد العظيم): كنجية تاريخ إيران، انتشارات أطلس،جاب أول، تهران، ١٣٧٨هـ.

٤- رفيع حقيقت (عبد الرفيع): نقش إيرانيان در تاريخ تمدن جهان، كتابخانة ملي إيران، كومش، تهران، جاب أول، ١٣٧٨هـ .

٥- زنده دل (حسن): استان سيستان وبلوجستان، ترجمة محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات كاروان جهانكردان، تهران، جاب أول.

٦- سايكس (زنرال): تاريخ إيران، ترجمة محمد تقي، فخر داعي كيلاني، دنياي كتاب، تهران، جاب أشنا، ١٣٧٧هـ .

٧- كيرشمن (رومن): إيران أز آغاز تا إسلام، ترجمة محمد معين، انتشارات علمي فرهنكي، تهران، جاب بنجم، ١٩٨٥م.

الـمـلاحـق

ملحق رقم (١)

ملوك الدولة الفارسية وسني حكمهم

اسم الملك	اسم الملك	سني حكمه
١- أردشير الأول	Ardshir I	٢٢٦- ٢٤١م
٢- سابور الأول	Shapur I	٢٤١- ٢٧٢م
٣- هرمزد الأول	Harmizd I	٢٧٢- ٢٧٣م
٤- بهرام الأول	Bahram I	٢٧٣- ٢٧٦م
٥- بهرام الثاني	Bahram II	٢٧٦- ٢٩٣م
٦- بهرام الثالث	Bahram III	٢٩٣-
٧- نرسي	Narssai	٢٩٣- ٣٠٣م
٨- هرمزد الثاني	Harmizd II	٣٠٣- ٣١٠م
٩- سابور الثاني	Shapur II	٣١٠- ٣٧٩م
١٠- أردشير الثاني	Ardshir II	٣٧٩- ٣٨٣م
١١- سابور الثالث	Shapur III	٣٨٣- ٣٨٨م
١٢- بهرام الرابع	Bahram IV	٣٨٨- ٣٩٩م
١٣- يزدجرد الأول	Yazdigird I	٣٩٩- ٤٢٠م
١٤- بهرام الخامس	Bahram V	٤٢٠- ٤٣٨م
١٥- يزدجرد الثاني	Yazdigird II	٤٣٨- ٤٥٧م
١٦- هرمزد الثالث	Harmizd III	٤٥٧- ٤٥٩م
١٧- فيروز	Firuz	٤٥٩- ٤٨٤م
١٨- بلاش	Balash	٤٨٤- ٤٨٨م
١٩- قباذ الأول	Kawadh I	٤٨٨- ٥٣١م

٢٠- كسرى أنوشروان	Khusraw I	٥٣١- ٥٧٩م
٢١- هرمزد الرابع	Harmizd IV	٥٧٩- ٥٩٠م
٢٢- كسرى الثاني	Khusraw II	٥٩٠- ٦٢٨م
٢٣- قباذ الثاني	Kawadh II	٦٢٨-
٢٤-أردشير الثالث	Ardshir III	٦٢٨- ٦٣٢م
٢٥- هرمزد الخامس	Harmizd V	
٢٦- يزدجرد الثالث	Yazdigird III	٦٣٢- ٦٥١م

بيرنيا، المرجع السابق، صفحات متعددة.

ملحق رقم (٢)

أباطرةُ الإمبراطوريةِ البيزنطية المعاصرونَ لملوكِ الدولةِ الفارسية

اسم الإمبراطور	اسم الإمبراطور	مدة حكمه
١- دقلد يانوس	Diocletionus	٢٨٤- ٣٠٥م
٢- قسطنطين الأول الكبير	Costantine I	٣٠٦- ٣٣٧م
٣- قنسطنطين	Conastantine I	٣٣٧- ٣٦١م
٤- جوليان(يوليان) المرتد	Julian	٣٦١- ٣٦٣م
٥- جوفيان (يوفيان)	Jovian	٣٦٣- ٣٦٤م
٦- فالنز	Valens	٣٦٤- ٣٧٨م
٧- ثيودوسيوس الأول الكبير	Theodosius I	٣٧٩- ٣٩٥م
٨- أركاديوس	Arcadius	٣٩٥- ٤٠٨م
٩- ثيودوسيوس الثاني	Theodosius II	٤٠٨- ٤٥٠م
١٠- مارقيان	Marcian	٤٥٠- ٤٥٧م
١١- ليو الأول	Leo I	٤٧٥- ٤٧٤م

١٢- ليو الثاني	Leo II	٤٧٤-
١٣- زينون	Zenon	٤٧٤- ٤٩١م
١٤- أناستاسيوس الأول	Anastisius I	٤٩١- ٥١٨م
١٥- جوستين الأول	Justin I	٥١٨- ٥٢٧م
١٦- جوستنيان الأول	Justinian the Great	٥٢٧- ٥٦٥م
١٧- جوستين الثاني	Justin II	٥٦٥- ٥٧٨ م
١٨- تيباريوس الثاني	Tiberius II	٥٧٨- ٥٨٢م
١٩- موريس	Mourice	٥٨٢- ٦٠٢م
٢٠- فوكاس	Phocas	٦٠٢- ٦١٠ م
٢١- هرقل الأول	Heraclius I	٦١٠- ٦٤١م
٢٢- قنسطنطين الثاني	Conastantine II	٦١٣- ٦٤١م
٢٣- هراقليوناس(وصاية مارتينا)	Heraclonas	٦٤١م
٢٤- قنسطنطين الثالث	Conastantine III	٦٤١- ٦٦٨م

العريني، الإمبراطورية البيزنطية، ص٨٩٤- ص ٨٩٥.

ملحق رقم (٣)

ترجمةٌ لنقشِ أبرهةَ

..... والملك ٥٦ أرسل أمراً٥٧ إلى مشاعياته بصدد أعمال الري و٥٨ حفر إزالة الرواسب الغرينية وحفر (أخدود تحت) الأساس وقطع الحجارة و٥٩ تشييد و(؟) توصيل الألواح٦٠ وصب الرصاص لأجل ترميم عرم و٦١ الجدار وإزالة الأعطاب التي جرت في مأرب٦٢، وحدد لهم موعد (الاجتماع) في شهر ذي سربان من (السنة)٦٣ السابعة، وبعد ذلك أرسل الملك٦٤ أمراً إلى الوادي حيث البدو٦٥ (لكي) يحضروا إلى مدينة مأرب٦٦، وقد قدسوا كنيسة٦٧ مأرب لكي يكون فيها قسيس يؤدي القدّاس. و٦٨ منها صعدوا إلى عرم وحفروه، وثم٦٩ وصلوا إلى الصخرة ونظفوا الصخرة لكي يرسوا٧٠ أساس جدار السد، وعندما بدؤوا٧١

إرساء أساس الجدار٧٢ حل الهلاك والمرض في٧٣ المشاعيات – الشعوب وفي المدينة. وعندما رآهم (الملك)

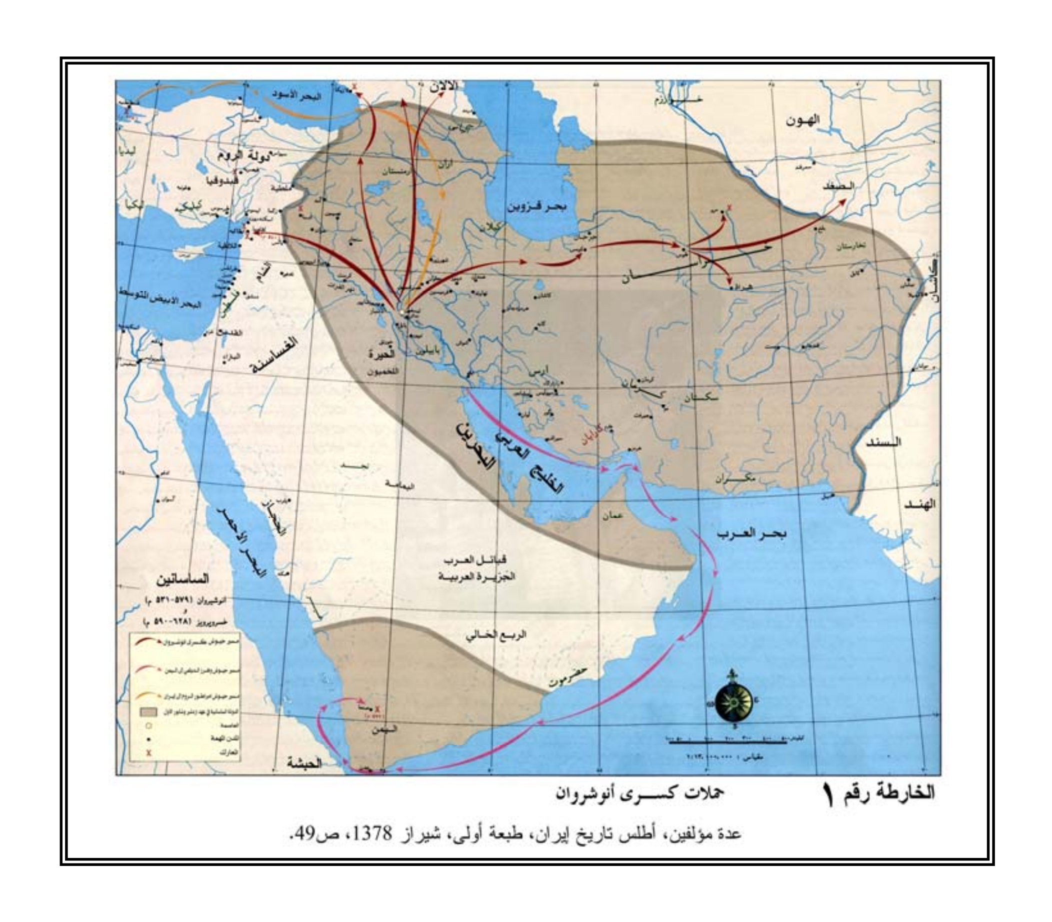
أنه٧٤ حل الهلاك بالمشاعيات – الشعوب أطلق سراح الحميريين وأحباشه....

.... [٩٢]وعندما حل ما لحق (من) الهلاك[٩٣] بفضل الرحمن، جاءت المشاعيات – الشعوب على أساس[٩٤] الأمر السابق(الذي بموجبه) أطلق سراحهم[٩٥] حتى الوعدِ الأخيرِ. وعندما جاءت[٩٦] المشاعيات – الشعوب خلال (شهر) ذي عوان الأخير[٩٧] وعندما أرسل المشاعيات – الشعوب إلى ولايتهم فقد رمموا[٩٨] ما تحطم في جدار السد الذي أنهى تشييدَهُ يعفرُ ... ... [١٠١]وعندئذ رمموا هم[١٠٢] (جدار السد) من أعلى[١٠٣] الصخرة حتى أعلى الخزان[١٠٤] وما أضافوه إلى الجدار القديم للسد، و[١٠٥] المنشأة التي أنهوها بقوى المشاعيات – الشعوب،[١٠٦] بقدر٤٥ ذراعاً[١٠٧] طولاً و٣٥[١٠٨] ذراعاً ارتفاعاً[١٠٩] و٤٠ ذراعاً[١١٠] عرضاً من كتل الحجر الخام. وقد ثبتوا[١١١] بَدَنَ السدِّ ونظفوه من الغرين و[١١٢] بطنوا وأعادوا إنشاء (مجرى)[١١٣] حبشه ما عدا بدايته، و[١١٤] خزان مياه مَفْلَمُم.

وأنفقوا مُنْذُ اليومِ الذي[١١٦] صعدوا فيه لإنجازِ حملتهم[١١٧] وحتى يقدسوا الكنيسةَ وجدارَ السدِّ[١١٨] وسد عرم ذاته بلغ:[١١٩] ٥٠٨٠٦ (مقادير) من[١٢٠] الدقيق و[١٢١] ٢٦٠٠٠ قدح من التمر[١٢٢] بمقادير يدع إل، [١٢٣] ومن اللحم المسلوق[١٢٤] و٣٠٠٠ جثة، ومن الثيران و[١٢٥] الأغنام و[١٢٦] ٢٠٧٠٠٠ [١٢٧]و ٣٠٠ جمل[١٢٨] ومشروبات من العنب ومشروبات من الزبيب و[١٢٩] ١١٠٠٠ حلب من[١٣٠] المشروبات من التمر. وقد أنهوا[١٣١] أشغالهم خلال ٥٨ [١٣٢] يوماً (بعد الانقطاع[١٣٣] لمدة ١١ شهراً)[١٣٤] في شهر ذي معان[١٣٥](سنة)[١٣٦] ٦٥٨ (٥٤٣ الميلادية)[(١)].

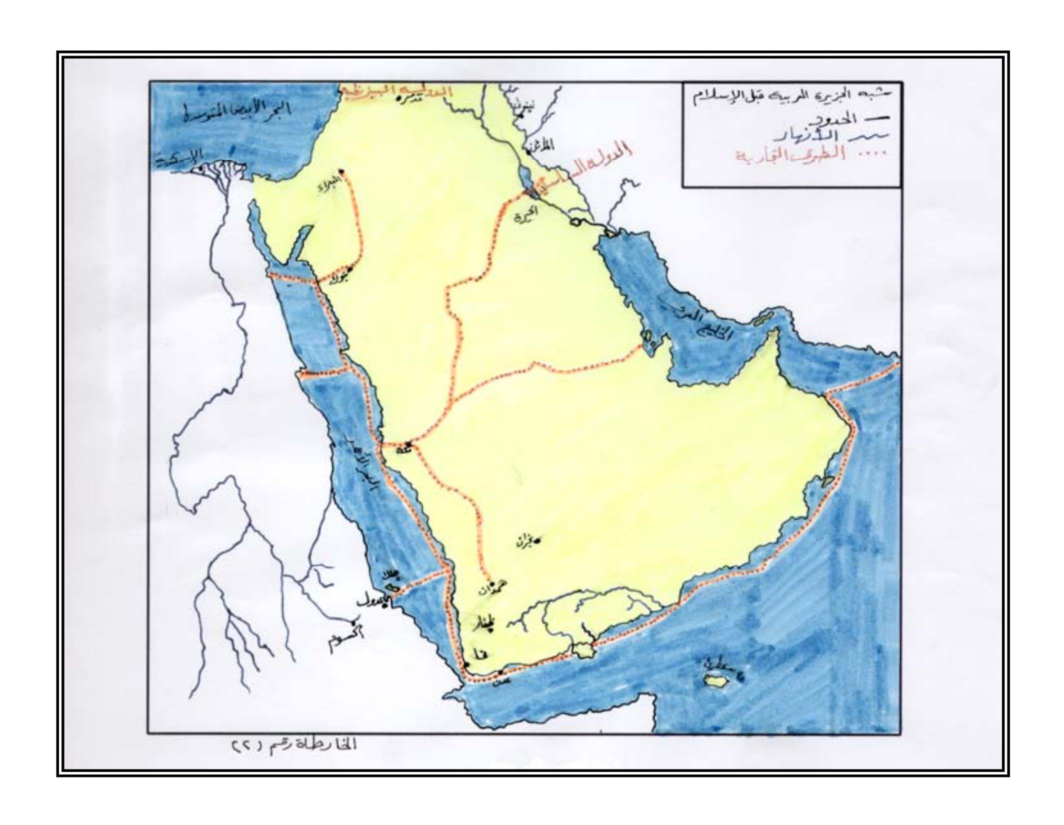
١- بيوتروفسكي، المرجع السابق، ص٣٣٦ – ص٣٣٧.

تشير الأرقام الواردة في النص إلى أرقام السطور الموجودة على النقش.

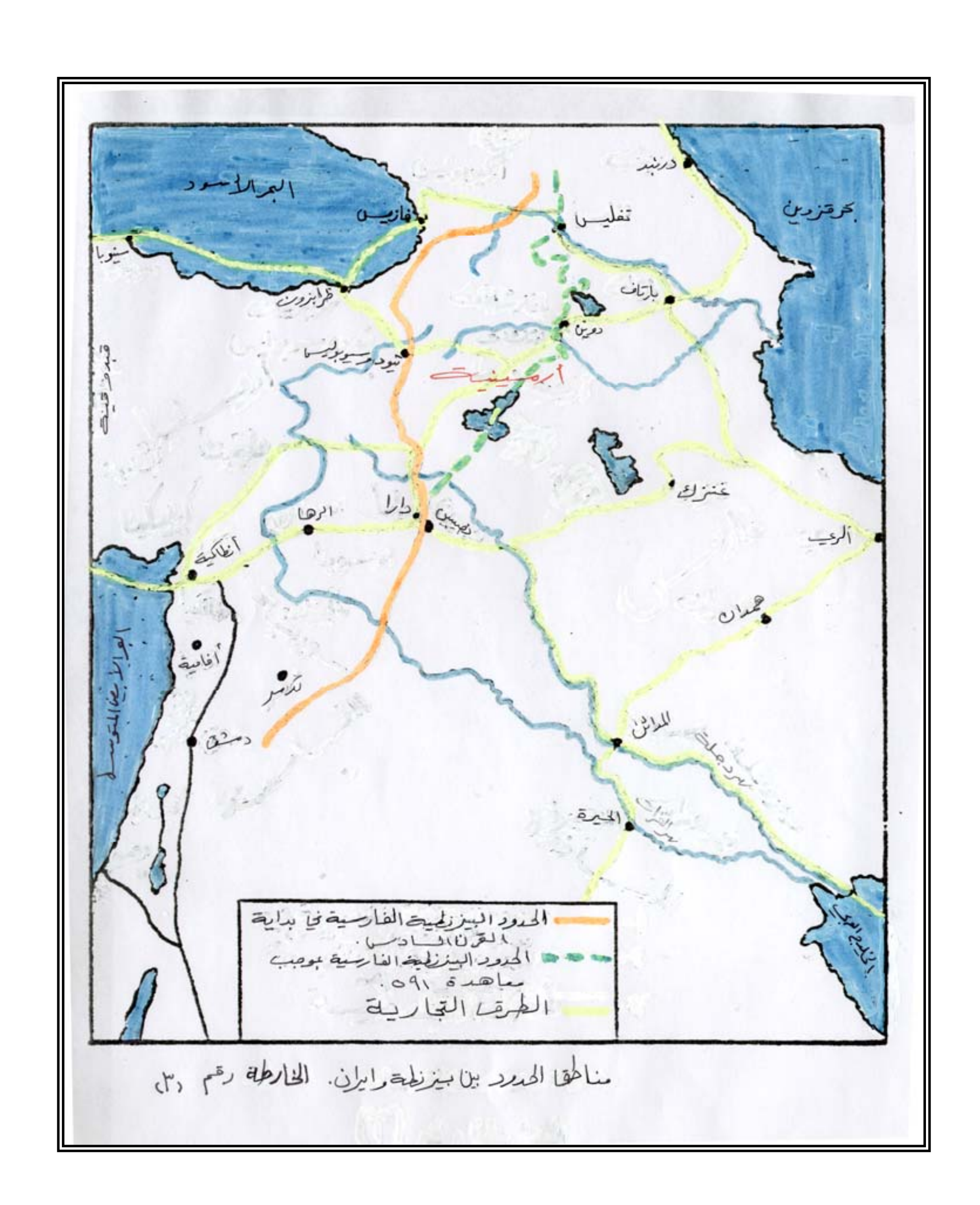


الخارطة رقم ١ حملات كسـرى أنوشروان

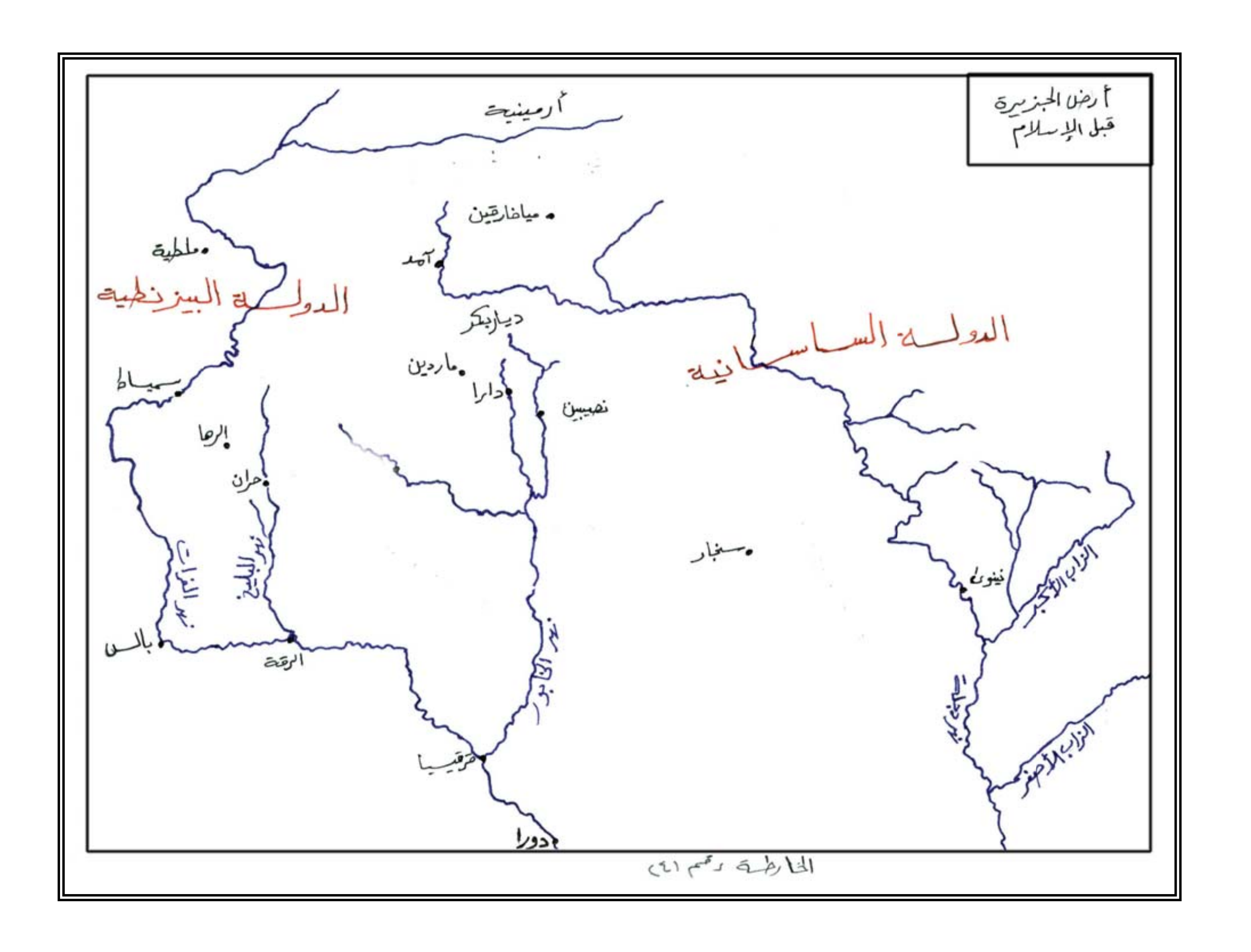
عدة مؤلفين، أطلس تاريخ إيران، طبعة أولى، شيراز 1378، ص49.



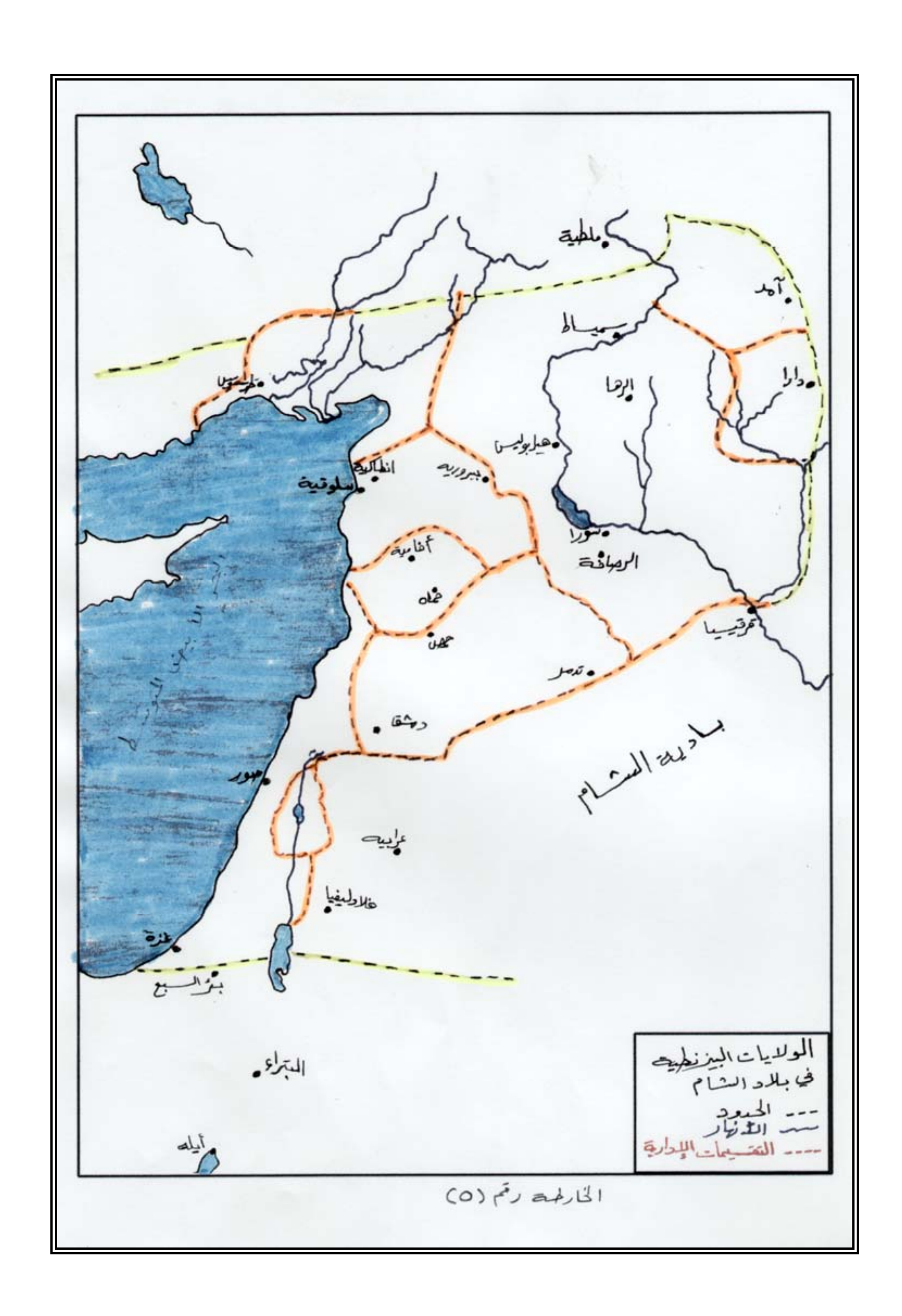
الخارطة رقم (٢)



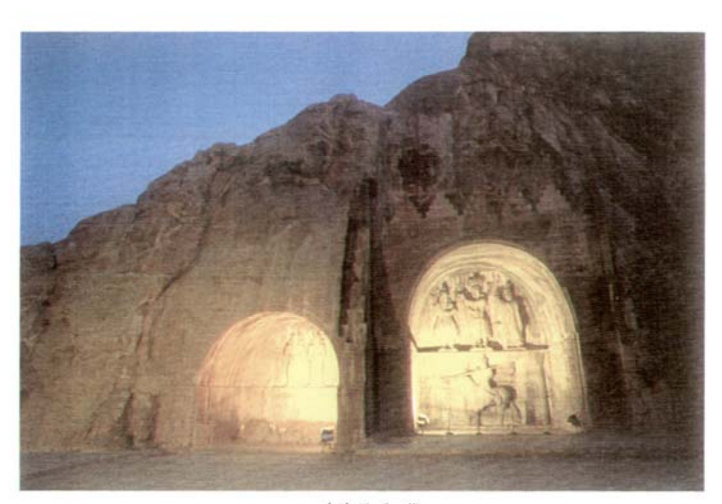
مناطق الحدود بين بيزنطة وايران. الخارطة رقم (٣)



الخارطة رقم (٤)



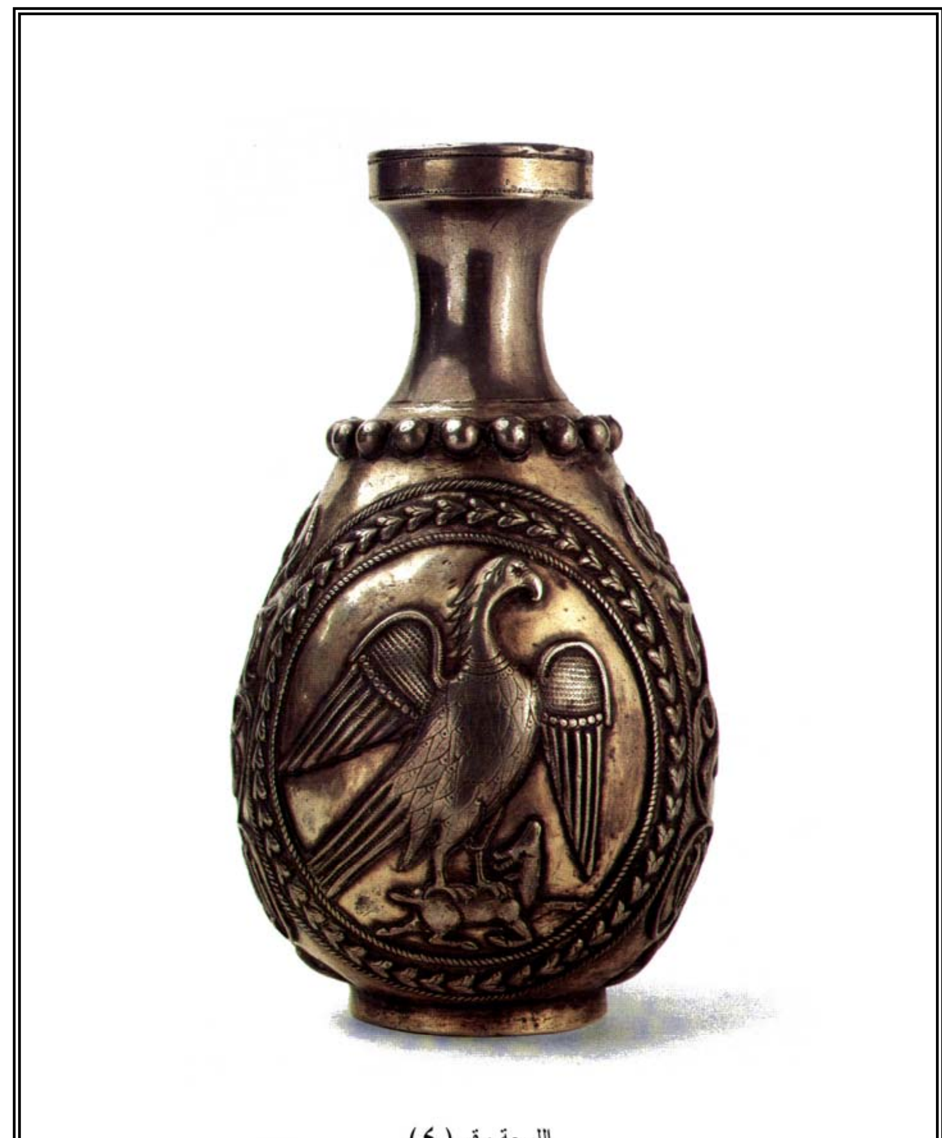
الخارطة رقم (٥)



اللوحة رقم (٣)

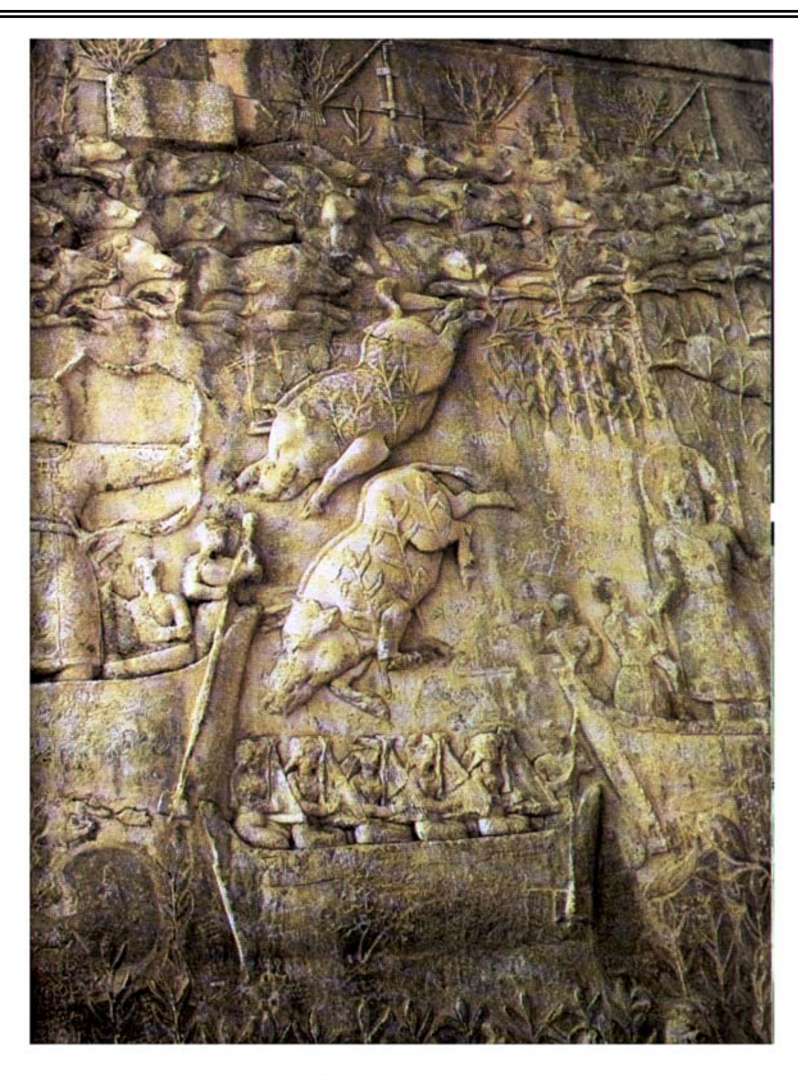
قصر طاق البستان: كسرى أنوشيروان (531ـ579م) مشهد يمثل قنطرتين من القصر نشاهد في صدر إحداهامن الأعلى نقش لثلاثة رجال وفي الأسفل نجد نقش للملك ممتطيا صهوة جواده.

Gardeshgary persia turism magazine vol 4. no13 p41



اللوحة رقم (٤)

آنية فضية رسم عليها نسراً اصطاد غزالاً.

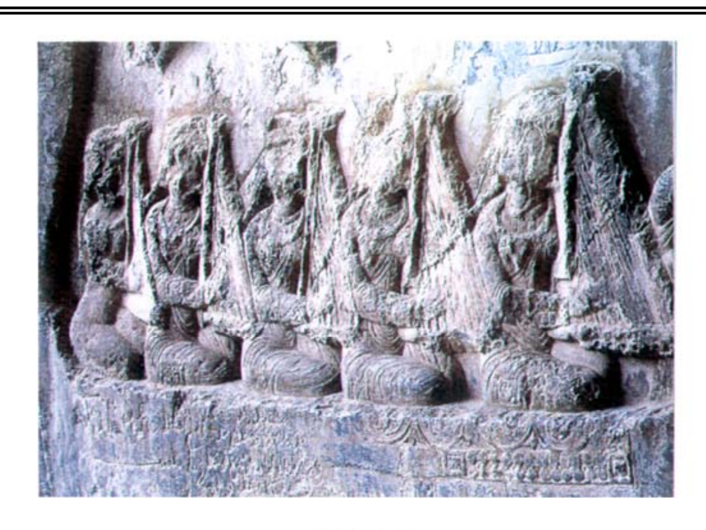


اللوحة رقم (٥)
لوحة تمثل صيد الملك للخنازير ومرافقة المغنيين والراقصين له.



اللوحة رقم (٦)
كأس شراب فضي، على هيئة رأس جواد.

عكاشة، تاريخ الفن الفارسي، ج8، ص338.



اللوحة رقم (٧)

لوحة منقوشة على الحجر تمثل عزف عدة نسوة على القيثارة.

Gardeshgary persia turism magazine vol 4. no13 p



اللوحة رقم (٨)

تمـثال مـن الـبرونز يمـثل صـورة لكسرى الأول "أنوشيروان" (531ـ579م) بعد قيامه بالإصلاحات.

عكاشة، تاريخ الفن الفارسي، ج8، ص333.



اللوحة رقم (٩)

لوحـــة تعــود للشــاه الساســاني قــباذ الأول (488ـ531م) مطــبوعة على قطعة نقدية

رضائي، كنجية تاريخ إيران، جلد هفتم، ص509.

الملك	العملة
Shahpur شابور ابن بابك (٢٠٠-٢٠٩م)	
Ardashir I أردشير الأول (٢٠٥-٢٢٤)	
Ardeshir I ردشير الأول(٢٠٠- ٢٢٤م)	
Ardeshir I ردشير الأول (٢٢٤-٢٤١م)	

Shahpur I شابور الأول (٢٤١-٢٧٢م)	
Varhran I بهرام الأول (٢٧١-٢٧٤م)	
Varhran I بهرام الأول (٢٧٣-٢٧٦م)	
Varahran II بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣م)	
Nerseh نرسي (٢٩٣-٣٠٢م)	

Hormizd II هرمزد الثاني (٣٠٣-٣٠٩م)	
Shahpur II شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م)	
Ardeshir II أردشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣م)	
Yazdgrd I يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠م)	



Peroz فيروز (٤٥٧-٤٨٤م)	
Valkash ولكاش (٤٨٤-٤٨٨م)	
Khusro II كسرى الثاني (ابرويز) (٥٩١-٦٢٨م)	
Kavad II قباذ الثاني (٦٢٨م)	

الفهرس